جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

الحجة البرهانية في القرآن الكريم – دراسة موضوعية

إعداد

كوثر سامي عبد الرحيم التايه

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستيرفي

التفسير وعلوم القرآن

يونيو ٢٠٢٠م/١٤٤١هـ

© ٢٠٢٠م. كوثر سامي عبد الرحيم التايه. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة كوثر سامي عبد الرحيم التايه بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٣٠م، وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالبة المذكور اسمها أعلاه .

وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالبة.

الأستاذ الدكتور: عبد الله الخطيب

المشرف على الرسالة

الدكتور: عدنان الحموي

مناقش

الأستاذ الدكتور: حسن خطاف

مناقش

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

كوثر سامي عبد الرحيم التايه، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن :

يونيو ٢٠٢٠م.

العنوان: الحجة البرهانية في القرآن دراسة موضوعية.

المشرف على الرسالة: الأستاذ الدكتور/ عبد الله الخطيب

يتناول البحث موضوعاً من أجلّ موضوعات التفسير الموضوعي، وهو بيان الحجة البرهانية في القرآن الكريم، عرض البحث مفهوم الحجة البرهانية، والتي تعتمد مقدمات صحيحة، لتصل إلى النتيجة الملزمة للخصم، وفي ذلك ساهمت في تكوين العقلية السليمة النقدية عند المتلقي، لتمحيص الأقوال والشبهات المنتشرة، وبيّن البحث أهمية طريقة القرآن في عرض الحجة البرهانية، ومجالاتها التي تمثلت في العقائد، والتكاليف الشرعية، بعد دراسة استقرائية لبعض الآيات وتحليلها.

وأهم ما توصل إليه البحث أن الحجة البرهانية في القرآن تحث على التفكر والتأمل وإعمال العقل، وأن دلالاتها من الضروريات العقلية، ومقدماتها صحيحة، وأنها غزيرة المعاني، تتناول الرد على عدد من الشبهات بإيجاز وعمق في المعنى والتأثير.

ABSTRACT

The research deals with a topic towards the topics of objective interpretation, which is the statement of the proof argument in the Holy Qur’an.

The research presented the concept of the argumentative argument, which adopts valid premises, to reach the binding result of the opponent, and in that it contributed to the formation of a sound critical mindset for the recipient, to examine the prevailing sayings and suspicions.

The research showed the importance of the method of the Qur’an in presenting the argumentative argument, its fields of beliefs, and the legal costs.

The most important finding of the research is that the argumentative argument in the Qur'an urges reflection, contemplation and the realization of reason, and that its indications of mental necessities, and its premises are valid, and that it is abundant in meanings, deals with the response to a number of suspicions of brevity and depth in meaning and influence.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من وقف بجانبي وكان عوناً بعد الله في خروج هذا العمل المتواضع، وأخص زوجي الذي دفعني وشجعني على طلب العلم وتعلمه، وأبنائي الذين تحملوا انشغالي وتقصيري معهم.

وأتقدم بالشكر إلى عميد الكلية فضيلة الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، الذي لمسنا فيه الجدية والرغبة في دفعنا للأفضل في خدمة كتاب الله، ونفع عباده، وأساتذتي في الجامعة جميعاً، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر المشرف الأستاذ الدكتور عبدالله الخطيب الذي كان لي ناصحاً، وموجهاً في بحثي، وفي كل علم تلقيته على يديه في أروقة الجامعة، والأستاذ الدكتور محمد عبداللطيف الذي كان عوناً لي وسنداً حتى قبل التحاقي بالجامعة وما زال، والشكر موصول لأساتذتي ومشايخي الأفاضل الذين أخذت عنهم العلم عن طريق الشبكة العنكبوتية دون أن أراهم، إلا أن كلماتهم وعلومهم كانت دافعاً أولياً ومؤثراً في التحاقي بجامعة قطر، وأخص منهم الدكتور عبدالعزيز الداخل والدكتور محمد جابر القحطاني رفع الله قدر الجميع.

الإهداء

أهدي بحثي المتواضع إلى من غرس في داخلي حب العلم وجعل للقرآن نصيباً في قلبي وحياتي، حتى قال لي مع بداية فترة النضج والإدراك: " حباك الله جوهرة ثمينة فاحرصي عليها"، فكانت وصية والدي حفظه الله هي الوقود الذي فجر في داخلي الطاقات، ورسم لي الأفق بعد فضل الله.

ووالدتي التي كانت أنموذجاً في الحرص على العلم والاجتهاد في طلبه، رغم الصعوبات التي واجهتها، فكانت مرآة صافية أرى فيها حقيقة الحياة والمثابرة.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير .... هـ

الإهداء ....و

المقدمة... ١

الفصل الأول: مفهوم الحجة والبرهان والألفاظ ذات الصلة ١٣

المبحث الأول: مفهوم الحجة لغة واصطلاحاً والمصطلحات ذات الصلة ١٣

١.١.١ المطلب الأول: تعريف الحجة لغة واصطلاحاً ١٣

١.١.٢ المطلب الثاني: تعريف البرهان لغة واصطلاحاً............................١٨

١.١.٣ المطلب الثالث: الحجة والبرهان في القرآن الكريم ١٨

١.١.٤ المطلب الرابع: الفرق بين الحجة والبرهان والدليل............................١٩

١.١.٥ المطلب الخامس: الفرق بين البرهان والدلالة.................................٢٠

١.١.٦ المطلب السادس: العلاقة بين الحجة والجدل ٢٢

١.١.٧ المطلب السابع: الحجة والجدل عند أهل المنطق................................٢٤

المبحث الثاني: مراتب الحجج عند أهل المنطق.......................................٢٦

١.٢.١ المطلب الأول: الحجة البرهانية ٢٦

١.٢.٢ المطلب الثاني: الحجة الجدلية.......................................٣٢

١.٢.٣ المطلب الثالث: الحجة الخطابية.......................................٣٥

١.٢.٤ المطلب الرابع: الحجة الشعرية.. ٣٨

١.٢.٥ المطلب الخامس: الحجة الباطلة القائمة على الغلط أو المغالطة........... ٤٠

المبحث الثالث: طرق المعرفة ومسالك الحجة البرهانية............................ ٤٣

١.٣.١ المطلب الأول: المعرفة وطرق الوصول إليها ٤٣

١.٣.٢ المطلب الثاني: أسباب المعرفة... ٤٤

١.٣.٣ المطلب الثالث: طرق المعرفة الموصولة لليقين.............................. ٤٨

١.٣.٤ المطلب الرابع: مسالك الحجة البرهانية ٥٢

الفصل الثاني: الإلهيات والتكاليف الشرعية........................ ٧٩

المبحث الأول: الحجة البرهانية في إثبات وجود الله تعالى ٨١

٢.١.١ المطلب الأول: مظاهر دلالة المخلوقات على الخالق ٨١

٢.١.٢ المطلب الثاني: صور الاستدلال بالمخلوقات على الخالق..................... ٩٩

المبحث الثاني: الحجة البرهانية في قضايا توحيد الربوبية ١١٩

٢.٢.١ المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية:...................................... ١٢١

٢.٢.٢ المطلب الثاني: اثبات توحيد الربوبية من دلالات الآيات القرآنية.......... ١٢٣

المبحث الثالث: الحجة البرهانية في قضايا توحيد الألوهية(العبادة)........................ ١٢٧

٢.٣.١ المطلب الأول: توحيد الألوهية.. ١٢٨

٢.٣.٢ المطلب الثاني: دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية................... ١٢٩

٢.٣.٣ المطلب الثالث: دلالة الانفراد بالكمال على توحيد الألوهية ١٣٨

٢.٣.٤ المطلب الرابع: إبطال الشرك في الألوهية ١٤٣

المبحث الرابع: الحجة البرهانية على أدلة الكمال والتنزيه الإلهي ١٦٣

٢.٤.١ المطلب الأول: أدلة الكمال ١٦٤

٢.٤.٢ المطلب الثاني: أدلة التنزيه عن العيب والنقص المضاد للكمال ١٧٨

المبحث الخامس: الحجة البرهانية في التكاليف الشرعية........................... ١٨٣

٢.٥.١ المطلب الأول: تعريف التكاليف الشرعية............................ ١٨٤

٢.٥.٢ المطلب الثاني: الحجة البرهانية في التكاليف الشرعية.................... ١٨٤

الفصل الثالث: الحجة البرهانية على قضايا النبوة والغيبيات والقضاء والقدر ٢٠٩

المبحث الأول: الحجة البرهانية على قضايا النبوة.................................. ٢٠٩

٣.١.١ المطلب الأول: تعريف النبوة والرسالة ٢١٠

٣.١.٢ المطلب الثاني: الحاجة للرسل ومصاديقهم................................ ٢١١

٣.١.٣ المطلب الثالث: بشرية الرسل واصطفاؤهم ٢١٤

٣.١.٤ المطلب الرابع: دلائل صدق الرسل وإنزال الكتب.......................... ٢٢١

المبحث الثاني: الحجة البرهانية في الحشر والمعاد.................................. ٢٢٩

٣.٢.١ المطلب الأول: تعريف البعث.. ٢٣١

٣.٢.٢ المطلب الثاني: الحجة البرهانية على قدرة الله في إثبات البعث: ٢٣١

٣.٢.٣ المطلب الثالث: الحجة البرهانية على عدل الله وحكمته في إثبات البعث .. ٢٤٦

المبحث الثالث: الحجة البرهانية في الملائكة........................ ٢٥١

٣.٣.١ المطلب الأول: تعريف الملائكة........................ ٢٥١

٣.٣.٢ المطلب الثاني: وجود الملائكة ومكانتهم........................ ٢٥٣

المبحث الرابع: الحجة البرهانية في القضاء والقدر ٢٥٩

٣.٤.١ المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر ٢٥٩

٣.٤.٢ المطلب الثاني: القضاء والقدر من العقيدة........................ ٢٦١

٣.٤.٣ المطلب الثالث: الحجة البرهانية في الإيمان بالقضاء والقدر ٢٦٤

٣.٤.٤ المطلب الرابع: الإيمان القضاء والقدر لا يلغي اختيار المكلف ٢٦٦

الخاتمة........................ ٢٧٠

التوصيات........................ ٢٧٢

قائمة المصادر والمراجع ٢٧٣

المراجع........................ ٢٧٣

رسائل جامعية: ٣١٥

مقالات في مجلة دورية:........................ ٣١٦

مراجع شبكة الإنترنت:........................ ٣١٧

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فهدى، وأنزل القرآن الكريم هدى ورحمة للناس وبياناً، القائل في محكم التنزيل: ﴿وَتِلكَ حُجَّتُنا آتَيناها إبراهيمَ عَلى قَومِهِ نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ ﴿٨٣﴾﴾ (سورة الأنعام).

والصلاة والسلام على النبي الهادي المرشد العظيم محمد صلى الله عليه وسلم الذي علّم ووجّه، وبيّن ووعظ، وأرشد وأوضح، وقال جل وعلا فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ (سورة الشورى).

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم خطاب عام لجميع الناس، ولقد جاء هذا الخطاب مفعماً بالأدلة والبصائر والبراهين[1]، هادياً الناس إلى سواء السبيل، مبدداً الأوهام والأباطيل، داعياً إلى الحق المستقيم، وقد استعمل القرآن الحجج البرهانية، ذات المقدمات الصادقة اليقينية القائمة على الاستدلال على أصول الاعتقاد والتكاليف الشرعية، وكانت هذه المقدمات آيلة إلى علم يقيني قائم على الحجاج العقلي الملزم للخصم، يدركها عوام الناس وخواصهم.

وكان البحث في الحجج البرهانية في دلالات الآيات القرآنية، هي السبب الرئيس لاختيار الموضوع.

---

[1] " ليس القرآن خبراً معرفياً فقط، وإنما هو كتاب يقدم أيضاً سبل النظر في طلب الحقيقة، وقبل ذلك هو منهج للتفكير، والاحتجاج بالقرآن في ذلك لا يكون فقط للموحد بل له ولغيره، لأنه يقوم على ما تقبله العقول وتُلزم به، فهو شهادة استدلال، لا شهادة خبر فحسب، كما في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾، (سورة الطور) عامري: سامي، **براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم**، (الخبر، تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٨م)، ص١٠٥.

وقد كُتبت أبحاث عديدة تدور في هذا المعنى تحت مسميات أخرى، ولم يبرز مصطلح – الحجة البرهانية– فيها.

وسيعمد البحث إلى دراسة مصطلح " الحجة البرهانية" وهو مصطلح مشهور في علم المنطق، وينصرف إليه الذهن عند إطلاقه، ولذا فقد وجب التنويه إليه، وبيان مراتب الحجة عند أهل المنطق ومسالكها، ولكن عند التطبيق في الآيات القرآنية ستكون الحجة البرهانية هي الحجة العقلية المفيدة للمطالب الدينية، والتي يُدركها العامة، وتَكرر ورودها في القرآن، وكما فهمها العرب عند نزول القرآن ومَن بعدَهم من أئمة الدين، وهذا يؤكد للقارئ سهولة الحجج القرآنية وسهولة عرضها على المتلقي دون تكلف، وتخاطب الآيات القرآنية المسلم وغيره، فتكون حججه منبهة على العلوم النظرية، التي تحتاج إلى مقدمات ونظر واستدلال، إذ إنها مُدركة من قبل جميع الناس.

ومما ينبغي أن يُلاحظ أن عنوان الدراسة جاء باسم الحجة البرهانية في القرآن الكريم – دراسة موضوعية–، وذلك تنويها بأهمية القرآن الكريم في بناء العقلية المفكرة والناقدة، ولكي تساهم هذه الرسالة في تنشئة جيل يثق بالقرآن الكريم، ليكون مصدراً في المحاججة والمجادلة، وبناء التفكير السليم، وليس قصدي من وراء ذلك– وإن اخترتُ العنوان– بناء الآيات القرآنية على وفق الحجة البرهانية المعروفة في المنطق، لأنه من المعلوم أنه يُشترط في الحجة البرهانية، أن تكون مقدماتها موطن تسليم من الخصم، وهذا لا ينطبق على مسألتنا لمن لا يسلم بها.

وهذا لا يعني إلغاء للعنوان أو تجاوزاً لدلالته، أو عدم وجود مسوغات مقنعة له، إذ من أبرز مقاصدي لاختيار هذا العنوان:

١. المساهمة في بناء العقلية الإسلامية المستندة على القرآن الكريم.

٢. إبعاد التصور الموجود عند البعض، والذي يقوم على تصور خاطئ، مفاده عدم الانسجام بين البراهين المنطقية والآيات القرآنية.

٣. استكمال الجهود المبذولة والدراسات المهتمة بهذا الشأن، والتي سنعرضها عند الحديث عند إضافة البحث على الدراسات السابقة، فالبحث يشكل لبنة في هذا البناء.

٤. العمل على إيجاد تقارب بين الدلالات العقلية المستنبطة من القرآن، وبين الدراسات العقدية.

مع التنويه على أن بعضاً من علماء المسلمين سعوا إلى إيجاد تقارب بين الدلالات العقلية المستنبطة من القرآن، وبين الدراسات العقدية، وبهذا نجد النماذج التطبيقية مأخوذة من المسائل العقدية، ومنهم الدكتور عبد الرحمن حبنكة الميداني رحمه الله[١].

أولاً: أهمية البحث:

١. أهمية الدراسة تنبع من أهمية موضوعها وهو القرآن الكريم، وما أودع الله فيه من أسس ووسائل لتوجيه العقل للفكر السليم.

٢. انتشار الشبهات وتزيينها للناس وسهولة انتشارها سهّل الإقبال عليها وقبولها، مما استوجب التوجه للقرآن الكريم، لبيان الطريق القويم والمسلك الصحيح لبيان الحق ونصرته.

٣. حاجة الأمة اليوم إلى هاد يوجهها إلى الطريق المستقيم في تحرير العقل، وطلب الدليل، والنظر في القول، لضمان سلامة الفكر.

٤. أهمية بيان معرفة الطرق الصحيحة المؤدية للعلوم اليقينية، ومنها الأساليب القرآنية التي تتسم بالسهولة والقبول لموافقتها العلوم الضرورية.

---

[١] في كتاب " **ضوابط المعرفة**"، وتميز كتابه بوضوح الطرح وسهولته وعرض البرهان في بعض الآيات والأحاديث النبوية، واستفاد البحث من عرضه النظري والتطبيقي في مسالك الحجة وتطبيقاتها.

٥. ضرورة الاهتمام بقضية الإيمان، وتقويته في الأمة الإسلامية، ودراسة كل السبل التي تؤدي لذلك.

ثانياً: أسباب اختيار البحث:

١. مكانة القرآن وتأثيره في الأمة والحاجة الفطرية إليه.

٢. سوء أوضاع المسلمين اليوم في طريقة التفكير مع انتشار الأباطيل وتوسعها بين العوام وسهولة تقبلها، ساعد على هيمنة المفاهيم الغربية على الفكر الإسلامي.

٣. حاجة الأمة لمن يأخذ بيدها إلى بر الأمان في التفكير والتعقل، فإن استعمار الأفكار أشد من استعمار الديار.

٤. رغبة شخصية في خدمة كتاب الله، ونفع المسلمين، وتزكية ما علمني الله بعد دراستي لثلاث سنوات في برنامج "صناعة المُحاور للرد على الشبهات".

ثالثاً: أهداف البحث:

١. بيان أهمية القرآن الكريم ودوره التوجيهي للأمة، وأن المبادئ والمقومات التي تبني الأمم هي من القرآن الكريم.

٢. بيان طرق "الحجة البرهانية" كما جاءت عند أهل المنطق.

٣. بيان طرق المعرفة في الإسلام.

٤. بيان أهمية العقل السليم في البحث عن الحق.

٥. توضيح طرق المقدمات السليمة الآيلة لليقين.

٦. القدرة على رد الشبهات ومعرفة مداخلها.

٧. تسليط الضوء على القضايا التي أثبتها القرآن عن طريق الحجة البرهانية.

رابعاً: منهج البحث وحدوده:

هذه الدراسة تبحث في (الحجة البرهانية في القرآن)، متبعة المنهج الإستقرائي الناقص، والمنهج التحليلي للآيات، وحدود البحث في الآيات القرآنية التي تناولت موضوع العقائد والتكاليف الشرعية.

خامساً: إشكالية البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في استنباط الحجة البرهانية من الآيات القرآنية، وبيان المواضيع والعناوين التي عالجتها الحجة البرهانية في القرآن، وسيلقي هذا البحث الضوء على بعض المفاهيم الهامة للإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم الحجة في اللغة والاصطلاح؟

٢. ما مفهوم الحجة في القرآن؟

٣. ما مفهوم الحجة عند أهل المنطق ومراتبها؟

٤. ما المعرفة وطرق الوصول إليها؟

٥. ما المواضيع التي تناولها القرآن وأقام عليها الحجة البرهانية؟

٦. ما أوجه التوافق والاختلاف في مقدمات الحجة البرهانية بين الآيات القرآنية والقضايا المنطقية.

٧. ما فائدة معرفة طرق الحجة البرهانية عند العوام؟

سادساً: إضافة البحث على الدراسات السابقة:

١. فيما وصل إلى علمي- والله أعلم- أن تخصيص بحث بالحجة البرهانية في القرآن غير موجود، إلا ما كتبه الدكتور زكريا بشير علي إمام، " **أساليب الحجاج في القرآن الكريم- نماذج من الحجج الاستنباطية-**"، مجلة كلية الآداب، ع٦، جامعة الإمارات العربية

المتحدة، ١٩٩٠م.- والبحث غير متوفر على الشبكة العنكبوتية، ولم يتيسر لي الاطلاع عليه.

ومن الدراسات المتعلقة ببعض جوانب هذا البحث:

٢. "**أنماط الاستدلال في القرآن الكريم**"، للدكتور أبي بكر العزاوي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، مج٣، ع٢، أغسطس ٢٠١٨م، تكلم فيه عن مصطلح الحوار والحجاج وصيغهما اللغوية والصرفية، وكذلك البرهان والجدل، وبين أهمية الحوار والحجاج والإقناع والاستدلال والجدل، ثم تناول أنماط الاستدلال في القرآن الكريم، وخص القياس الأصولي وأنواعه، وعرض أمثلة من الآيات، وساقها على طريقة القضايا المنطقية، بخلاف موضوع الدراسة هنا حيث يتم تناول عرض مسالك الحجة البرهانية العقلية المفيدة للمطالب الدينية في القرآن، والمواضيع التي تعرض إليها.

٣. " **أساليب الحجاج في القرآن الكريم سورتي البقرة وآل عمران**"، للباحث أكرم فتاح سليم، رسالة ماجستير من جامعة أم درمان، كلية أصول الدين، عام ٢٠٠٩م، تناول فيها تعريف المصطلحات المتعلقة بالبحث، وعرض الأساليب الحجاجية، وطبقها على ما جاء في السورتين الكريمتين فقط في إثبات العقيدة الصحيحة، وكان في عرضه يلقي الضوء على آيات الحجاج، ولم يفصل في المواضيع التي تطرقت إليها الآيات القرآنية، بل تناول جميع أساليب الحجاج دون تمييز، بينما تناولت الدراسة البحث في الحجة البرهانية العقلية الواضحة عند المتلقي المفيدة للمطالب الدينية، وعرض شواهد عليها في القرآن الكريم، وبيان المواضيع التي جاءت لإثباتها.

٤. " **أساليب الحجاج في القرآن الكريم في سورتي المائدة والأنعام**"، للباحث محمد بن سعد حجران الشهراني، رسالة دكتوراة من جامعة أم درمان، كلية أصول الدين، عام ٢٠١١م،

استهدفت الرسالة العملية الحجاجية في القرآن من خلال سورتي المائدة والأنعام فقط، وهو كسابقه.

٥. " **أساليب الحجاج في القرآن الكريم من خلال سورة الإسراء إلى سورة يس**"، للباحثة آمنة عوض الكريم محمد، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، عام ٢٠١٢م، تناولت فيها تعريف الأسلوب الحجاجي والمفردات المتشابهة، وتناولت أساليب الحجاج في إثبات العقيدة الإيمانية وإبطال الشرك من خلال سورة الإسراء إلى سورة يس، وهو على غرار ما سبق في طريقة استخدام الحجة البرهانية وغيرها من أساليب الحجاج دون تمييز بينها.

٦. " **خطاب أهل الكتاب في القرآن، دراسة حجاجية**"، للباحثة أرجوان حسن علي الوائلي، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، كلية الآداب، العراق، عام ٢٠١٦م، بدأت بمدخل مفاهيمي وبيان البعد الحجاجي في القرآن الكريم وبواعثه في خطاب أهل الكتاب، ثم تكلمت عن حجاجية الأدوات اللغوية والأساليب في خطاب أهل الكتاب، والحجاج البلاغي وحجاجية الخطاب النفسي، والعلاقات الحجاجية والتتابعية في خطاب أهل الكتاب واتجهت إلى إقناع المقابل والتأثير في آرائه، وقد تكون نتيجة الخطاب ظاهرة أو مضمرة، بينما تختلف هذه الدراسة عنها بتسليط الضوء على الحجة البرهانية العقلية المفيدة للمطالب الدينية، والمواضيع التي أثبتتها من أصول العقيدة والتكاليف الشرعية كدراسة موضوعية.

٧. " **المناهج العقلية التي استخدمها القرآن الكريم في الحوار والجدل مع أهل الكتاب**" للباحث قيس سالم مجلي المعايطة في مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية،ع١، ٢٠١٧م، ، فذكر منهج القرآن في حوار ومجادلة الخصم، وأن هذا هو المنهج الشرعي الذي أراده الله، وسار عليه سلفنا الصالح، فالقرآن احتوى على أفضل الأساليب، وأحكم المناهج وأقوى الحجج في حواراته مع الخصوم، وكان منهجه مميزاً في

مخاطبة العقل، وبيّن البحث أبرز المناهج العقلية التي اشتمل عليها القرآن، والتي نحن اليوم في أمس الحاجة إليها مع كثرة الدعوات للحوار مع الآخر، أما هذا البحث فقد اختص بتناول الحجة البرهانية العقلية المفيدة للمطالب الدينية في القرآن الكريم كدراسة موضوعية وعرض شواهد من القرآن الكريم.

٨. "**البعث وأدلته العقلية في القرآن الكريم –دراسة عقدية–**"، للباحثة هند بنت دخيل الله بن وصل القثامي، مجلة حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، ع٧، عام ٢٠١٧م، تكلمت الباحثة فيه عن أهمية عقيدة البعث، وموقف الناس منها، ثم ذكرت مكانة العقل في القرآن، وذكرت أنواع الاستدلال العقلي على البعث مع الاستشهاد ببعض الأمثلة، ولم تتطرق الباحثة لتخصيص أساليب الحجاج عامة والحجة البرهانية خاصة، وقصرته على أدلة البعث، بينما تناول هذا البحث الحجة البرهانية المفيدة للمطالب الدينية، في القرآن كما وردت في إثبات أصول الاعتقاد والتكاليف الشرعية.

٩. "**منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة**"، للباحث مجاهد محمود أحمد ناصر، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية– نابلس، فلسطين، عام ٢٠٠٣م، تناولت مكانة العقل في القرآن، ومفهوم المعرفة وطرق الوصول إليها، كما تناول مفهوم الدليل وأقسامه، ثم عرج على خصائص الأدلة القرآنية، وخصص المبحث الثاني لبيان طرق الاحتجاج في القرآن وسوق الحجة، وذكر من ضمنها بعض مسالك الحجة البرهانية كقياس العلة والمناقضة، ولكن لم يسق الأدلة كقضايا يقينية، بل اكتفى بالشرح وبيان الغرض، وتختلف دراستي عن هذا البحث في تناول الحجة البرهانية العقلية المفيدة للمطالب الدينية، والتي خاطب القرآن بها العوام، دون التطرق للمسالك المنطقية بشكل مطابق تماماً، وإن استفاد منها، ودراسة الآيات دراسة موضوعية في القرآن.

١٠. "**الحجج العقلية لأولي العزم من الرسل في القرآن الكريم**"، للباحث أحمد سليمان العوض، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية – كلية الشريعة، عام ١٩٨٧م، تناول الباحث فيها الحجج العقلية لأولي العزم عليهم الصلاة والسلام، وبيان ما جاء في حواراتهم مع أقوامهم من أدلة عقلية دون تخصيص للحجة البرهانية، واكتفى بالآيات المتعلقة بأولي العزم من الرسل عليهم السلام، وأما بحثي هذا فقد اختص بالحجة البرهانية العقلية الملزمة في دراسة موضوعية، ويدخل في ضمنها حوارات الرسل المتعلقة بموضوع الحجة البرهانية العقلية.

سادساً: هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة فصول يتضمن كل فصل عدة مباحث يتفرع عنها عدد من المطالب، ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات، وقائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول: مفهوم الحجة والبرهان والألفاظ ذات الصلة

المبحث الأول: مفهوم الحجة لغة واصطلاحاً والمصطلحات ذات الصلة

المطلب الأول: تعريف الحجة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: تعريف البرهان لغة واصطلاحاً

المطلب الثالث: الحجة والبرهان في القرآن الكريم

المطلب الرابع: الفرق بين الحجة والبرهان والدليل

المطلب الخامس: الفرق بين البرهان والدلالة

المطلب السادس: العلاقة بين الحجة والجدل

المطلب السابع: الحجة والجدل عند أهل المنطق

المبحث الثاني: مراتب الحجج عند أهل المنطق

المطلب الأول: الحجة البرهانية

المطلب الثاني: الحجة الجدلية

المطلب الثالث: الحجة الخطابية

المطلب الرابع: الحجة الشعرية

المطلب الخامس: الحجة الباطلة القائمة على الغلط أو المغالطة

المبحث الثالث: طرق المعرفة ومسالك الحجة البرهانية

المطلب الأول: المعرفة وطرق الوصول إليها

المطلب الثاني: أسباب المعرفة

المطلب الثالث: طرق المعرفة الموصولة لليقين

المطلب الرابع: مسالك الحجة البرهانية

الفصل الثاني: الإلهيات والتكاليف الشرعية

المبحث الأول: الحجة البرهانية في إثبات وجود الله تعالى

المطلب الأول: مظاهر دلالة المخلوقات على الخالق

المطلب الثاني: صور الاستدلال بالمخلوقات على الخالق

المبحث الثاني: الحجة البرهانية في قضايا توحيد الربوبية

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية

المطلب الثاني: اثبات توحيد الربوبية من دلالات الآيات القرآنية

المبحث الثالث: الحجة البرهانية في قضايا توحيد الألوهية(العبادة)

المطلب الأول: توحيد الألوهية

المطلب الثاني: دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية

المطلب الثالث: دلالة الانفراد بالكمال على توحيد الألوهية

المطلب الرابع: إبطال الشرك في الألوهية

المبحث الرابع: الحجة البرهانية على أدلة الكمال والتنزيه الإلهي

المطلب الأول: أدلة الكمال

المطلب الثاني: أدلة التنزيه عن العيب والنقص المضاد للكمال

المبحث الخامس: الحجة البرهانية في التكاليف الشرعية

المطلب الأول: تعريف التكاليف الشرعية

المطلب الثاني: الحجة البرهانية في التكاليف الشرعية

الفصل الثالث: الحجة البرهانية على قضايا النبوة والغيبيات والقضاء والقدر

المبحث الأول: الحجة البرهانية على قضايا النبوة

المطلب الأول: تعريف النبوة والرسالة

المطلب الثاني: الحاجة للرسل ومصاديقهم

المطلب الثالث: بشرية الرسل واصطفاؤهم

المطلب الرابع: دلائل صدق الرسل وإنزال الكتب

المبحث الثاني: الحجة البرهانية في الحشر والمعاد

المطلب الأول: تعريف البعث

المطلب الثاني: الحجة البرهانية على قدرة الله في إثبات البعث

المطلب الثالث: الحجة البرهانية على عدل الله وحكمته في إثبات البعث

المبحث الثالث: الحجة البرهانية في الملائكة

المطلب الأول: تعريف الملائكة

المطلب الثاني: وجود الملائكة ومكانتهم

المبحث الرابع: الحجة البرهانية في القضاء والقدر

المطلب الأول: تعريف بالقضاء والقدر

المطلب الثاني: القضاء والقدر من العقيدة

المطلب الثالث: الحجة البرهانية في الإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الرابع: الإيمان بالقضاء والقدر لا يلغي اختيار المكلف

الخاتمة

التوصيات

قائمة المصادر والمراجع

الفصل الأول: مفهوم الحجة والبرهان والألفاظ ذات الصلة

المبحث الأول: مفهوم الحجة لغة واصطلاحاً والمصطلحات ذات الصلة

١.١.١ المطلب الأول: تعريف الحجة لغة واصطلاحاً

- **الحجة لغة:**

عرفها ابن فارس بقوله: "**الحاء والجيم أصولٌ أربعة. فالأول** "**القصد**"، **ثم قال:** "**وممكن أن تكون الحُجَّة مشتقّةً من هذا؛ لأنّها تُقْصَد، أو بها يُقْصَد الحقُّ المطلوب. يقال: حاججت فلانًا فحجَجْته، أي غلبتُه بالحُجّة، وذلك الظّفَرُ يكون عند الخصومة**[١]".

فالحجة كما قال الليث من حجّ، وهو **القصد**، والسير إلى البيت خاصة، حَجَج: الحَجُّ: القصد[٢]....والمحَجَّةُ: الطريق، وقيل: **جادَّةُ الطريق**، وقيل مَحَجَّة الطريق: سَنَنَه، والحَجَوَّج: الطريق تستقيم مرة وتعوج أخرى[٣].

وقال أبو العباس عن ابن الأعرابي: حججت الشَجَّة[٤]: إذا سبرتها[٥].

---

[١] ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.م، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ج٢، ص٣٠، والأصل الثاني: الحجة هي السنة، والثالث: الحجاج: وهو العظم المستدير حول العين، والرابع: الحَجحَجة: النكوص، ينظر: ص٣١.

[٢] والحجة القصد منها الوصول للمطلوب.

[٣] وهكذا الحجج قد تكون صحيحة أو غير ذلك.

[٤] والشجة: "الكسرة في الرأس وغيره": الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تنقيح: أبي الوفا نصر الدين الهوريني، أحمد باشا تيمور، اعتنى به: أحمد جاد، (القاهرة، دار الغد الجديد، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، ص٨٠٠.

[٥] السبر: "امتحان غور الجرح وغيره، أي: قاس غَوْرِه ليتعرَّف عمقَه ومقدارَه": الفيروزآبادي: **المرجع السابق**، ص٧٠٨، بتصرف. وهكذا الحجة تسبر الخطأ الواقع في الدليل.

وقال أبو ذؤيب: يحجُّ: يُصلح، وحجَّه يَحُجُّه حجّاً، فهو مَحجُوج وحَجِيج، إذا قدح بالحديد في العظم إذا كان قد هُشّمَ حتى يتلطخ الدماغ بالدم فيقتلع الجلدة التي جفت، ثم يعالج ذلك فيلتئم بِجِلد[١].

وقال الليث: الحُجَّة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، أي: غلبه بالحجة، وجمعها: حُجَج. وإنما سميت حُجة، لأنها تُحَجُّ، أي: تُقصد، لأن القصد لها وإليها.

وكذلك مَحَجَّة الطريق، هي المقصد والمسلك.

ومن أمثال العرب: "لجّ فحجّ"، قال بعضهم: معناه: لجّ فغلب مَن لاجّه بِحُججه، يقال: حاججته أُحاجُّه حِجَاجاً ومُحاجَّة حتى حَجَجتُه، أي غلبته بالحُجَج التي أدليت بها، ورجل مَحجُوج: أي: مقصود.

والحُجَّة: الدليل والبرهان، يقال: حاججته فأنا مَحاجٌّ وحجيج، فعيل بمعنى فاعل.

والحُجَّة: المقصد المستقيم والذي يقتضي صحة أحد النقيضين[٢].

قال تعالى: ﴿ قُل فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ فَلَو شاءَ لَهَداكُم أَجمَعينَ ﴿١٤٩﴾ (سورة الأنعام)، وقال أيضاً:﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴿١٥٠﴾ (سورة البقرة).

فجعل ما يحتج به الذين ظلموا مستثنى من الحُجَّة، وإن لم يكن حُجَّة.

وذلك كقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب[٣].

---

[١] وهو هنا أيضاً معنى الإصلاح والتقويم، كما أن المقصود من الحجة تقويم الخطأ وبيان الحق.

[٢] وهذا المعنى جمع معنى: القصد وجادة الطريق والظفر عند الخصومة وإصلاح خطأ الطرف الآخر.

[٣] الذبياني: النابغة: **ديوان النابغة الذبياني**، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، قصيدة، كليني لهم يا أمية، ص٢٩.

والمُحاجَّة: أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حُجَته ومُحاجته، قال تعالى: ﴿وَحاجَّهُ قَومُهُ قالَ أَتُحاجّونّي فِي اللَّهِ وَقَد هَدانِ ﴿٨٠﴾ (سورة الأنعام).

ورجل مِحجاج: أي: **جَدِل**، يكثر الجدل، حجيج: إذا سبرت شَجَّتَه لتعالجه، والتحاج: التخاصم، وحجه يحُجُّه حجّاً: غالبه على حُجت.

وفي الحديث: " فحَجَّ آدم موسى[1]"، أي غلبه بالحُجة، واحتج بالشيء: اتخذه حجة.

وفي حديث الدجال: "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه[2]" أي مُحاجُه ومغالبه بإظهار الحجة عليه[3].

ومما ورد من تعاريف في معنى (حجة) نصل إلى أن المعنى اللغوي للحجة هو:

الدليل والبرهان المسوق لبيان المقصود الذي يقتضي صحة أحد النقيضين.

ومن المعنى اللغوي يمكننا صياغة المعنى الاصطلاحي للحجة: فهي القول الملزِم والبرهان المسوق لإلزام الخصم وقصد الحق بالبرهان.

---

(1) أخرجه مسلم: في **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ص٩٩٤، رقم (٢٦٥٢).

(2) أخرجه مسلم: في **المرجع السابق**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ص١٠٩٧، رقم (٧٣٧٣).

(3) ينظر: الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد: **معجم تهذيب اللغة**، تحقيق: رياض زكي قاسم، (بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج١، ص٧٤٤-٧٤٦، مادة (حج-حجج)، والأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد،: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد خليل عيتاني، (بيروت، دار المعرفة، ط٦، ١٤٣١هـ-٢٠٢٠م)، ص١١٥، مادة (حج)، وابن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبي الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، (القاهرة، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠١٥م)،ج١، ص٧٢٦-٧٢٨، باب الجيم فصل الحاء، والجوهري: إسماعيل بن حماد، **معجم الصحاح**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص٢١٢، مادة (حجر)، ومجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط:** (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ص١٢٦، مادة (حجج).

- **الحجة اصطلاحاً:**

الحُجَّة الملزمة، المركبة من المقدمات اليقينية المسلمة عند الخصم، الموصلة إلى التصديق، وهي سبب الغلبة [1].

وهذه هي الحجة البرهانية العقلية المفيدة للمطالب الدينية، كما جاءت في الآيات القرآنية.

ويتفق التعريفان اللغوي والاصطلاحي:

١. في القصد والغاية: الغلبة على الخصم وبيان المقصود.

٢. في الوسيلة: الدليل والبرهان.

وعليه فالحجة البرهانية هي:

"**البرهان والدليل الذي يَتسلح به المخُاطِب، لأجل دفع خصمه وغلبته، والوصول إلى التصديق**[2]".

وعند الأصفهاني: نجد أن القرآن الكريم أطلق الحجة على ما يحتج به الظالمون وإن لم يكن حجة، قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿١٥٠﴾ (سورة البقرة)[3].

وعنده في تعريف الجدل: " **الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدَلت الحبل: أي أحكمت فتله**[4]"، وعليه فالحجة لها تعلق بالجدل.

---

[1] ينظر: التهانوي: محمد علي، **كشف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: رفيق العجم، علي دحروج، (بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م)، ج١، ص٦٢٢، ونكري: عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد: **جامع العلوم الملقب بدستور العلماء**، تهذيب: قطب الدين محمود، وآخرين، (الهند، حيدر آباد، دار المعارف النظامية، ط١، ١٩١١م)، ج٢، ص١٤.

[2] عودة: أحمد ادريس، الصفدي: نعيم أسعد، "الحجة وأثرها في قوة الخطاب الإسلامي"، **مجلة المنارة**، م٢٠، ع٣، ص٣٥٢.

[3] ينظر: الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص١١٥، مادة (حج).

[4] **المرجع السابق**، ص٩٧، مادة (جدل).

ومن المعاني اللغوية للحجة كما عند ابن منظور "الجدل": " وهو رجل مِحجاج أي: جَدِل"، وعند تعريفه الجدل في لسان العرب: "الجدل مقابلة الحجة بالحجة..... والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها ...... وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالاً...ويقال إنه لجدل إذا كان شديد الخصام[(١)]".

ولهذا ملحظ أن المناظرين والمستدلين يأتون بأنواع من الحجج تختلف في قوتها ورتبتها، فللحجة مراتب، فمنها ما يفيد اليقين الجازم لقوتها، ومنها ما هو دون ذلك.

- **الجدل اصطلاحاً:**

ومن المعنى اللغوي نصل إلى أن الجدل اصطلاحاً: أن يدفع المرء قول خصمه بحجة أو شبهة.

---

(١) ابن منظور: **لسان العرب**، ج٦، ص٧٧، باب اللام فصل الجيم.

يقول السيوطي: " وأما الجدل في القرآن فقد حوته آياته من البراهين والمقدمات والنتائج، والقول بالموجب والمعارضة. وغير ذلك شيئاً كثيراً، ومناظرة إبراهيم نمروده ومحاجته قومه أصل في ذلك عظيم"، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ-١٠٨٨م)، ج١، ص١-١٨، فعد السيوطي الحجة من الجدل بقوله: " البراهين والمقدمات والنتائج".

١.١.٢ المطلب الثاني: تعريف البرهان لغة واصطلاحاً

- **البرهان لغة:**

البرهان من "بَرِهَ" وهو فعلان مثل الرجحان، وهو الحجة الفاصلة، فجُعل "يبرهن" بمعنى يبين، أبره: أتى بالبرهان أو غلب الناس بالعجائب، فالبرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً[(١)].

- **البرهان اصطلاحا:**

هو القياس المؤلف من اليقينيات، علم قاطع الدلالة، غالب القوة بما يشعر به، وهو يقتضي الصدق لامحالة، فهو أوكد الأدلة[(٢)].

١.١.٣ المطلب الثالث: الحجة والبرهان في القرآن الكريم[(٣)]

"جاء البرهان في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: بمعنى المعجزة، والولاية، قال تعالى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴿٣٢﴾ (سورة القصص).

الثاني: بمعنى الدليل والحجة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ (سورة البقرة)،

قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّـهِ إِلَـهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴿١١٧﴾ (سورة المؤمنون).

---

(١) ينظر: الأصفهاني: **المفردات**، ص٥٥، مادة (بره)، وابن منظور: **لسان العرب**: ج٧، باب النون، فصل الباء، ص٣٩، والفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، ص١٣٢.

(٢) ينظر: الأصفهاني: **المرجع السابق**، والجرجاني: علي بن محمد السيد الشريف، **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، (القاهرة، دار الفضيلة، د.ط، د.ت)، ص٤٠، والمناوي: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٧٤.

(٣) جمع البحث بين تعريف الحجة والبرهان لأن موضوعه "الحجة البرهانية"، والبرهان جاء في القرآن بمعنى الحجة.

الثالث: بمعنى القرآن والنبوة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴿١٧٤﴾ (سورة النساء)[١]".

وفي كل المذكور لا يخرج البرهان عن- المعنى اللغوي- الدليل والحجة، "**والبرهان الحجة النيرة الواضحة التي تعطي اليقين**[٢]".

وما جاءت به الآيات هو الحجج الواضحة، فما أوتيه موسى عليه السلام من معجزة العصا واليد حجة، وكل من ادعى دعوى فعليه بيان حجته، والقرآن حجة ودليل صدق على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبرهان واضح لمن تفكر به وتعقل.

١.١.٤ المطلب الرابع: الفرق بين الحجة والبرهان والدليل

أولاً: الحجة قد تكون أعم من البرهان، وقد تكون هي البرهان إذا أوصل إليها:

والحجة عند النظّار أعم منه لاختصاصها عندهم باليقينيات......، والبرهان بيان للحجة، وهو أوكد الأدلة، يقتضي الصدق أبداً لامحالة، فالبرهان: الحجة التي تفيد العلم اليقين الذي لا شك فيه[٣].

---

[١] الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب: **بصائر ذوي التمييز في كتاب الله العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، وزارة الأوقاف، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ج٢، ص٢٤٢.
جاء البرهان في الآيات الثلاث بمعنى الحجة اليقينية.

[٢] الجزائري: عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي: **الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز**، ومعه فتح العزيز بتحقيق الذهب الإبريز تحقيق: محمد شابب شريف، أبو بكر بلقاسم ضيف، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص١٣٠.

[٣] ينظر: **المفردات في غريب القرآن**، ص٥٥، مادة(بره)، والمناوي: عبد الرؤوف: **التوقيف على مهام التعاريف**، ص٧٤، والكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، **الكليات**، ص٤٠٦، =والبغدادي: أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا: **الكتاب المعتبر في الحكمة الإلهية**، تحقيق: يوسف محمود، (الدوحة، دار الحكمة، د.ط، ١٤٣٢هـ-٢٠١٢م)، ج١، ص٣١٠.

ثانياً: الحجة والدليل والبرهان بمعنى واحد:

الدليل ما دل به على صحة الدعوى، والحُجة هي البرهان، وقيل: الحجة والدليل واحد، فالدليل ما دل على مطلوبك ودفع قول مخالفك(١).

ثالثاً: الدليل(٢) هو الطريق إلى البرهان وبه تكون الحجة

١.١.٥ المطلب الخامس: الفرق بين البرهان والدلالة

أن "**البرهان**" لا يكون إلا قولاً يشهد بصحة الشيء، **والدلالة** تكون قولاً، فتقول دلالتي على صحة مذهبي كذا، فتأتي بقول تحتج به على صحة مذهبك، **فالبرهان** بيان يشهد بمعنى آخر حق **في نفسه**(٣)، **والدليل:** ما ينبئ عن معنى من غير أن يشهد بمعنى آخر وقد ينبئ عن معنى يشهد بمعنى آخر، **فالدليل أعم.**

فإن دل الدليل على المطلوب، دفع قول المخالف، والدليل يكون وضعياً، فقد يمكن أن يجعل على خلاف ما جعل عليه نحو دلالة الاسم على المسمى، وأما "دلالة البرهان" فلا يمكن أن

(١) ينظر: الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وهو شرح مختصر المزني**، تحقيق وتعليق: محمد علي محمد معوض، وآخرين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ج١٦، ص١٥٣، والجرجاني: **معجم التعريفات**، ص٧٧، والكفوي: ص٤٠٦.

(٢) "الدليل هو المعنى المرشد للمطلوب وهو فعيل بمعنى فاعل، أي دالّ، وفاعليته مجاز، إذ هو بالحقيقة مدلول به لا دالّ، إذ الدالّ بالحقيقة هو الشارع": الطوفي: **علم الجذل في علم الجدل**، تحقيق: موفق فوزي الجبر، (دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)، ص٣٩.

(٣) كقولك: "أن الجسم محدَث"، فهذا برهان أنه له محدِثاً، والمعنى الأول حق في نفسه، والدلالة ما يمكن الاستدلال به، والاستدلال فعل المستدل، والدلالة قد تكون لك وليس لغيرك، كأن تجعل حجراً كعلامة على شيء دفين، فهي دلالة لك ليس لغيرك إلا أن يوافقك": العسكري: أبو هلال، **الفروق اللغوية**، تحقيق: إيهاب محمد إبراهيم، (القاهرة، مكتبة ابن سينا، ط١، ٢٠١٣م)، ص٥٠.

توضع دلالة على خلاف ما هي دلالة عليه، نحو دلالة الفعل على الفاعل لا يمكن أن تجعل دلالة على أنه ليس بفاعل[1].

والدليل عند الأصوليين: هو المرشد إلى المطلوب بصحيح النظر إلى دليل خبري[2].

وخلاصة الفروق بين الحجة والبرهان والدليل:

١. البرهان أقوى من الدليل في إفحام الخصم، **فالبرهان**: حجة قاطعة تفيد اليقين، ولذا فإن القرآن الكريم استخدم البرهان في الإفحام لا الدليل، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ (سورة البقرة)، " **دلت الآية على أن المدعي سواء ادعى نفياً أو إثباتاً، فلا بد له من حجة بينة وبرهان، وذلك من أصدق الدلائل على بطلان القول بالتقليد[3]**".

"**وقال أبو العالية ومجاهد والسدي والربيع بن أنس: برهانكم: حجتكم. وقال قتادة: "بينتكم على ذلك" (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) كما تدعونه[4]**".

---

(١) ينظر: العسكري: **الفروق اللغوية**، ص٥٠-٥١، والماوردي: **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي- رضي الله عنه- وهو شرح مختصر المزني**، ج١٦، ص١٥٣.

(٢) ينظر: السمعاني: منصور بن حافظ بن أحمد الحكمي: **قواطع الأدلة في أصول الفقه**، تحقيق: عبد الله بن حافظ الحكمي، (الرياض، مكتبة التوبة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ص٤٢، والآيجي: عبد الرحمن بن أحمد: **شرح العضد على مختصر المنتهى الأصولي للإمام ابن الحاجب المالكي**، ضبطه: فادي نصيف، طارق يحيي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ص١١.

(٣) الرازي: محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر الشهير بخطيب الري: **تفسير الفخر الرازي، -التفسير الكبير**، (بيروت، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ج٤، ص٣، بتصرف يسير.

(٤) ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **مختصر تفسير القرآن الكريم**- عمدة التفسير-، تحقيق وتلخيص: أحمد محمد شاكر، (المنصورة، دار الوفا، ط٣، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م)، ج١، ص١٤٤.

٢. **الدليل** يشمل الصحيح وغيره[١].

٣. **الحجة** تتميز عنهما-البرهان والدليل- رغم التقارب، "**فالحُجَّة، وإن اختلفت تسميتها، فإنَّها تتميز عن البرهان والدليل بأمرين:**

١- **تمنع من المطلوب.**

٢- **تدفع المخالف**[٢]".

١.١.٦ المطلب السادس: العلاقة بين الحجة والجدل

في التعاريف اللغوية تأتي الحجة بمعنى الجدل، ويُعرف أبو الباجي الأصولي الجدل: "**تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه**[٣]".

وقال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ** ﴿٢٥٨﴾ (سورة البقرة)، "**ومعنى (حاج) خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يعرف لـ (حاجّ) في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن (حاج) لا يستعمل غالباً إلا في معنى المخاصمة**[٤].

---

[١] يقول الأصفهاني: " الأدلة على خمسة أضرب: دلالة تقتضي الصدق أبداً، ودلالة تقتضي الكذب أبداً، ودلالة إلى الصدق أقرب، ودلالة إلى الكذب أقرب، ودلالة هي إليهما سواء"، الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص٥٥-٥٦، مادة(بره).

[٢] عودة: أحمد إدريس، الصفدي: نعيم أسعد، "الحجة وأثرها في قوة الخطاب الإسلامي"، **مجلة المنارة**، م٢٠، ع٣، ص٣٥٢.

[٣] الباجي: أبو الوليد: **المنهاج في ترتيب الحجاج**، تحقيق: عبد المجيد تركي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ٢٠٠١م)، ص١١، وهذه هي الحجة.

فالحجاج عند المتقدمين بمعنى الجدل وبعض المحدثين، ينظر: صولة: عبد الله، **الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية**، (بيروت، دار الفارابي، ط٢، ٢٠٠٧م)، ص٨.

[٤] يقال لعلم الجدل: علم المناظرة والمخاصمة أيضاً.... وقعت المخاصمة في القرآن العظيم مع الفرق الأربع الضالة: المشركين واليهود والنصارى والمنافقين، وكانت المخاصمة على طريقين، أن يذكر العقيدة الباطلة ويستنكرها، أو أن يبين شبهاتهم الواهية بالأدلة البرهانية أو الخطابية، والمخاصمة: ما يتعلق كل واحد بخصم

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴿٤٧﴾ (سورة غافر)، مع قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ (سورة ص)، وأن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل،....فمعنى الذي حاجّ إبراهيم أنه خاصمه خصاماً باطلاً[1]".

ويقول رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴿١٠٧﴾ (سورة النساء).

"**والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك، ومنه سمي علم قواعد المناظرة والاحتجاج في الفقه علم الجدل[2]".**

وعند قوله تعالى: ﴿قالوا يا نوحُ قَد جادَلتَنا فَأَكثَرتَ جِدالَنا﴿٣٢﴾ (سورة هود).

يكون المعنى: "**المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه، فتكون في الخير كقوله تعالى: ﴿يُجادِلُنا في قَومِ لوطٍ ﴿٧٤﴾ (سورة هود)، وتكون في الشر كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴿١٩٧﴾ (سورة البقرة)[3]".**

وخلاصة العلاقة بين مصطلحي الحجة والجدل:

١. الحجة والجدل بمعنى المخاصمة، وتكون قائمة في الخير أو في الباطل كما أشار إليها ابن عاشور معتمداً ما جاء في القرآن.

=الآخر أي جانبه ويجذبه، وخصمان: لأخذ كل واحد منهما في شق من الحجاج والدعوى: ينظر: الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص١٥٥، مادة (خصم)، والأزهري: **معجم تهذيب اللغة**، ج١، ص١٠٤٢، مادة (خصم)، والدهلوي: أحمد بن عبد الرحيم ولي الله، **الفوز الكبير في أصول التفسير**، (دمشق، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط٢، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م)، ص٢٠.

[1] ابن عاشور: محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت)، المجلد٢، ج٣، ص٣١-٣٢.

[2] **المرجع السابق**، المجلد٢، ج٥، ص١٩٤، فالجدل يكون في الخير أو الشر.

[3] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٥، ج١٢، ص٦٠.

٢. الجدل منه الحق ومنه الباطل، كما يتضح من الشواهد القرآنية.

٣. الجدل مرتبط بالخصومة، كما ورد في التعريف اللغوي عند ابن منظور، والحجة بمعناها اللغوي الوصول للتصديق، ودفع الخصم وغلبته.

١.١.٧ المطلب السابع: الحجة والجدل عند أهل المنطق

الحجة[١]

هي التي يؤتى بها في إثبات ما تمس الحاجة إلى إثباته من العلوم التصديقية[٢]، وهي عبارة عما يتألف من قضايا يتجه بها إلى مطلوب يستحصل بها، وإنما سميت(**الحجة**) لأنه يحتج بها على الخصم لاثبات المطلوب، وتسمى دليلاً، لأنها تدل على المطلوب، وتهيئتها وتأليفها لأجل الدلالة يسمى (استدلالاً)[٣].

---

[١] "الحجة تنقسم إلى نقلية وعقلية، فالنقلية هي ما كانت كل واحدة من مقدمتيها أو واحدة منهما مستمدة من الكتاب أو السنة أو الإجماع، وتسميتها بهذا الاسم منظور إليه من ناحية المصدر الذي أُخذت منه فقط، وإلا فالعقل هو الذي يدركها، وأما الحجة العقلية فهي التي تستمد من العقل بتركيب المقدمات الصحيحة من العلوم الضرورية" نصار: محمد عبد الستار، **السلم في علم المنطق**، مراجعة: عبد العزيز عبد الله عبيد، (القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م)، ص٣٤.

[٢] "التصديق هو الإدراك المتعلق بالنسبة الخبرية بين الشيئين على وجه الجزم أو الظن، وذلك مثل: الباب مصنوع من خشب، فإن المتكلم أدرك ثبوت مادة الخشب للباب"، محمود: يوسف: **المنطق الصوري والتجريبي**، (الدوحة، مكتبة الحكمة، ط١، ٢٠١٠م)، ص١٣-١٤.

[٣] ينظر: المظفر: محمد رضا، **المنطق**، (طهران، دار التعارف للمطبوعات، د.ط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ص٢٠١.

الجدل[1]:

مقدمات القياس التي يأتي بها الشخص لإقامة الحجة على أي مطلب كان، حقاً أو باطلاً، لإلزام الخصم[2]، وتتألف مقدماته من المشهورات، وهي القضايا التي اتفقت عليها آراء الجميع، أو آراء طائفة خاصة، وتعتبر من المسلمات، فهي القضايا التي يُسلم بها الخصم ويقبلها وإن لم تكن صحيحة عند المستدل[3].

---

[1] "الجدل الديني: تردد الكلام بين مختَلفين دينياً أو مذهبياً، يريد كل منهما تصحيح دينه أو مذهبه وإبطال دين خصمه أو مذهبه"، الطوفي: نجم الدين الحنبلي: **علم الجذل في علم الجدَل**، ص١٥.

[2] ورد لفظ (الجدل) في القرآن الكريم ثلاث مرات بصيغة المدح، وتسعاً وعشرين مرة في سياق الذم، ينظر: جلغوم: عبد الله إبراهيم: **المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم بالرسم العثماني**، (الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ج١، ص٣٨٥-٣٨٦.

[3] ينظر: الغزالي: أبو حامد محمد الطوسي النيسابوري: **معيار العلم في المنطق**، (بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٧٨م)، ص٨٩، ابن المطهر الحلي: أبو منصور الحسن بن يوسف: **القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسية**،(د.م، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ)،ص٣٩٤-٣٩٦، والبغدادي، **الكتاب المعتبر في الحكمة الإلهية**: ج١، ص٣١٤، ومحمود: **المنطق الصوري والتجريبي**، ص٢٠١، وحبنكة: عبدالرحمن حسن الميداني: **ضوابط المعرفة**، (دمشق، دار القلم، ط١٥، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م)، ص٢٩٨، والشهراني: **أساليب الحجاج في القرآن الكريم في سورتي المائدة والأنعام**، رسالة دكتوراه، ص١٢٦.

المبحث الثاني: مراتب الحجج عند أهل المنطق

لما كان المنطق[١] يعين على تمييز التفكير السليم من التفكير الفاسد، فهو حتماً يوجه الفكر الإنساني إلى صحة الاستدلال، وتمييز المعطيات، ويبعده عن التعصب والهوى، والوقوع في سلطة الأحاسيس، وهو يبحث في مادة القياس والمقدمات والقضايا المؤلف منها، ويقسمها وفق المقدمات ومدى صحتها، وهي على مراتب:

١.٢.١ المطلب الأول: الحجة البرهانية

هي أعلى درجات الحجة، وتسمى" **القياس البرهاني**[٢] "، وهي الحجة التي يؤتى بها في إثبات ما تمس الحاجة إلى إثباته من العلوم التصديقية، وتفيد اليقين، والمقصود باليقين هنا هو الاعتقاد المطابق للواقع الذي لا يحتمل النقيض لا عن تقليد، وتتألف الحجة البرهانية من مقدمات يقينية[٣] على هيئة تفيد نتيجة يقينية، واليقين فيها يكون مساوياً للمقدمات، كقولنا: هذا العدد منقسم بمتساويين، وكل عدد منقسم بمتساويين زوج، فوجه التصديق بها ضرورة يقينية، لا تلتفت النفس معه إلى نقيض المصدق به البتة [٤].

---

[١] المنطق: "هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر": المغنيسي: محمود حسن، **مغني الطلاب شرح متن إيساغوجي لأثير الدين الأبهري**، حققه وعلق عليه: عصام بن مهذب السبوعي، (دمشق، دار البيروني، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص٥٩.

[٢] ينظر: ابن تيمية: تقي الدين أحمد الحراني: **مجموعة الفتاوى**، اعتنى به وخرّج أحاديثه: عامر الجزار وآخرين، المجلد٥، ج٩. ص١٠.

[٣] يرى ابن تيمية أن "القياس البرهاني" قد تكون مقدماته مشهورة ومسلمةً، ابن تيمية: **المرجع السابق**. وهكذا هي البراهين القرآنية إلا أنها كلها برهانية عقلية إلزامية في القرآن الكريم.

[٤] ينظر: الغزالي: **معيار العلم في المنطق**، ص٨٩، وابن المطهر الحلي: **القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسية**، ص٣٩٤-٣٩٦، والبغدادي، **الكتاب المعتبر في الحكمة الإلهية**، ج١، ص٣١٤، ومحمود: **المنطق الصوري والتجريبي**، ص٢٠١، وحبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص٢٩٨، والشهراني: **أساليب الحجاج في القرآن الكريم**

وقد استعمل القرآن الكريم القياس البرهاني كمنهج في اثبات إقامة الحجة على المنكرين، وخاطبهم بما يعقلون، وهو يُلزم العاقل أن يذعن للحق ويتبعه، وقد تفاوتت هذه الأدلة لتفاوت الأذهان المدركة، فكانت البراهين القرآنية سهلة يسيرة على الأفهام، وهي:

١. **البرهان الفطري:** هو البرهان الضروري(١) الذي لا يحتاج إلى نظر واستدلال، فهو تصديق جازم من الوازع النفسي مرتكز فيها، لا يمكننها دفعه وإنكاره، وهو من الحقائق البدهية، عند جميع المخلوقات(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴿٤﴾﴾، (سورة الإخلاص)، " **تضمنت السورة إثبات الأحدية والصمدية، وهو يقتضي نفي الانقسام والتجسيم، وتضمنت نفي الولادية والمولودية، وهو يقتضي نفي المسبوقية والمادة الجسمانية، وتضمنت أن لا كفؤ له، أي مثل مكافئ، ومن ثم عظم شأن هذه السورة لاختصاصها بتنزيه الحق عز وجل لم يتضمن غيره**(٣)"، وهذا يبين أن ما في السورة من حقائق هي حقائق فطرية لا تحتاج إلى الاستدلال عليها.

=**في سورتي المائدة والأنعام**، رسالة دكتوراه، ص١٢٦، فهي من اليقينيات النظرية التي يحكم العقل فيها بمعونة دليل حاضر في الذهن.

(١) وهو من اليقينيات الضرورية التي لا تحتاج إلى برهان، ولكن إن طرأت الشبهة فالأصل التنبيه عليه.

(٢) " لا يشترط في العلم بالله أن ينبني على المقدمات المنطقية والنظرية، وكيف يستبعد هذا وقد حكى تعالى عن الهدهد وهو العالم البهيمي أنه وحّد الله واحتج بصحة توحيده حيث قال سبحانه حكاية عنه ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ (سورة النمل)"، ابن الوزير: محمد بن إبراهيم الحسني اليمني الصنعاني، **ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**، (القاهرة، مطبعة المعاهد، د.ط، ١٣٤٩هـ)، ص٤٩، وهكذا اليقينيات الضرورية تخلو من النظر.

(٣) الطوفي: نجم الدين أبو الربيع الصرصري الحنبلي، **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ص٦٩٢.

أقر المشركون بما في السورة من توحيد لله، لأنها تحريك لما في الفطر السليمة، فالأحدية والصمدية هي توحيد الألوهية والتنزيه وإبطال لتعدد الآلهة، وهو سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم لأنها ضد الحياة والقيومية، وهذا يقتضي وجوده تعالى- ولم يكن المشركون الذين نزل عليهم القرآن ينكرون الوجود الإلهي- وأنه المقصود في الحوائج وجميع المهمات دون سواه، فهو الصمد الذي تصمد إليه الخلائق.

نفي الانقسام والولادية والمولودية ونفي المسبوقية والمادة الجسمانية، وهو توحيد الربوبية، فأبطلت تعدد الآلهة بأي طريق، وأهمها نفي الولد، فإذا انتفى الولد بطل ما سواه من الشفعاء والشركاء.

وهو سبحانه الرب الذي أوجد كل شيء ولم يُوجده أحد، والغني عن كل أحد، والكل مفتقر إليه وهو الغني عن المخلوقات، ولا كفؤ له، فله الكمال المطلق ولا مثيل له ولا مكافئ، اثبات الكمال له وتنزيهه جل وعز عن كل نقص، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير[1].

ويقول بديع الزمان النورسي: " **فسورة الإخلاص- مثلاً- تشمل على خزينة عظيمة لعلم التوحيد، تضم ستاً وثلاثين سورة إخلاص، تتكون من تراكيب جملها الست ذات العلاقات المرتبطة بعضها ببعض**[2]".

---

[1] ما ذكره العلماء من سبب نزول سورة الإخلاص (قل هو الله أحد) أنها في الذات الإلهية وصفات الكمال، وهي حجة البرهانية: "عن الربيع عن أبي العالية: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا: انسُب لنا ربك، قال: فأتاه جبريل عليه السلام بهذه السورة: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ** ﴿١﴾ أخرجه الترمذي، في **سنن الترمذي**، كتاب تفسير القرآن، باب "ومن سورة الإخلاص"، ص٦٥١، رقم (٣٣٦٥)، ولكثرة مخارجه حسنه بعض العلماء وهو حديث مشهور متداول في كتب أئمة السنة.

[2] النورسي: بديع الزمان: **الكلمات**، (القاهرة، دار سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٤م)، ص١٤٩، وفصلها في الكلمة الخامسة والعشرين آية أية، ص٤٧٤-٤٧٥.

ويأتي إثبات الإيمان بالقرآن فطرياً لما فيه من إعجاز يجذب المستمع، ولو لم يكن من أهل اللغة، وهذا كما قال السكاكي في إعجاز القرآن: شأن الإعجاز عجيب، يُدرك ولا يمكن وصفه، قد تتكشف لك أوجه البلاغة، أما وجه الإعجاز فلا [1].

قال الرافعي: " **إن الذي ظهر لنا أن القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه...فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً، وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع، وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغاً من ذوبان تلك المواد كلها**[2]".

وأول ما يستدعي انتباه السامع عند تلاوة القرآن هو هذا الجمال التوقيعي في تأليفه الصوتي، فلغة القرآن تجذب من لا يعرف لغة العرب ولم يسمعها فكيف يخفى على أهل اللغة، العرب كانت تعرف ما يباين عاداتها في الكلام البليغ، لأن ذلك طبعهم ولغتهم، فلم يحتاجوا إلى تجربة عند سماع القرآن، وهذا في البلغاء منهم دون المتأخرين في الصنعة [3]؟

قال تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾**﴾، (سورة البقرة)، فلوضوحه وسطوع برهانه لا يرتاب العقل السليم من الهوى في كونه وحياً بعد[4].

---

(1) ينظر: السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن محمد، **مفتاح العلوم**، تحقيق: محمد علي بيضون، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، ص٥٢٦.

(2) الرافعي: مصطفى صادق: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، (القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠١٤م)، ص١١٩.

(3) ينظر: الباقلاني: أبو بكر: **إعجاز القرآن**، تحقيق: أبي بكر عبد الرزاق، (القاهرة، مكتبة مصر، د.ط، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، ص٣٠٠، ودراز: محمد عبد الله، **النبأ العظيم**، (القاهرة، مركز إبصار للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م)، ص٩٧-٩٨.

(4) ينظر: البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: مجدي فتحي السيد، (القاهرة، المكتبة الوقفية، ط٢، ٢٠١٦م)، ص١٨.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ (سورة فصلت)، فالعرب لما أدركوا حلاوة القرآن وعذوبته وتأثيره في الآخرين، علموا لو أنهم تركوا محمداً صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن لتأثر الناس وأخذهم بجمال أسلوبه ووضوح معانيه، فنهوا قومهم عن سماعه بل وإثارة الفوضى والتشويش حين يُتلى القرآن فيختلط على محمد صلى الله عليه وسلم ما يقول، ومع ذلك فقوله تعالى: (لعلكم) هو أمر غير مؤكد في إدراك بغيتهم من الاختلاط.

فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً أو منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى... فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم أرادوا القضاء عليه، فلم يلبثوا أن يتحولوا عن رأيهم حين سماعه [١].

٢. **البرهان الحسي**[٢]: وهو ما كانت مقدماته حسية يقينية تصل إلى نتيجة ضرورية يقينية، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾، (سورة ق).

وقد جاء هذا البرهان في صورة ثلاث دلالات[٣]:

---

[١] ينظر: الخطابي: **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد زغلول وآخرين، (القاهرة، دار المعرفة، ط٣، د.ت)، ص٧٠، والشعراوي: محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (مصر، دار الراية للنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠١٦م)، ج١٨، ص٣٣٦-٣٣٧، والشربجي: علي: **تفسير البشائر وتنوير البصائر**، قرَّظه: حسن حبنكة وآخرين، (دمشق، دار البشائر، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ج٣، ص٢٧٥..

[٢] يدخل ضمن اليقينيات النظرية التي تذعن لها النفس إذا خلت من الشبهات والشهوات، وقد استخدمها القرآن كما سيتبين في البحث.

[٣] ينظر: ابن الوزير: أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اليمني الصنعاني: **إيثار الحق على الخلق**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ص٤٥-٤٦، ومحمد: يوسف محمود: **أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي**، (الدوحة، دار الحكمة، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ص٢٦٨-٢٧١.

أولاً: دلالة الأنفس: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾، (سورة الذاريات)، والنفس مشاهدة ومحسوسة.

ثانياً: دلالة الآفاق: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾، (سورة يس)، وهذا مشاهد للناس، وبه تدور منافعهم.

وقد جمع الله بين دلالتي الأنفس والآفاق في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾، (سورة فصلت)، وكل ما في هذه المنظورات من عجائب الخلق محسوس مدرك عند المشاهدين، وإن ألفته حواسهم، إلا أنها تنادي بوجود الإله الحق.

ثالثاً: دلالة المعجزات: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾، (سورة السجدة)، وقد عُلم وتأكد الجانب النفسي عند المخاطبين بالقرآن صدقه، وأنهم عجزوا عن الإتيان بأقصر سورة من مثله فضلاً عن أن يأتوا بمثله، ثم أعلن افتراءهم وتكذيبهم للقرآن ورده، وافتتحت السورة بالتنويه بالقرآن، كأنه قيل: لاريب فيه، ذلك كونه منزلاً من رب العالمين، لما حف بتنزيله من الدلائل القاطعة بأنه ليس من كلام البشر– وهم يقرون بذلك في نفوسهم–، فالتنزيل صفة للكتاب أو حال له، ويشهد لوجاهته وصدقه زعمهم الذي حكاه رب العزة: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ)، والاستفهام المقدر بعد (أَمْ) التي تفيد الإضراب التعجبي من قولهم مفترى، وهذا أسلوب صحيح محكم: أثبت أولاً أن تنزيله من

رب العالمين، وأن ذلك لاريب فيه، ثم أضرب عن ذلك بقوله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك[1].

٣. **البرهان العقلي:** وهو المؤلف من مقدمات يقينية تحتاج إلى استكشاف وتصاغ من خلال وسائل حسية، ولابد أن تنتهي إلى الضروريات[2]، وقد استخدم القرآن هذا البرهان لتنبيه الفطرة، وإزالة ما علق فيها من الشبهلت، فهي حيث أنها تتكون من مقدمات يقينية وباستخدام الحواس والعلوم الأولية الضرورية نصل إلى صدقها، فتكون يقينيات نظرية.

١.٢.٢ المطلب الثاني: الحجة الجدلية

هي مقاربة لقوة اليقين وملزمة للطرف الأخر، وهي تتألف من مقدمات مشهورة أو مسلمة عند الخصم[3]، فلا يشعر الذهن لأول النظر بأن نقيضه ممكن، والغرض الأساس منه إلزام الخصم، وإقناع من هو قاصر عن درجة البرهان، وهي أعلى من مرتبة الظن الراجح[4]،وهذه

---

(1) ينظر: الزمخشري: محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** ضبط وتوثيق: أبي عبد الله الداني بن منيز آل زهوي، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ٢٠١٦م)، المجلد٢، ج٣، ص٣٨٣، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٨، ج٢١، ص٢٠٦-٢٠٧.

(2) ينظر: محمود: **أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي**، ص٢٦٨-٢٧١، والنملة: عبد الكريم بن علي: **إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه،** (الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ج١، ص٢٦٦-٢٦٧. وهي من هذا الوجه يقينيات نظرية.

(3) القرآن لا يستدل في مجادلاته بمقدمات تلزم الخصم فقط، بل مقدمات القرآن يقينية -حتى لو كانت الحجة جدلية- يسلم بها الناس فتكون أدعى للقبول، ينظر: الألمعي: زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآن الكريم،** (الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ط٣، ١٤٠٤هـ)، ص٧٦.

(4) ينظر: البغدادي: **الكتاب المعتبر في الحكمة الإلهية**، ج١، ص٣١٤، وحبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص٢٩٩، وجريشة: علي، **أدب الحوار والمناظرة،** (المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ-(١٩٨٩م)، ص١٢٩، وناصر: **منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة**، رسالة ماجستير، ص١٥٢، الشهراني: **أساليب الحجاج في القرآن الكريم في سورتي المائدة والأنعام،** رسالة دكتوراة، ص١٢٦.

القضايا لو خلا الإنسان وعقله المجرد وحسه، لقضى الذهن بها لأسباب عارضة أكدت في النفس هذه القضايا[1] .

"**فالقضايا المستعملة في القياس الجدلي لابد أن تكون من المشهورات والمسلمات المتعارف عليها فيما بين المتجادلين**[2] ".

وهذا إذا لم نضع في اعتبارنا تعاليم الشرائع الربانية وما ثبت فيها بيقين، أما إذا وضعنا ذلك باعتبارنا فإن كثيراً من القضايا المشهورة ترتقي ببينات الشريعة القاطعة إلى مرتبة اليقين الجازم، فتكون لدى المؤمنين بالشريعة– العارفين لما ثبت فيها بيقين– يقينيات[3]. ومن أمثلة الحجج الجدلية في القرآن، الاستدلال على ضرورة اليوم الآخر بصفة العدل التي يتصف بها الخالق جل وعلا، وأن عدل الله تعالى يقتضي عدم التسوية بين المسلمين والمجرمين، وأنه تعالى جعل لهم يوماً للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ (سورة القلم)، وقال أيضاً: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾(سورة ص)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾(سورة غافر).

ففي تفسير آية سورة ص، (أَمْ) منقطعة أفادت إضراباً انتقالياً، وهو ارتقاء في الاستدلال على ثبوت البعث والحساب، مع ما مر من الآيات السابقة في السورة[4]، ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ

---

[1] ينظر: الحلي: **القواعد الجلية**، ص٤٠٠.

[2] محمود: **المنطق الصوري والتجريبي**، ص٢٠٤.

[3] لذا فإن الحجج الجدلية في القرآن يقينية.

[4] الموضوع الرئيس في "سورة ص" المخاصمة ورد الباطل، وعرضت الآيات أدلة اليوم الآخر، وذكرت قصة سيدنا داود عليه السلام والحكم بين الناس، وأن الله تعالى لم يخلق السماء والأرض بالباطل، بل لإقرار الحق وإبطال الباطل، ينظر: جماعة من علماء التفسير: **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، (الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط٣، ١٤٣٧هـ)، ص٤٥٣-٤٥٤.

خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ[١] إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾، فهذه الآيات تقرر الحقيقة الهائلة بكل جوانبها وفروعها، وذلك بنفي خلق العالم باطلاً، وإنكار التسوية بين الفريقين، وبيان لما هو من مقتضى خلق السماء والأرض بالحق، وقد كان هذا الانتقال بناء على ما اقتضاه قوله (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) فلأجل ذلك بني على استفهام مقدر بعد (أَمْ) وهو من لوازم استعمالها، وهو استفهام إنكاري، والمعنى: لو انتفى البعث والجزاء كما تزعمون لاستوت عند الله أحوال الصالحين وأحوال المفسدين، لكن ذلك الجعل محال مخالف للحكمة، فتعين البعث والجزاء. والتشبيه في قوله " كَالْمُفْسِدِينَ" للتسوية، والمعنى: إنكار أن يكونوا سواءً في جعل الله، أي إذا لم يجاز كل فريق بما يستحقه على عمله، فالمشاهد في هذه الحياة الدنيا خلاف ذلك، فتعين أن يكون الجزاء في عالم آخر، وهو الذي يسلك له الناس بعد البعث[٢].

ففي هذه الآيات يقيم تعالى الحجة على البعث والجزاء بعدل الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

فهذا النوع من الحجج ملزم للخصم، لأنه لا خلاف في تسليم الطرفين بالمقدمات، فهي شبه يقينية، ولا مجال لردها، فالعدل الرباني الذي ساقته الآيات كمقدمات للاستدلال على اليوم الآخر للحساب والجزاء، يعتقدها الجميع ولو اختلف الدين بينهم، وإنما نزلت مرتبتها عن اليقين

---

[١] لأن العمل في الدنيا يتبعه حساب في الآخرة، وكلٌ يأخذ حقه.

[٢] ينظر: الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي: **روح المعاني**، تحقيق: السيد محمد السيد، سيد ابراهيم عمران، (القاهرة، دار الحديث، د.ط، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، المجلد١٢، ج٢٣، ص٢٤٢-٢٤٣، وقطب: سيد: **في ظلال القرآن**، (القاهرة، دار الشروق، ط٢٥، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ج٥، ص٣٠١٩، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٩، ج٢٣، ص٢٤٩.

قليلاً، إلى رتبة أعلى من الظن الراجح، لأن قضية العدل الإلهي هي أقل يقيناً في قلوب المعاندين، فهي قضية معنوية غير ملموسة[^١].

١.٢.٣ المطلب الثالث: الحجة الخطابية

"الخطابة[^٢]: **صناعة علمية كلامية غرضها في المحاورة إقناع السامعين في كل فن يكون فيه التصديق**-القبول بالشيء حتى لو له ضد ومخالف-، **فإن الإقناع تصديق بالشيء مع اعتقاد أنه يمكن أن يكون له عناد وخلاف، إلا أن النفس تصير بما تسمعه من هذا الفن أميل إلى التصديق به من عناده وخلافه**[^٣]".

وقال الجرجاني في تعريفها: " **قياس مركّب من مقدّمات مقبولة أو مظنونة من شخص مُعْتَقَدٍ فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعله الخطباء والوعّاظ**[^٤]".

فهي حجة غير ملزمة، والإقناع بها نافع بعد أن قصرت أفهام العامة عن التمييز بين الموضوعات، فهي تعتمد على مقدمات مظنونة أو مقبولة، سواء سلم بها المخاطب أم لم يسلم،

---

(١) ينظر: ناصر: **منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة**، رسالة ماجستير، ص١٥٢، والشهراني: **أساليب الحجاج في القرآن الكريم في سورتي المائدة والأنعام**، رسالة دكتوراة، ص١٢٩-١٣٠.

(٢) الهدف من الخطابة الإقناع لا اليقين، فمن خلال الخطابة تميل النفس إلى التصديق دون عناد وخلاف، فالغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم في أمور حياتهم، ينظر: البغدادي: **الكتاب المعتبر في الحكمة الإلهية**، ج١، ص٤٠٣، ومحمود: **المنطق الصوري والتجريبي**، ص٢١٠.

(٣) البغدادي: **المرجع السابق**.

(٤) الجرجاني: **معجم التعريفات**، ص٨٧.

وسواء أفادته ظناً راجحاً أم لم تفده، لكنها عند المستدل تفيد ظناً راجحاً كقولك: محمد يجتهد في دروسه، وكل مجتهد في دروسه ينجح في آخر الفصل، إذن محمد ينجح آخر الفصل[1].

وتقدم هذه الحجة الخطابية في أي طريق من طرق الاستدلال المباشر أو غير المباشر[2]، وتوجد أمثلتها في كل مجالات الفكر، ومعظم قضايا الحياة وقضايا الإنسان، .....وتأتي الحجج الخطابية في القرآن تفيد اليقين " **ومنه قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ (سورة الروم)**[3]".

تخاطب الآية المشركين الذين يجعلون لله نداً، ويشركون معه خلقاً من خلقه، وعبيداً من عباده، وتدفعهم للتفكر في حالهم مع ما يملكون من أرقاء[4]، هل يرضون لأنفسهم أن يكون عبيدهم شركاء فيما يملكون؟ هل يخافونهم كخيفتهم أنفسهم فيستسلمون لمشاركتهم؟ فخطابهم هنا صناعة كلامية- مع صحة المقدمات ورجحانها- لإقناعهم بضلال الشرك، إن تفكروا في المثل.

مثل لكم ربكم أيها القوم مثلاً من أنفسكم، (هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم) من مماليككم من شركاء، فيما رزقناكم من مال، فهل أنتم تعطونهم من أموالكم لأنكم تخافون منهم؟! فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركاء في عبادتكم إياي، هذا ولستم الذين خلقتموهم ورزقتموهم، وهم أيضا مماليك مثلكم، فكيف ترضون أن تجعلوا لله شريكاً من خلقه

---

(1) ينظر: الحلي: جمال الدين حسن يوسف: **الجوهر النضيد شرح منطق التجريد**، تحقيق: محسن بيدارفر، (د.م، انتشارات بيدار، د.ط، د.ت)، ص٤١٠، وحبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص٣٠٠-٣٠١، ومحمود: **المنطق الصوري والتجريبي**، س٢١٠.

(2) وهما من مسالك الحجة البرهانية كما سيتبين في البحث بإذن الله.

(3) حبنكة: **المرجع السابق**، ص٣٠١.

(4) فهي من هذا الجانب تخاطب مشاعرهم، فهل يرضون أن يتساووا مع عبيدهم؟ هل يقبلون أن يشاركوهم أموالهم؟ هل تهابونهم وتخافونهم؟ فهي في القرآن يقينية.

وتجعلوه بمنزلته، وعديلاً له في العبادة، وأنتم لا ترضون مساواة مماليككم لكم؟ وأنتم وهم عبيدي ومماليكي، وأنا مالككم جميعكم[1].

وحيث بطلت الشركة بين العبيد وسادتهم فيما يملكونه، والخلق كلهم لله عبيد، فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكاً لله تعالى، إذ الشركة تقتضي المعاونة، وإذا كان العبيد مفتقرين إلى معاونة بعضهم بعضاً، فالله سبحانه وتعالى منزه عن النقص والحاجة[2].

والتشبيه منصرف لمجموع المركب من الهيئتين، وقابل للتفريق في أجزاء ذلك المركب، فشبه تعالى الأصنام التي هي مخلوقة بمماليك الناس، وإشراك الأصنام في التصرف بالخلق، تشبيه بتشريك المماليك بالتصرف في أرزاق سادتهم، وزعمهم عدول الله عن بعض ما يريده في خلقه لأجل ما يريده الأصنام من شفاعة ورزق وغيره، تصرفٌ يأبونه مع مماليكهم، فهذه الهيئة المشبه بها هيئة قبيحة منفية منكرة، لا وجود لها في عرف المخاطبين، وجاء التشبيه في غاية البلاغة وإيفاء المعنى حقه، وأدخل عليها الاستفهام الإنكاري والجحود لبيان ذلك المعنى الاعتقادي في الصورة المحسوسة المشوهة[3].

---

(1) ينظر: الطبري: أبو جعفر بن جرير: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: إسلام منصور عبدالحميد، وآخرين، (القاهرة، دار الحديث، د.ط، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ج٩، ص٨٤، والسعدي: عبدالرحمن بن ناصر، **مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي**: تحقيق ومتابعة: محمد بن عبدالرحمن السعدي، وآخرين، (الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ج٢، ص٨٠٥، وعباس: فضل: **تفسير القرآن المجيد**، إعداد: اللجنة العلمية جمعية المحافظة على القرآن الكريم، (عمّان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)، ج٤، ص١٧٩٦.

(2) ينظر: القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، المجلد٢، ج٧، ص٢٥٨-٢٥٩.

(3) ينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٨، ج٢١، ص٨٦.

والتشبيه في الآية مركب -كما أشار ابن عاشور-، وهو من فنون البيان في علم البلاغة **والتي تخاطب النفس مباشرة**[1]، والتشبيه المركب هو ما يصح أن تشبه كل جزء من أطرافه مع ما يقابل كل جزء من الطرف الآخر[2].

١.٢.٤ المطلب الرابع: الحجة الشعرية

الشعر: كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية مقفاة، ومادة الشعر من القضايا التي هي مخيلات مما يؤثر في النفس فيبسطها ويقبضها، أو يفيد تسهيل أمر أو تهويله، أو تعظيمه أو تحقيره.

والحجة الشعرية لا يشترط فيها أن تفيد ظناً راجحاً مقبولاً، بل تعمد إلى مقدمات وهمية، -وقد تكون كاذبة- وهي التي تتلاعب بمشاعر المخاطب النفسية، فتتأثر، لتنبسط أو تنقبض، حتى لو كان عارفاً ببطلان الحجة الشعرية، والغرض منه انفعال النفس[3].

"**وقد تستعمل في القياس الشعري المقدمات الأولية والمشهورة، لا من حيث هما كذلك، بل باعتبار آخر- وهو ما يحصل منهما من التأثير المذكور- فبطل قول من قال: إن مقدمات**

---

(1) التشبيه: " علم يراد به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.... والدلالة فهم أمر من **أمر**"، والبيان:" علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة"، ينظر:الحملاوي: أحمد بن محمد: **زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع**، (القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ص١٠٣، والصعيدي: عبد المتعال، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع**، (القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص٣٧٩.

(2) ينظر: الصعيدي: **المرجع السابق**: المعاني والبيان والبديع، ص٤٢٧.

(3) ينظر: الحلي: **الجوهر النضيد شرح منطق التجريد**، ص٤٣٦-٤٣٨، والمظفر: محمد رضا، **المنطق**، تعليق وتحقيق: غلام رضا الفياضي، رحمة الله رحمتي الآراكي، (د.م، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ط، د.ت)، ص٤٦٢، وحبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص٣٠٢، ومحمود: **المنطق الصوري والتجريبي**، ص٢١٦.

القياس الشعري[1] ليست إلا الكواذب، أو إنها من المخيلات...ومواد الشعر في زماننا الألفاظ مطلقاً كيف كانت[2]". "ولا ينبغي أن نظن أن كل شعر باطل، فإن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً، وقد يدرج الحق في وزن الشعر فلا يخرج عن كونه حقاً[3]".

وهذا ما ذكره ابن تيمية بأن كثيراً من المقدمات تكون برهانية تصل إلى اليقين–مع كونها خطابية أو جدلية أو شعرية، فمن جهة التيقن بها فهي برهانية، ومن جهة تسليم الشخص لها فهي جدلية، ومن حيث شهرتها عند الناس فهي خطابية[4].

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يقدم لنا الحجج المنطقية مقترنة بما يحرك النفوس ويأسرها، ويحرك مشاعرها لقبول الحجة، فهي يقينية، لها تأثير على النفس والمشاعر، وقبول عند الناس[5]، فالقرآن الكريم وإن كان يخاطب المشاعر ويحركها فتستجيب له– كما اعتاد العرب في أشعارهم–، إلا أنه ليس شعراً، ولذلك قالوا عنه شعراً، ولكنه ليس كذلك بل جاء باليقينيات وإن تعددت الأساليب.

ويؤكد العلّامة محمد دراز ذلك حيث يقول: فمن الكلام الواحد تأتي الحقائق البرهانية الصارمة، بما يُرضي الفلاسفة، والمتعة الوجدانية بما يرضي الشعراء، فهو في معمعة براهينه يعطي القلب حظه من ترقيق وتشويق وترهيب وترغيب، والعقل نصيبه من التفكر والأحكام، ويكون ذلك في كل آياته ومطالعها، فانظر قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ

---

[1] تسمي بعض كتب المنطق الحجة الشعرية بـ (القياس الشعري) شأن الحجج الأخرى، ينظر: الغزالي: **معيار العلم في فن المنطق**، ص١٣٦، والحلي: **الجوهر النضيد شرح منطق التوحيد**، ص٤٣٦، ومحمود، **المنطق الصوري والتجريبي**، ص٢١٦.

[2] الحلي: **المرجع السابق**، ص٤٣٩.

[3] الغزالي: **معيار العلم**، ص١٣٧.

[4] ينظر: ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد٥، ج٩، ص٩.

[5] ينظر: حبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص٣٠٣، والشهراني: **أساليب الحجاج في القرآن الكريم في سورتي المائدة والأنعام**، رسالة دكتوراة، ص١٣٤.

جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴿٢٣﴾ (سورة الزمر)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ (سورة الطارق).

واقرأ قوله تعالى: ﴿لَو كانَ فيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبحانَ اللَّهِ رَبِّ العَرشِ عَمّا يَصِفونَ ﴿٢٢﴾ (سورة الأنبياء)، فالدليل نفسه يجمع بين وضوح المقدمات المسلمة وعمق يقينها، ودقة التصوير، فهو جامع برهان جدلي عاطفي ... هل يوجد هذا في غير كتاب الله؟[1].

١.٢.٥ المطلب الخامس: الحجة الباطلة القائمة على الغلط أو المغالطة

لا تصلح هذه الحجة للقطعيات ولا للظنيات، بل تصلح للتلبيس وللمغالطة، فهي مؤلفة من مقدمات كاذبة، أو فيها ما هو كاذب، فإذا كانت المقدمات قائمة على خطأ غير مقصود فهي (غلط)، وألوان الغلط في القضايا والادعاءات لا حصر لها، ومتى ظهر الغلط في المقدمات، رُفضت الحجة مع بيان وجه الغلط.

وإذا كانت المقدمات قائمة على خطأ مقصود، لبّس الحق بالباطل لغرض التمويه والتضليل، فهي (مغالطة)، والغرض منها إبطال الحقائق، ويصطنعها أهل الباطل، وهي محرمة في الإسلام[2].

فما حكاه رب العزة عن فرعون حيث قال: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ (سورة الزخرف).

---

[1] ينظر: دراز: محمد عبد الله: **النبأ العظيم**، (القاهرة، مركز إبصار للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م)، ص١٠٩-١١٠.

[2] ينظر: البغدادي: **الكتاب المعتبر في الحكمة الإلهية**، ج١، ص٣٩٣، وحبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص٣٠٤، وجريشة: **أدب الحوار والمناظرة**، ص١٣٠.

وهذا النوع في القرآن يكون حكاية عن أهل الباطل، لأنهم يضللون الناس بالمقدمات الكاذبة.

فرعون يرى أنه أفضل من موسى عليه السلام لأنه أُلبس الذهب من الأساور، وأن الأنهار تجري من تحته، وموسى ليس مثله، وهو لا يكاد يبين.

فالمقدمات التي طرحها فرعون على قومه:

- فرعون غني كثير المال، ملك مصر، والأنهار تجري من تحته، وأُلبس الأساور.
- موسى عليه السلام رجل مهين لكونه فقيراً ضعيف الحال، فيه حبسة في لسانه(١).

الرجل الفقير الذي لا يكاد يفصح عن حجته لا يكون رسولاً.

النتيجة: إذاً فرعون أولى بالطاعة والاتباع من موسى عليه السلام.

وبيّن تعالى كيف استخف قومه فأطاعوه في هذه الحجة الباطلة القائمة على المغالطة.

استخفهم: حملهم على الجهل، وأثَّر فيهم بتمويهه، فاستجابوا له لخفة أحلامهم، وقلة عقولهم على الرغم مما جاءهم به موسى عليه السلام من بينات(٢).

يقول السعدي: " **استخف عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشبه، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا حقيقة تحتها، وليست دليلاً على حق ولا على باطل، ولا تروج إلا على ضعفاء العقول. فأي دليل يدل على أن فرعون محق، لكون مُلْكِ مصر له، وأنهاره تجري من تحته؟ وأي دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقلة أتباعه، وثقل لسانه، وعدم تحلية الله له(٣)، ولكنه لقي ملأ لا معقول عندهم، فمهما قال اتبعوه(٤)**".

---

(١) ينظر: الرازي: **تفسير الرازي**، ج٢٧، ص٢١٨.

(٢) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٣، ج٢٥، ص٣١٠، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٣١٩٤، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد١٠، ج٢٥، ص٢٣٣.

(٣) حيث إنه أُلبس أساور وحلي، وموسى عليه السلام ليس مثله ودلالته قول الله تعالى حكاية عنه: (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسورة مِّن ذَهَبٍ) (سورة الزخرف)، وهذا في طلب المشركين دلالة على صدق محمد صلى الله علبه وسلم.

(٤) السعدي: **تفسير السعدي**، ص٩٦٨.

وقد اهتمت كتب المنطق بموضوع الحجج شرحاً وبياناً ونظماً، وقد نظم الأخضري أنواع الحجج في منظومته "السلم المنورق"[1].

فصلٌ فِي أَقسَامِ الحُجَّةِ

وَحُجَّةٌ نَقلِيَّةٌ عَقلِيَّه		أَقسَامُ هَذِي خَمسَةٌ جَلِيَّه
خَطَابَةٌ شِعرٌ وَبُرهَانٌ جَدَل		وَخَامِسٌ سَفسَطَةٌ نِلتَ الأَمَل
أَجَلُّهَا البُرهَانُ مَا أُلِّفَ مِن		مُقَدِّمَاتٍ بِاليَقِينِ تَقتَرِن
مِن أَوَّلِيَّاتٍ مُشَاهَدَاتِ		مُجَرَّبَاتٍ، مُتَوَاتِرَاتِ
وَحَدَسِيَّاتٍ وَمَحسُوسَاتِ		فَتِلكَ جُملَةُ اليَقِينِيَّاتِ
وَفِي دَلاَلَةِ المُقَدِّمَاتِ		عَلَى النَّتِيجَةِ خِلاَفٌ آتِ
عَقلِيٌّ او عَادِيٌّ او تَوَلُّدُ		أَو وَاجِبٌ وَالأَوَّلُ المُؤَيَّدُ

[1] فحف: محمد محفوظ بن الشيخ، **رفع الأعلام على سلم الأخضري وتوشيح عبد السلام في علم المنطق**، (د.م، محمد محمود ولد الأمين، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ص٢٤٢.

المبحث الثالث: طرق المعرفة ومسالك الحجة البرهانية

عند الحديث عن مسالك الحجة البرهانية، لابد من بيان معنى المعرفة وطرق الوصول إليها وأسبابها، للوصول إلى اليقين ومسالك الحجة البرهانية.

١.٣.١ المطلب الأول: المعرفة وطرق الوصول إليها

المعرفة لغة: إدراك الشيء بتفكر وتدبر، وهو أخص من العلم، وضده الإنكار[١]، وكما قال ابن فارس: "**العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة..... تقول: عرف فلان فلاناً عرفاناً ومعرفة، وهذا أمر معروف، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه، لأن من أنكر شيئاً توحش منه ونبا عنه**[٢]". فهي معنى يستقر في النفس وتطمئن إليه ولا تنكره.

"**المعرفة اصطلاحاً: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم**[٣]".

ومن أهل العلم مَن ذهب إلى أن مفهوم العلم موافق للمعرفة، فالعلم هو: "**الاعتقاد الجازم المطابق للواقع**[٤]".

وذهب ابن حزم إلى أن: "**العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد، وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقنه وارتفاع الشكوك عنه**[٥]"، فهو العلم المطابق للواقع.

---

(١) الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص٣٣٤.

(٢) ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، ج٤، ص٢٨١.

(٣) الكفوي: **الكليات**، ص١٨٥.

(٤) **المرجع السابق**، ص١٣٠.

(٥) ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، (بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥هـ)، ج٥، ص١٠٩.

والعلم المطابق للواقع على درجات بعضها فوق بعض بالنسبة إلى تمكنه وتأثيره على جوانب النفس المختلفة، فما يلزم الفكر إلزاماً –سواء كان من اليقينيات الضرورية أو النظرية–لا يحتمل النقيض فهو اليقين، وقد يصاحبه الإيمان، بمعنى الاعتراف والتسليم، إن خلت من المانع.

١.٣.٢ المطلب الثاني: أسباب المعرفة

- السبب لغة: "**اسم لما يتوصل به إلى المقصود**[١]".
- السبب اصطلاحا: "**عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه**[٢]".

وأسباب المعرفة ثلاثة هي:

أولاً: الحواس السليمة:

وهي التي يحكم العقل بضرورة وجودها، "**والإنسان منذ أول نشأنه يكسب بحواسه الخمسة معلومات جزئية، ترتسم في حسه، وينتزع منها حقائق كلية، يدخرها في نفسه**[٣]".

وقد جاءت في القرآن الكريم في معرض الامتنان في كثير من الآيات القرآنية للتنويه على هذه النعمة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخرَجَكُم مِن بُطونِ أُمَّهاتِكُم لا تَعلَمونَ شَيئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَالأَفئِدَةَ لَعَلَّكُم تَشكُرونَ﴿٧٨﴾﴾ (سورة النحل) لما فيها من منافع، إذ هيأها الله للإنسان تعينه على المعرفة اليقينية وإدراك ما حوله.

---

(١) الجرجاني: **معجم التعريفات**، ص١٠١.

(٢) التهانوي: **كشاف اصطلاحات الفنون**، ج١، ص٩٢٤.

(٣) عبد الله: محمد المبارك: **المنطق في شكله العربي**، (القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح، د.ط، د.ت)، ج١، ص١٠.

وبينت الآيات فضل الله على الناس بهذه الحواس، وأنه سبحانه ذو النعمة والفضل، قال تعالى: ﴿قُل أَرَأَيتُم إِن أَخَذَ اللَّهُ سَمعَكُم وَأَبصارَكُم وَخَتَمَ عَلى قُلوبِكُم مَن إِلهٌ غَيرُ اللَّهِ يَأتيكُم بِهِ انظُر كَيفَ نُصَرِّفُ الآياتِ ثُمَّ هُم يَصدِفونَ﴿٤٦﴾ (سورة الأنعام)

وأما ما لا يعطي دليلاً يقينياً يفيد المعرفة الصحيحة فهذا ليس له أصل في الأصول الإسلامية المبنية على الحق ومطابقة الواقع، كما قال تعالى عن المشركين وكفرهم بالبعث بعد الموت، ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ (سورة الجاثية)[1].

ومثلها الحواس الباطنة التي يثبتها الفلاسفة وليس لها ضابط، فهي تتوصل للمبادئ الأولية بمجهودها العقلي المتفاوت بين البشر، وترى أن اليقينيات واردات ترد على النفوس تعجز عن ردها ولا تعترف بما وراء الحس والمشاهدة وتستبطن الأمر وتعرض عن الظاهر الواضح، بل

---

[1] "وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، وينسبون الأفعال إلى الدهر، وإنما فاعلها هو الله عز وجل، وما لهم في هذا المقول من دليل ولا علم إنما هي تخرصات وظنون"، ابن كثير: **مختصر تفسير القرآن**، ج٣، ص٢٦١.

ويقول الفارابي في تعاقب الصور على الهيولي: وعلى هذه الجهات يكون وجودها أولاً، فإذا وجدت فسبيلها أن تبقى وتدوم، ولكن لما كان ما هذه حاله من الموجودات قوامه من مادة وصورة، وكانت الصور متضادة، وكل مادة فإن شأنها أن توجد لها هذه الصورة وضدها، صار لكل واحد من هذه الأجسام حق واستئهال بمادته، وأن الشيء الذي يبدأ من جديد في اللحظة التي ينتهي بها من شأنه أن يدوم ويبقى، فالفيلسوف يجرد الجسم من كل الصور الجسمانية حتى يرى المادة أو الجوهر غير متشكل وهو الهيولي"، والهيلومورفيه لفظ مؤلف من لفظين هيولو وهو (الهيولي، وهو قابل للتصور)، ومورفيه وهي (المادة)، وهي نظرية أرسطية تفسر تكون الأجسام، فلا وجود في عالمنا لمادة بدون صورة أو لصورة بدون مادة، وسبب تعاقب الصور على المادة هو تضاد الصور وقبول المادة للتضاد، ينظر: الفارابي: محمد بن محمد: **آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها**، تحقيق: علي بو محلم، (د.م، دار ومكتبة الهلال، ط١، د.ت)، ص٧٥، وحبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص٣٥٠، وسعيد: جلال الدين، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، (تونس، دار الجنوب، د.ط، ٢٠٠٤م)، ص٢٠١.

تأتي بما يخالف الظاهر أو ينقضه. وهي تكثر في كلام الفلاسفة المخالفين للإسلام وكلام أهل الباطن، رغم زعمهم أنهم يبحثون في أصل الوجود وغايته الذي هو موضوع الدين، ولا يعني هذا الاتفاق بينهما دائماً[1].

ثانياً: الخبر الصادق المطابق للواقع، وهو على نوعين:

- الخبر المتواتر المروي عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب.
- خبر الرسول صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحي، والتسليم بثبوته يستند إلى الدلائل العقلية.

---

(1) الظهر: ضد البطن والظاهر ضد الباطن، واستبطن الشيء: طلب ما في بطنه، وقد يأتون بالمعنى صحيحاً إلا أن الدليل لا يحتمله ويسمونه "الإشارات"، ينظر: الرازي: محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، طبعة مدققة من دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، (بيروت، مكتبة لبنان، د. ط، ١٩٨٦م)، ص٢٣-١٧٠-١٧١، و:ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد٧، ج١٣، ص١٢٦-١٢٩، و**نقض المنطق**، تحقيق: محمد عبدالرزاق حمزة، وآخرين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٧٠هـ--١٩١٥م)، ص٤٢، وابن القيم: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، تحقيق: محمد حامد الفقي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، ١٤١٨هـ)، ج٢، ص٢٥٤، ودراز: محمد عبدالله، **الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، (القاهرة، مكتبة الفنون والآداب، مؤسسة اقرأ، د. ط، ٢٠٠٧م)، ص٦٥-٧٦، والجهني: مانع بن حماد، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، (المملكة العربية السعودية، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ١٤٣٥هـ-، ٢٠١٤م)، ج٢، ص١١٠٨-١١١١، والرشيد، هيفاء بنت ناصر، **التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية**، (الرياض، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ص٣٠-٣٢، والأنصاري: عبدالله بن أحمد، **الأثر الفلسفي على آراء الرازي العقدية**، (الخبر، تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م)، ص٢٩، ،.

ثالثاً: العقل:

أصل العقل الإمساك، والاستمساك، مأخوذ من عقال البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل، ويقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان.

وهو جوهر[1] مجرد يدرك الغائبات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة، "**وهو علم بالضروريات، واستعداد النفس لاكتساب النظريات، وأن تصير النظريات مخزونة عند قوة العاقلة بتكرار الاكتساب، بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشم كسب جديد، لكنها لا يشاهدها بالفعل، فتحضر النظريات التي أدركها بحيث لا تغيب عنه**[2]"، فالعلم الثابت بالعقل بالبديهة ضروري، كالعلم بأن كل الشيء أعظم من جزئه، وهو أنه مفهوم غريزي فطري، علومه ضرورية لا تقبل الاستدلال، والمفهوم الكسبي هو المولد من العلوم الضرورية، المفهوم العملي وهو المرتبط بالقيم الدنية والعقلية، [3].

والمقصود أن العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة، وهو الذي نسميه عرضاً قائماً بالعقل، والعرض **لغة:** عَرَض الشيء، وعروضاً، فهو أشرف وأقبل، وعرض له عارض، فهو يعرض في الوجود ولا يطول لبثه، **واصطلاحاً:** ما يعرض في الوجود ولا يجب لبثه كلبث الجواهر والأجسام، ولا يصح وجوده إلا قائماً في محل، وعلى هذا دل القرآن في قوله تعلى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

---

[1] جوهر الشيء حقيقته وذاته، والجوهر لا يتعلق بغيره، بل يحصل موجوداً لا في محل، وهو قائم بنفسه، ينظر: مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ص١٥٤، ودغيم: سميح، **موسوعة مصطلحات الأشعري والقاضي عبد الجبار**، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٢م)، ص٢٣٢.

[2] الجرجاني، **معجم التعريفات**، ص١٢٨.

[3] ينظر: الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص٣٤٥، ينظر: **بغية المرتاد**، تحقيق: موسى بن سليمان الدرويش، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ص٢٣٨-٢٧٤، والتفتازاني: سعد الدين، **شرح العقيدة النسفية**، تحقيق: مصطفى مرزوقي، (الجزائر، دار الهدى، د. ط، د.ت)، ص١٥-٢٣، والقرني: **المعرفة في الإسلام**، ص٢٩-٣٠.والدجاني: عبد الله بن نافع: **منهج ابن تيمية المعرفي**، (الخبر، مركز تكوين، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، ص٢٣٨.

﴿٧٣﴾ (سورة البقرة)، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴿٤٦﴾ (سورة الحج)، والعقل المشروط في التكليف لابد أن يكون علوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره ، **و**" العقل " في كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم بالعاقل سواء سمي عرضًا أو صفة، ليس هو عينًا قائمة بنفسها سواء سمي جوهرًا أو جسمًا أو غير ذلك، فالعقل يرجع لما هو يقيني ضروري ليصل إلى اليقيني النظري[١].

١.٣.٣ المطلب الثالث: طرق المعرفة الموصولة لليقين

بعد معرفة أسباب العلم الثلاثة كما أوردها النسفي، يتناول البحث الطرق الموصلة لليقين، لذا وجب التنويه أن اليقينيات ضربان: يقينيات ضرورية، وأخرى نظرية.

واليقينيات النظرية هي: المبرهن عليها بالدليل، وهو ما يلزم العلم به العلم بشيء آخر، والدلالة: هي فهم أمر من أمر.... والمراد بالشيء الأول الدال، وبالشيء الثاني المدلول، فنقدم دليلاً ندل به على أمر ما، أو نثبت قضية معينة، [٢].

أما الضرورية فهي: ما لا تحتاج إلى دليل، وهي:

١. الأوليات: وهي التي يحكم فيها العقل بمجرد تصور طرفيها والنسبة، كمثال: النقيضان لا يجتمعان، فمن تصور وفهم معنى النقيض جزم بأنهما لا يجتمعان، وهذه القضايا تصادف مرتسمة في النفس، ولا يمكن الوقوف عليها سوى مجرد العقل.

---

[١] ينظر: ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، ج٩، ص١٥٣، ج٥، ص١٢٣، ومجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ص٦١٤، ودغيم: **موسوعة مصطلحات الأشعري والقاضي عبد الجبار**، ص٦٧٠.

[٢] ينظر:الجرجاني، **معجم التعريفات** ص٧٩٦، ومحمود: **المنطق الصوري والتجريبي**، ص٤٢، وأحمد: عزمي طه السيد، **مدخل إلى علم المنطق**، (عمان، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٥م)، ص١٢٣، والبغدادي: **الواضح في المنطق**، ص١٨٠، فهي بعد البرهان عليها بالدليل تصبح يقينية بعد أن كانت نظرية.

٢. المتواترات: وهي التي يحكم العقل بمعونة السماع من جمع كثير يستحيل في نظر العقل أن يتفقوا على الكذب، ولا يتعارض مضمون خبرهم مع أصل من أصول العقل وقوانينه الذاتية، كمعرفتنا أن أبا بكر رضي الله عنه هو الخليفة الأول للمسلمين، ونظير الخبر المتواتر خبر بعثة النبي- صلى الله عليه وسلم المعصوم المؤيد من الله جلَّ وعزَّ[١].

٣. المحسوسات: وهي المدركة بالحواس الخمس[٢]، والإحساس قوة فطرية تقتضي الانطباع بالمعطيات الحسية التي هي غاية ما ندركه من الأشياء في حالات الإدراك الطبيعي، وهي الحواس الظاهرة كرؤيتك الشمس مشرقة، فأنت لا تتصور معنى الشمس ومعنى مشرقة والنسبة بينهما إلا أن تشاهد ذلك بعينك، أو الباطنة كشعورك بالجوع، فأنت تصدق بهذه القضية لأنك تحس بها، فيدخل فيه المجربات، وإدراكها يعتمد على ملاحظة الحس، مضافاً إليه تعميم عقلي يأتي عن طريق التمثيل، والإحساس ينطبع مباشرة وبلا واسطة بالمعطيات الحسية للواقع الخارجي،

---

[١] في علوم الحديث العدد لا يُعتبر لقبول الخبر، " وتثبيت خبر الواحد أقوى من أن يحتاج إلى أن أمثله بغيره، بل هو أصل في نفسه، الحسن حجة كالصحيح وإن كان دونه، ولذلك أدرجه بعض أهل الحديث فيه ، وهذا يعني أننا نقبل الخبر في الحديث حتى من رواية الواحد إذا احتفت به القرائن، وهو عندنا من الضروريات، ومصطلح (التواتر) لم يكن عند المتقدمين من أهل الحديث، لكونه لا يشمل صناعتهم ، ينظر: الشافعي: أبو عبدالله محمد بن إدريس المطلبي القرشي، **الرسالة**، تحقيق: أحمد شاكر، (د.م، د.ن، د.ط، د.ت)، ج٢. ص٣٨٤، وابن الصلاح: أبو عمرو عثمان الشهرزوري الموصلي: **علوم الحديث**: تحقيق: أبي معاذ طارق عوض الله، (الرياض، دار ابن القيم، ط٣، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م) ج٤، ص٣٤٤، والدمشقي: شرف الدين أبو محمد الحسين الطيبي، **الخلاصة في معرفة الحديث**، تحقيق: أبي عاصم الأثري، (القاهرة، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص٤٥، وأبو حليمة: **منهج الإمام الشافعي في نقد الأحاديث-دراسة تطبيقية**-، رسالة ماجستير، ص١٠٠.

[٢] "ينبغي التنبه إلى أن الغلط قد يتطرق إلى الحواس لعارض"، النملة: **اتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر**، ص٣١٠.

بحيث يلزم تحقق الإحساس بالواقع الخارجي بمجرد وجوده وانتفاء موانع الإحساس به، فالإدراك الحسي لا يتوقف على شروط خارجة عن قوة الإحساس المقتضية للإدراك الحسي لذاتها، وإنما يتوقف على مجرد انتفاء موانع الإحساس والتي تتعلق بالواقع الخارجي لا بالإحساس في ذاته، فهذا هو معنى كون الإحساس قوة فطرية، فمتى انتفت موانع الإحساس يمكن إدراك الواقع في العالم الخارجي، لأن الإحساس قوة فطرية.

٤. المجربات: وهي التي يحكم العقل فيها بمعونة التكرار، وإدراك الأشياء وإن كان مشروطاً بالإحساس، لكنه لا يتوقف عليه وحده، بل لا يكون الإحساس بالشيء معتبراً إلا إذا صاحبه حكم العقل الذي يتحقق به تصور الشيء وتميزه، فالحواس تنقل المعطيات الحسية، والعقل يؤلف بين تلك المعطيات الحسية، فيحصل من ذلك تصور وإدراك للشيء المحسوس، فقولك: البنج مخدر، هذه القضية حكم العقل بصدقها اعتماداً على التجربة والتكرار، ولا تكفي المشاهدة.

٥. الحدسيات: وهي عبارة عن مشاهدات لظاهرة وقعت، فيربط الذهن بينها وبين أمر آخر، فهي ربط بين شيء مشاهد وآخر، على أن يكون الأمر المشاهد قد نتج من ذلك الشيء الآخر، لوجود علامة مشعرة بذلك الربط، والحدسيات تحصل من غير تفكير واستدلال، وإنما هي تهجم على النفس بسبب تلك المشاهدات، فإن احتاجت إلى استدلال فهي نظرية لا يقينية، والحدسيات كي تحصل لابد من توفر مجموعة من الأمور هي:

أولاً: أن يرى الناظر أمراً مشاهداً، كظاهرة من الظواهر الطبيعية.

ثانياً: أن تتكرر مشاهدته له، كي يعلم أنها حالة مضطردة.

ثالثاً: أن يعزو هذه الظاهرة إلى أمر هو السبب في حصول تلك الظاهرة.

رابعاً: أن يكون هناك علامة قادته إلى الربط بينهما.

خامساً: أن يحصل ذلك الربط بدون فكر وتأمل وطلب دليل، بل تذعن به النفس مباشرة، كي لا يكون نظرياً.

سادساً: أن لا يكون تأثير السبب في تلك الظاهرة أمراً مشاهداً، لأنها حينئذ تكون محسوسات.

فمثلاً: إذا رأى الشخص أن المطر نزل وابتلت الأرض فهذا ليس حدسياً، بل هو من المحسوسات، أو رأى النار تحرق الورق فهذا من المحسوسات، والحدس لابد له من نوع استنباط، ومثاله: أن يرى الناظر أن ثمار الأشجار وغيرها تهبط دائماً وترجع إلى الأرض، مما يدل على وجود الجاذبية، وأنها هي سبب السقوط إلى الأسفل.

وهكذا نجد أن الحدسيات هي تفسير لبعض الظواهر، وقد استخدمها العلماء في تفسير بعض الأمور الكونية والحوادث الطبيعية، كالزلازل، وتلقاها الناس بالقبول.

٦. الفطريات: وهي التي يحكم العقل فيها بمعونة دليل حاضر في الذهن، بمعنى أن يتصور طرفي القضية والنسبة بينهما، وحينها سيجزم الذهن ويوقن بالقضية لوجود دليل حاضر لا يحتاج الإنسان أن يستذكره ويستحضره، بل هو موجود دائماً، وسميت بالفطريات لرسوخ الدليل في فطرة الإنسان، فلا يحتاج لطلبه عند تصور القضية.

ومثالها: الأربعة زوج، فإن تصور الأربعة وتصور الزوجية جزم بأنها زوج، ولكن احتاج إلى دليل مقارن لهذه القضية، وهي أننا إذا قسمنا الأربعة فهي تنقسم إلى قسمين متساويين، فهو زوج، وهذا الدليل حاضر في نفس الإنسان، ولأجل رسوخه في ذهنه يجزم بالقضية دون أن يشعر، فهو لا يجزم به لذات القضية، بل لدليل حاضر في الذهن[١].

والفرق بينها وبين الأوليات: أن الأوليات لا تحتاج إلى دليل حاضر بعد تصور الجملة، بل هي بنفسها كافية للجزم بمضمونها.

١.٣.٤ المطلب الرابع: مسالك الحجة البرهانية[٢]

بعد عرض طرق المعرفة وأسبابها يمكننا أن نبين هنا مسالك الاستدلال في الحجة البرهانية في المنطق وعند الأصوليين، وهذه المسالك يستخدمها العقل في جمع وترتيب أسباب المعرفة ليصل من خلالها إلى حجة برهانية[٣].

فالعقل عقلان: عقل غريزي طبعي، وهو القوة المهيأة لقبول العلم، وهو أبو العلم ومربيه، وهو بمنزلة البصر للجسد، وعقل كسبي مستفاد وهو بمنزلة النور المستفاد من الشمس، وهو ولد

---

(١) ينظر: المغنيسي: **مغني الطلاب شرح متن إيساغوجي**، ص٢٣٨-٢٤٥، وحبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص١٣٤، ومحمد، عيد الوصيف، **علم المنطق الحديث والقديم،على النظام الصحيح والنظم القويم**، (بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٣هـ-٢٠١٤م)، ص١٢٢-١٢٤، والقرني: **المعرفة في الإسلام**، ص٣٣١-٣٣٢، والجندي: عبدالرحيم فرج: **شرح السلم في المنطق للأخضري**، (القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ١٤٣٥م-٢٠١٤هـ)، ص١١٣، والنملة: **اتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر**، ص٢٩٩-٣٠٤، والبغدادي: أبو مصطفى، **الواضح في المنطق، شرح وتوضيح متن إيساغوجي**، (د.م، د.ن، د.ط، ٢٠١٢م)، ص٢٦٨-٢٧٦.

(٢) يتعرض البحث لبعض المسالك المنطقية عند عرض كلام المفسرين بما يتفق ومعنى الآية.

(٣) والأدلة القرآنية كما تعتمد على العلوم العقلية فهي لا تنكر الشعور الفطري الذي أودعه الله في المخلوقات.

العلم وثمرته ونتيجته، فالعقل هو العلوم الضرورية، وهو العمل بموجب تلك العلوم، فإذا اجتمعا في العبد استقام أمره وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب[1].

"وأعمال العقل في البحث عن المعارف أعمال استدلالية، والاستدلال إما ان يكون مباشراً أو غير مباشر، ولدى عرض أعمال العقل على الآخرين لابد من أن تصاغ وفق طريق من طرق الحجة حتى يقتنعوا بها، وسنعرض طرق الاستدلال وكيفية صوغ الحجج المقنعة[2]".

في العقل علوم ضرورية عند الجميع وهي المرجعية التي يرجع إليها حين البحث في المقدمات، وبقدر سلامة المقدمات تكون صحة النتائج، فهو يبحث في علوم أولية، ومن أنكر هذه العلوم فلا تؤثر فيه الحجج البرهانية الإلزامية.

والاستدلال في العقل: هو استنتاج قضية من قضية أو من عدة قضايا، والوصول إلى ما لم يكن معلوماً، فهو انتقال الذهن من أمر معقول إلى أمر مُدرك عقلي كان مجهولاً، وهو غاية المنطق، والهدف الأعلى له، وينقسم إلى استدلال مباشر وغير مباشر[3].

---

[1] ينظر: الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد ابن المفضل الراغب، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، (بيروت، د.ن، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)، ص٩٢-٩٥، والغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**: تحقيق: محمد خير طعمة حلبي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، د.ت)، ص١١٦-١١٧، وابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، ج٩، ص١٥٣، وابن القيم: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة**، تقديم وتعليق: علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد الحلبي الأثري، مراجعة: بكر أبي زيد، (القاهرة، دار ابن القيم، الرياض، دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ج١، ص٣٨٤.

[2] حبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص١٣٥-١٣٦، بتصرف.

فعمل العقل بالاستفادة من العلوم الضرورية التي تسلم لها العقول الصحيحة والفطر السليمة.

[3] ينظر: محمود: **المنطق الصوري والتجريبي**، ص١١٩، وعبيد: فؤاد: **مدخل إلى علم المنطق**، (الجزائر، دار الكتاب الحديث، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٣م)، ص٨٥، وأحمد: **مدخل إلى علم المنطق**، ص١٢٣.

المسلك الأول: طرق الاستدلال المباشر[١]

هو إقامة الدليل على المطلوب وإثباته بطريقة مباشرة[٢]، فمن مقدمة واحدة ننشئ قضية جديدة متعلقة بها لزوماً، ثم نقيم الدليل لإثبات أو نفي حكم القضية، ومن تلك النتيجة ينتج المطلوب لوجود علاقة تلازم بين المطلوب والقضية التي أنشأناها[٣].

فمثلاً: نريد إثبات أن (الروح موجودة)، فننشئ قضية جديدة لها علاقة لزومية مع المطلوب وهي (الروح ليست موجودة)، هل هي قضية صحيحة أم خاطئة؟

ومع ملاحظة الحال بين الإنسان الحي والميت، فالإنسان الحي يستطيع الحركة والإدراك، ثم إذا مات انقطع ذلك كله، فندرك أن هناك روحاً كانت مسؤولة عن هذا في حال الحياة، فقضية أن (الروح ليست موجودة) حتماً قضية خاطئة. نصل إلى أن (الروح ليست موجودة) قضية خاطئة، ثم نلتفت إلى العلاقة التلازمية بين هذه القضية التي أثبتناها عن طريق الحس والمشاهدة– وهي أن الروح غير موجودة– والمطلوب إثباته، فنصل إلى صدق قضية: (الروح موجودة)[٤].

ولهذا النوع من الاستدلال ثلاث طرائق: التناقض، العكس المستوي، العكس النقيض.

---

[١] قسّم الدكتور عزمي أحمد الاستدلال إلى ثلاثة أنواع: الاستنباطي، الاستقرائي، التمثيلي، وعد الاستنباطي فقط هو الاستدلال المباشر، وهو: عدد من القضايا مرتبة على صورة معينة تضم مقدمة أو مقدمات، ونتيجة كانت كامنة أو متضمنة في المقدمة، أو المقدمات فجرى إظهارها، ينظر: إمام، زكريا: **أساليب الحجاج في القرآن الكريم–نماذج من الحجج الاستنباطية**، (د.م، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، د.ط، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م)، ص٤–٥، ٧–١١، وأحمد: **مدخل إلى علم المنطق**، ص١٢٥–١٣٤.

[٢] هناك من صنف طرائق الاستدلال بطريقة معكوسة، جعل ما هو مباشر غير مباشر والعكس، ينظر: الفضلي: عبد الهادي، **مذكرة المنطق**، (طهران، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت)، ص١١٢–١٢٦.

[٣] ينظر: فضل الله، هادي، **مقدمات في علم المنطق**، (بيروت، دار الكاتب العربي، ط٢، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، ص١٦٤، وأحمد: **المرجع السابق**، ص١٣٤، وعبيد: **مدخل إلى علم المنطق**، ص٨٥–٨٦.

[٤] ينظر: عبيد: **المرجع السابق**، ص٨٦.

- **أولاً: الاستدلال المباشر بالتناقض**

كما اتضح لنا أننا في كثير من الأحيان نكون في أمس الحاجة إلى الاستدلال على قضية ليست هي نفس القضية المطلوبة، ولكن العلم بكذبها يلزمه العلم بصدق المطلوب، فالقضيتان اللتان لهما هذه الصفة هما القضيتان المتناقضتان، فإذا صدقت إحداهما كذبت الأخرى.

تعريف التناقض:

- لغة:

النقض انتثار العَقدِ من البناء والحبل، والعقد ضد الإبرام..... ومن نقض الحبل والعقد استعير نقض العهد، والنقيضان من الكلام ما لا يصح أحدهما مع الآخر، نحو هو كذا، وليس كذا، في شيء واحد، وحالة واحدة[١]".

- اصطلاحاً:

التناقض هو سلب الشيء، وهو اختلاف في القضيتين يقتضي لذاته أن تكون إحداهما صادقة، والأخرى كاذبة[٢]. "**وهو في الأصل ثبوت الشيء وسلبه...فهو اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب بحيث تصدق إحداهما، وتكذب الأخرى**[٣]".

---

(١) الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص٥٠٥-٥٠٦، مادة (نقض).

(٢) ينظر: المظفر، محمد رضا، **المنطق**، ص١٦٧، والصعيدي: عبد المتعال، **تجديد علم المنطق في شرح الخبيصي على التهذيب**، (القاهرة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده، د.ط، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م)، ص٩٢، وعبيد: **مدخل إلى علم المنطق**، ص٩٤.

(٣) الدمنهوري: أحمد: **رسالة في المنطق ايضاح المبهم في معاني السلم**، حققها وقدم لها: عمر فاروق الطباع (بيروت، مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ص٦٦.

قال صاحب السلم:

تَنَاقُضٌ خُلفُ القَضِيَّتَينِ فِي — كَيفٍ وَصِدقُ وَاحِدٍ أَمرٌ قُفِ

فَإِن تَكُن شَخصِيَّةً أَو مُهمَلَه — فَنَقضُهَا بِالكَيفِ أَن تُبَدِّلَه

وَإِن تَكُن مَحصُورَةً بِالسور — فانقُض بِضِدِّ سُورِهَا المَذكُورِ

فَإِن تَكُن مُوجَبَةً كُلِّيَّة — نَقِيضُهَا سَالِبَةٌ جُزئِيَّة

وَإِن تَكُن سَالِبَةً كُلِّيَّة — نَقِيضُهَا مُوجَبَةٌ جُزئِيَّة[١]

فاختلاف قضيتين يلزم منه لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى.

فالتناقض هو نوع تلازم تعاندي بين قضيتين، فإذا صدقت إحداهما كذبت الأخرى.

فإذا أردت أن تستدل على صحة قضية ما فسيكون عندك خياران:

١. أن تثبت بالدليل صحة القضية التي تؤمن بها.

٢. أن تثبت بالدليل بطلان القضية المناقضة التي تؤمن بها.

فمثلاً إذا أردت أن تثبت للمشكك بوجود الله أن (الله موجود) فإما أن تثبت مباشرة أن (الله موجود)، أو أن تبطل القضية التي يؤمن بها المشكك (الله غير موجود)، فإذا أبطلتها تكون قد أثبت قضية: (الله موجود)، لأنهما قضيتان متناقضتان[٢].

فالنقيضان لا يجتمعان معاً ولا يرتفعان معاً، فالمولود مثلاً إما ذكر أو أنثى، فلا يمكن أن يكون ذكراً وأنثى في نفس الوقت، ولا أن لا يكون لا ذكراً ولا أنثى.

"ثم تقابل النقيض وذان — لا يجتمعان لا ولا يرتفعان

---

[١] نصار: **السلم في علم المنطق**، ص١٦٥.

[٢] ينظر: القويسي: حسن درويش، **شرح الشيخ حسن على متن السلم في المنطق للعلامة الشيخ عبد الرحمن الأخضري**، (الرباط، دار الأمان، د.ط، د.ت)، ص٤٦، والفضلي: **مذكرة المنطق**، ص١١٤.

لا يجتمعان في ذات واحدة ولا يرتفعان عنهما معاً، إذ هما عبارة عن الإيجاب والسلب[١]".

كقولك: لا أحد من الكفار سيدخل الجنة–**نقيضها**– بعض الكفار سيدخل الجنة.

الأولى صادقة ونقيضها كاذبة.

فالقضية الأولى سالبة كلية فهي نفت– سالبة– أن يدخل أحد من الكفار الجنة، نقيضها موجبة جزئية: **بعض** الكفار **سيدخل** الجنة– حكمت للبعض بدخول الجنة.

فإذا صدقت إحداهما كذبت الأخرى، فالأولى صادقة، إذن تكون الثانية كاذبة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴿٣﴾ (سورة سبأ).

الموضوع والمحمول متحدان من كل الوجوه إلا الكيف، وهما السلب والإيجاب

القضية: لا تأتينا الساعة – تقابلها: تأتيكم الساعة

القضيتان متناقضتان، الأولى كاذبة والثانية صادقة.

" **(قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ)، رد لقولهم، وإثبات لما تفوه به هو الغاية في المبالغة بتكرير الإيجاب مع التأكيد القسمي، واتباع المقسوم به بالوصف المقرر لوقوعه والتعليل الموجب لثبوته[٢]**"، وقوله: (واتباع المقسوم به بالوصف المقرر لوقوعه والتعليل الموجب لثبوته)، هو قوله تعالى: ﴿ لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ (سورة سبأ). وتكون هنا حجة جدلية، في

---

[١] فحف، **رفع الأعلام على سلم الأخضري في علم المنطق**، ص١١٦.

[٢] ابن كمال باشا: شمس الدين أحمد بن سليمان الرومي الحنفي، **تفسير ابن كمال باشا**، تحقيق ماهر أديب حبوش، (اسطنبول، مكتبة الإرشاد، ط١، ١٤٣٩هـ–٢٠١٨م)، ج٨، ص٢٩٧–٢٩٨.

المشهورات والمسلمات، وهي إعطاء كل ذي حق حقه، وهذا ما تقرره الفطر السليمة، والعقول الرشيدة.

وللتناقض شروط[١] إذا لم تتحقق لا يمكن أن نثبت التناقض.

ففي قوله تعالى: ﴿وَما رَمَيتَ إِذ رَمَيتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى وَلِيُبلِيَ المُؤمِنينَ مِنهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَميعٌ عَليمٌ ﴿١٧﴾﴾ (سورة الأنفال).

الآية هنا لا تناقض فيها، فقد أثبت الله تعالى الرمي للنبي صلى الله عليه وسلم، وأثبت الرمي لنفسه جل وعز، فالاختلاف في الموضوع، الذي رمى هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن الذي أوصل الحصى قدرة الله جل وعز[٢].

يقول الفخر الرازي: " **أثبت كونه عليه السلام رامياً، ونفى عنه كونه رامياً، فوجب حمله على أنه رماه كسباً، وما رماه خلقًا[٣]**".

- **ثانيا: الاستدلال المباشر بالعكس**

تعريف العكس:

- لغة: " **عَكسه عكساً من باب ضرب، ردَّ أوله على آخره...وكلام معكوس: مقلوب غير مستقيم في الترتيب أو المعنى[٤]**".

---

[١] شروط التناقض: اتفاق القضيتين اللتين يقع بينهما التناقض في وحدة الموضوع والمحمول والزمان والمكان والإضافة والقوة والفعل والكل والجزء والشرط، ينظر: المغنيسي: **مغني الطلاب شرح متن أيساغوجي**، ص١٥٨-١٦١.

[٢] ينظر: الشعراوي: محمد متولي: **تفسير الشعراوي**، ج١، ص١٠٣، فلا تناقض في الآية، لفقد أحد الشروط وهو عدم الاتفاق في الموضوع.

[٣] الرازي، **تفسير الفخر الرازي**، ج١٥، ص١٤٤.

[٤] المقري، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (القاهرة، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠١٣م)، ص٢٦٢.

- اصطلاحاً: "**قلب القضية بكيفية مخصوصة، وعلى ذات القضية التي وقع التحويل إليها**[١]".

أنواع العكس[٢]:

أولاً: العكس المستوي

- تعريفه:

هو تبديل طرفي القضية[٣] مع بقاء الكيف والصدق[٤].

أما الكم فلا يشترط بقاؤه[٥]. فقضية: (كل إنسان حيوان[٦])، قضية صادقة، **عكسها:** (بعض الحيوان إنسان)، قضية -حملية- صادقة لأن هناك من غير الإنسان فيه حياة كعالم الحيوان والنبات وعالم الجن.

والقضية الشرطية: (إذا أشرقت الشمس فالنهار موجود)، قضية صادقة، عكسها: (إذا وجد النهار فالشمس مشرقة)، والعكس قضية صادقة.

---

(١) محمد: **علم المنطق الحديث والقديم**، ص٩٤.

(٢) اكتفى صاحب " **ضوابط المعرفة**" بذكر العكس المستوي وقال: " اكتفينا بالعكس المستوي لأن عكس النقيض الموافق وعكس النقيض المخالف فيهما عمل مركب من عكس ونقض، ويصعب تطبيقهما كما يصعب تصورهما على المبتدئ" حبنكة، ص١٧٧. وهذا يؤكد سهولة الحجج القرآنية، مقارنة مع الحجج عند المناطقة.

(٣) أن يصير الموضوع محمولاً والمحمول موضوعاً، وبقاء الإيجاب والسلب بحاله.

(٤) ينظر: الحلي: **القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسية**، ص٢٩٨، وحبنكة: **المرجع السابق**، ص١٧٧-١٨٧، والفضلي: **مذكرة المنطق**، ص١١٩.

(٥) الكم: هو الكلية والجزئية، فالكلية: ما حكم فيها على جميع المصاديق، والجزئية: ما حكم فيها على بعض أفراد المصاديق، ينظر: الفضلي: **مذكرة المنطق**، ص٩٨.

(٦) الحيوان: من الحياة، كقوله تعالى: (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ)، (العنكبوت ٦٤)، " وإن الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا موت فيها" القرني، عائض، **التفسير الميسر**، (الرياض، مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص٤٧٠.

قال صاحب السلم:

بحيث يجعل الموضوع محمولاً، والمحمول موضوعاً في الحملية، ويجعل المقدم تالياً والتالي مقدماً في الشرطية[1]".

ونستفيد منه في استخراج قضية صادقة من الأصل إن كان صادقاً، ونستفيد كذب الأصل إذا كان عكسه كاذباً.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ (سورة النساء)

- فالقضية: إذا كان القرآن من عند غير الله فالاختلاف فيه كثير.- قضية صادقة-
- والقضية العكس: إذا كان في القرآن اختلاف كثير فهو من عند غير الله-قضية صادقة-[2].

فالقرآن من عند الله تعالى، وهو إثبات صدق القرآن، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه وحي يوحى، واستدل بها الرازي رحمه الله على " **أنه تعالى احتج بالقرآن على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم-، لتعلقها بما قبلها[3]".**

---

[1] القويسي: **شرح الشيخ حسن على متن السلم في المنطق للعلامة الأخضري**، ص٢٨.

[2] دلالة العكس عند الفقهاء:" هو إثبات عكس حكم شيء لمثله لتعاكسهما في العلة،... واستدل به الشافعي على التوحيد في قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ (سورة النساء)، أي: لما لم يكن فيه الاختلاف دل على أنه من عند الله تعالى"، ومعنى العكس عند الأصوليين لا يختلف عند المناطقة، لأن المناطقة يشترطون اتفاق الكيف"، السيوطي: جلال الدين: **شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع**، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي، (المنصورة، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ج٢، ص٣١٩-٣٢٠.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٠، ص٢٠٢.

قال تعالى: ﴿يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ (سورة يس).

(وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) يقسم تعالى بالقرآن الكريم على أن النبي صلى الله عليه وسلم من المرسلين، فهو ليس مجرد حلف، بل هو دليل خرج في صورة اليمين لأن القرآن معجزة، وهو الدليل الأكبر على صدق النبي صلى الله عليه وسلم لكونه مرسلاً به، فالقرآن هو البرهان، وهو موضوع الرسالة(١).

فالقضية: إذا كان القرآن معجزاً فالنبي صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله.

– قضية صادقة–

والقضية العكس: إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً من عند الله، فالقرآن معجز.

– قضية صادقة–.

فالقرآن معجز لأنه من عند الله وكونه وحياً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو دليل على صدق نبوته ورسالته.

شروط العكس المستوي:

١. تبديل الطرفين، وهما المحمول والموضوع في الحملية، والمقدم والتالي في الشرطية.
٢. بقاء الكيف(٢)، إن كنت القضية الأولى –الأصل– موجبة فعكسها المستوي موجبة، وإن كانت سالبة فعكسها كذلك.

---

(١) ينظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٢٦، ص٤١، والسامرائي: فاضل صالح: **على طريق التفسير البياني**، (دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٨هـ–٢٠١٧م) ج٢، ص٨–٩.

(٢) والكيف هو الإيجاب في القضية الأصل، أو السلب في الأصل والعكس، وما يفيد السلب كـ (ليس).

٣. بقاء الصدق، لأن قانون عكس المستوي هو "إذا صدق الأصل صدق العكس".

ومنه يمكن أن نستخرج:

١. إن كذب العكس فهذا يستلزم كذب الأصل، لأنه لو كان الأصل صادقاً وجب صدق العكس.

٢. إذا كذب الأصل فليس بالضرورة أن يصدق العكس.

٣. إذا صدق العكس لا يلزم منه صدق الأصل.

فمثلاً قولنا: بعض الصلاة واجبة، تنعكس إلى: بعض الواجب صلاة.

الأصل موجبة صادقة، العكس موجبة صادقة.

وهذا التبديل أفاد حكماً جديداً لم يكن حاضراً في الذهن، جاء عن طريق اللزوم العقلي والضابط الصناعي الذي قدمه لنا العكس.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾[١] (سورة البقرة).

"هذه الآيات تضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقين:

أحدهما: إقامة البراهين بخلقهم وخلق السماوات والأرض والنظر فيهما.

---

[١] يقول السعدي: "هذه الآية أوضح دليل عقلي على وحدانية الله تعالى، جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان ما سواه، وهو توحيد الربوبية- ثم قال: وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري تعالى، وبطلان الشرك": السعدي: عبد الرحمن ناصر: **مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي**، ص٥٣، وآل مسعود: عبد الله بن إبراهيم: **الفوائد السعدية من المواعظ الربانية**، (الرياض، دار الشريف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ص١٠.

الثاني: ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق والإنعام[١]".

- إذا كان الرب هو الخالق، فالرب مستحق لتوحيده بالعبادة [٢]– **القضية الأصل.**
- إذا استحق الرب توحيده بالعبادة فالرب هو الخالق– **القضية العكس.**
- فإذا صدق الأصل صدق العكس، والقضيتان صادقتان.

- **ثانياً: عكس النقيض:**

- لغة: "**من النقض وهو ضد الإبرام..... والنقيضة: أن يقول شاعر شعراً، فينقض عليه شاعر آخر حتى يجيء بغير ماقال[٣]".**
- اصطلاحاً: " **كل شيء رفع تلك القضية، فإذا قلنا كل إنسان حيوان بالضرورة، فنقيضها إنه ليس كذلك[٤]".**

وينقسم إلى:

١. **عكس النقيض الموافق:** لتوافقه مع قضية الأصل بالكيف.

- تعريفه: هو تبديل نقيضي طرفي القضية مع بقاء الكيف والصدق.

---

(١) ابن جزي: أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: محمد سالم هاشم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٣٦هـ–٢٠١٥م)، ج١، ص٥٧.

(٢) "لما كان الإقرار بالصانع فطرياً، وكان المقصود بالدعوة وصول العباد إلى ما خلقوا له من عبادة ربهم وحده لا شريك له، كان هذا الأصل الذي هو عبادة الله بمعرفته ومحبته هو أصل الدعوة في القرآن، من غير احتياج إلى قياس كلي: وكل محدث فلابد له من محدث، ومن غير احتياج إلى أن يقال: سبب الافتقار إلى الصانع هل هو الحدوث أو الإمكان؟"، ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد١، ج٢، ص١٠–١٢. ومع هذا فهذا القياس يناسب عند من طرأت عليه الشبهة، أو الهوى، وقد جاء في القرآن الدعوة للتفكر في المخلوقات للاستدلال على الخالق.

(٣) الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، ص١٥٦٥–١٥٦٦.

(٤) المناوي: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٣٣٠.

وأما الكم فحكم الموجبات فيه حكم السوالب في العكس المستوي، وحكم السوالب فيه حكم الموجبات في العكس المستوي[١].

مثاله: **كل إنسان حيوان،** ننظر في النقيض، إنسان نقيضه لا إنسان، حيوان نقيضه لا حيوان، نبدل نقيضي الطرفين، كل لا إنسان هو لا حيوان.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ (سورة النساء).

- القضية الأصل: كل ما هو من عند غير الله فيه اختلاف كثير – كليه موجبة–
- ما هو من عند غير الله –نقيضها–: ما هو من عند الله
- فيه اختلاف كثير–نقيضها–: لا اختلاف فيه كثير.
- القضية العكس: كل ما لا اختلاف فيه كثير هو من عند الله– كلية موجبة–[٢]

٢. **عكس النقيض المخالف**: لمخالفته مع قضية الأصل بالكيف.

- تعريفه: تحويل قضية الأصل إلى قضية أخرى موضوعها نقيض محمول الأصل، ومحمولها عين موضوع الأصل، مع بقاء الصدق دون الكيف، وأما الكم فحكم الموجبات هنا حكم السوالب في العكس المستوي، وحكم السوالب هنا هو حكم الموجبات في العكس المستوي[٣].

مثاله: كل المصريين أفارقة– كلية موجبة.

---

[١] ينظر: محمد: رشدي عزيز: **توضيح المفاهيم في المنطق القديم،** (د.م، د.ن، ط٤، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م)، ص١٣٦.

[٢] فيه صعوبة للمبتدئ للوصول للنتيجة، ومسلك العكس المستوي أيسر.

[٣] ينظر: محمد: **علم المنطق الحديث والقديم،** ص٩٦.

نقض محمول الأصلية: (غير أفارقة).

ثم نقوم بعكس القضية: كل (غير الأفارقة) ليسوا مصريين-كلية سالبة.

وهذه القضية الجديدة لازمة عن الأصلية بطريق عكس النقيض المخالف[1].

المسلك الثاني: طرق الاستدلال غير المباشر

وهو الاستدلال الذي نصل فيه إلى النتيجة من مقدمتين أو أكثر، وطريقة الاستدلال فيه بواسطة استخدام فكرة أو أفكار متوسطة تربط بين المقدمات، والنتيجة، هي الحجة[2].

"**الحجة قول مؤلف من أقوال يقصد به إيقاع التصديق بقول آخر غير مصدق به وأصنافها ثلاثة: القياس والاستقراء والتمثيل**[3]".

أولا: الاستدلال غير المباشر بالقياس:

أ- تعريف القياس:

- **لغة**: " **القياسُ: من يقتاس الشيء بغيره، أي: يقيسه به، وقايست بين الأمرين مقايسة وقياساً**[4]".
- **اصطلاحاً**: "**هو قول مؤلف من قضايا إذا سلمت، لزم عنه لذاته قول آخر**[5]".

---

(1) ينظر: أحمد: **مدخل إلى علم المنطق**، ص١٦١-١٦٢.

(2) ينظر: حبنكة: **ضوابط المعرفة**، ٢٢٧، وأحمد: **علم المنطق الحديث والقديم**، ص١٧٧، وفضل الله، **مقدمات في علم المنطق**، ص٢٢٦.

(3) الساوي: زين الدين عمر بن سهلان: **البصائر النصيرية في علم المنطق**، تحقيق، حسن مراغي، (طهران، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط١، ١٣٩٠هـ)، ص٢٣٦.

(4) الجوهري: إسماعيل بن حماد: **معجم الصحاح**، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص٨٩٢.

(5) الساوي: **البصائر النصيرية**، ص٢٣٧. وفي الآيات القرآنية لا نستلزم قوانين المنطق وأشكاله وضروبه تماماً، بل بما يتفق ومعاني الآيات.

وهو أن يستخدم الذهنُ المسلماتِ المتفقَ على صحتها من القواعد العامة للانتقال إلى المطلوب، وهو أعم من البرهان، فكل قياس برهان، ولا عكس[1].

" **ولولا القياس لخلت حوادث كثيرة عن أحكام، لكثرة الحوادث وقلة الأحكام، فاحتيج إلى إلحاق غير المنصوص عليه بالمنصوص عليه، صيانة لبعض الوقائع عن التعطل عن حكم شرعي**[2]".

"**والبرهان في الحقيقة المطلب الأسمى، والمقصد الأعلى للباحثين والمستدلين، إذ عليه دعائم الدعاوى تقام، وبغيره لا تُقبل الأحكام، فلا تُقلَّب ولا تسام، يثبت الحجة مهما تداعت، ويدحضها مهما تسامت**[3]".

ب-أقسام القياس:

- **أولاً باعتبار مادته وهيئته ينقسم إلى:**

➢ **هيئة القياس**-صورة القياس-: وهي الشكل الخارجي، مع قطع النظر عن المادة وهي هيئة التأليف، وطريقة الترتيب بين المقدمات، وينقسم إلى:

قياس استثنائي، وقياس اقتراني، باعتبار التصريح بالنتيجة أو بنقيضها في المقدمات، وهذا هو ما يهمنا في دراستنا.

---

(1) ينظر: أرسطو، **منطق أرسطو**، تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بدوي، (بيروت، دار القلم، الكويت، وكالة المطبوعات، ط١، ١٩٨٠م)، ص١٤٦، والحيدري: السيد رائد: **المقرر في شرح منطق المظفر**، (بيروت، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ص٣٤٦.

(2) الطوفي: نجم الدين أبو الربيع: **شرح مختصر الروضة**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ج٣، ص٢٦٦.

(3) محمد: **علم المنطق الحديث والقديم**، ص٩٨.

- **مادة القياس:** وهي الحجج التي تكون في القضايا، مع قطع النظر عن الصورة، بأن تكون المقدمات يقينية أو ظنية أو من المسلمات أو المشهورات أو الوهميات أو التخيلات، وهي:

البرهان والجدل والخطابة والشعر والمغالطة[١].

- أقسام القياس باعتبار حدوده الثلاثة-هيئة القياس، كما قال صاحب السلم:

ثُمَّ القِيَاسُ عِندَهُم قِسمَانِ فَمِنهُ مَا يُدعَى بِالِاقتِرَانِي

وَهوَ الَّذِي دَلَّ عَلَى النَّتِيجَةِ بِقُوَّةٍ وَاختَصَّ بِالحَملِيَّةِ

فهو تركيب قضايا يستلزم لذاته قولاً آخر.

فَإِن تُرِد تَركِيبَهُ فَرَكِّبَا مُقَدِّمَاتِهِ عَلَى مَا وَجَبَا

وَرَتِّبِ المُقَدِّمَاتِ وَانظُرَا صَحِيحَهَا مِن فَاسِدٍ مُختَبِرَا

فَإِنَّ لَازِمَ المُقَدِّمَـاتِ بِحَسَبِ المُقَدِّمَـاتِ آتِ[٢]

فطريقة تركيب القياس هو أن تركب مقدماته بحيث تندرج الصغرى تحت الكبرى، وأن تتيقن أن المقدمات صحيحة لئلا يفسد القياس، فإن اللازم بحسب ملزومه[٣]، واعلم أنه لابد أن يشتمل القياس على مقدمتين صغرى وكبرى، والصغرى داخلة في الكبرى.

فالكبرى لابد أن تكون أعم من الصغرى، وإلا فقدنا اللزوم، إذ يلزم من الحكم على الأعم الحكم على الأخص لا العكس[٤]، كقولنا: (النبيذ مسكر) (كل مسكر حرام)، النتيجة (فالنبيذ حرام).

---

(١) ينظر: المظفر: **المنطق**، ص٢٠٦، والحيدري: **المقرر في شرح منطق المظفر**، ص٣٥٤.

(٢) الدمنهوري: **إيضاح المبهم من معاني السلم**، ص١٦.

(٣) من المهم معرفة اللازم والملزوم، وفيه أربعة قواعد، ينظر: البغدادي، **الواضح في علم المنطق**، ص١٦٧.

(٤) ينظر: الدمنهوري: **المرجع السابق**، ص٤٥-٤٦.

الاصطلاحات العامة في القياس:

١. صورة التأليف: وهي هيئة التأليف بين القضايا.

٢. المقدمة: وهي القضايا المؤلف منها صورة القياس.

٣. المطلوب: وهو القول اللازم من القياس.

٤. النتيجة: هو المطلوب عينه، ولكن يكون نتيجة بعد تحصيله من القياس.

٥. الحدود: وهي الموضوع والمحمول في القضية الحملية، والمقدم والتالي في الشرطية(١).

وينقسم القياس بالنسبة للهيئة إلى:

١. **القياس الاستثنائي**(٢):

هو الذي يصرح بنتيجته أو نقيضها في المقدمات، وهو يتركب من مقدمتين تكون الأولى شرطية–متصلة أو منفصلة–، وتكون الثانية حملية مصدرة بـ (لكن)(٣).

نحو: إن كان محمد عالماً، فواجب احترامه، لكنه عالم.

النتيجة: فمحمد واجب احترامه. **والنتيجة موجودة بعينها في المقدمة الأولى.**

وكذلك: إذا ترك المسلمون الجهاد سلط الله عليهم عدوهم، لكنهم تركوا الجهاد.

النتيجة: فسلط الله على المسلمين عدوهم.

ونحو: لو كان فلان عادلاَ، فهو لا يعصي الله، ولكنه عصى الله.

النتيجة: ما كان فلان عادلاَ. **فالنتيجة مصرح بنقيضها في المقدمة الأولى.**

---

(١) ينظر: الحيدري: **المقرر في شرح منطق المظفر**، ص٣٥٢-٣٥٣.

(٢) سمي (استثنائي) لأنه يشتمل على كلمة الاستثناء.

(٣) ينظر: عبيد: **مدخل إلى علم المنطق**، ص١١٥، والبغدادي: **الواضح في علم المنطق**، ص٢٣٤.

قوله تعالى: ﴿لَو كانَ فيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبحانَ اللَّهِ رَبِّ العَرشِ عَمّا يَصِفونَ ﴿٢٢﴾ (سورة الأنبياء)

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، لكن لم تفسدا

إذن ليس فيهما آلهة إلا الله.

٢. **القياس الاقتراني**[١]:

هو غير المصرح بنتيجته في المقدمات ولا بنقيضها، وهو يتألف من حمليات فقط، فيسمى (حملياً)، وقد يتألف من شرطيات فيسمى (شرطياً)، ونحوه:(شارب الخمر فاسق)، (كل فاسق ترد شهادته)، النتيجة: شارب الخمر ترد شهادته، النتيجة غير مذكورة صريحاً في المقدمتين ولا نقيضها[٢]. فينقسم القياس الاقتراني إلى: الاقتراني الحملي والاقتراني الشرطي.

٣. **القياس الاقتراني الحملي**:

وبالعودة للمثال السابق وصلنا إلى النتيجة: (شارب الخمر تُرد شهادته)، بحذف المتكرر (فاسق)، وقد سموا كل واحد من الحدود اسماً.

الحد الأوسط[٣]: وهو الحد المشترك في المقدمتين، ويسمى (الواسطة في الاثبات) لأنه يتوسط في إثبات الحكم بين الحدين.

---

(١) سُمي (اقتراني) لأن حدود القياس، وهي الأصغر والأكبر والأوسط قد ذكرت متصلة ومتقارنة، ولم تفصل بكلمة استثناء، وقيل: لكون مقدمتيه قرنتا بحرف العطف الدال على الجمع، وهو بمعنى الاقتران، ينظر: الجلال: الجمال علي، **شرح التهذيب مع الحاشية**، ترجمة: الحسن بن الحسين بن القاسم بن محمد، (صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ص١٣٨.

(٢) ينظر: الحيدري: **المقرر في شرح منطق المظفر**، ص٣٥٤-٣٥٦.

(٣) يسميه الفقهاء العلة لأنه يتكرر في المقدمتين، والحد الأكبر (الحكم)، والحد الأصغر (المحكوم عليه)، ينظر: ابن جزي: أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي، **تقريب الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق: محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، (المدينة المنورة، د.ن، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ص١٢١.

الحد الأصغر: هو الحد الذي يكون موضوعاً في النتيجة، وتُسمى المقدمة المشتملة عليه (الصغرى)، سواء كان موضوعاً فيها أو محمولاً.

الحد الأكبر: هو الذي يكون محمولاً في النتيجة، وتسمى المقدمة المشكلة عليه (الكبرى)، سواء كان موضوعاً فيها أو محمولاً[١].

ومن أمثلته في القرآن:

أولاً: القياس الحملي الاقتراني: الشكل الأول[٢]

قال تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (سورة البقرة)

- أنت **غير قادر على أن تأتي بالشمس من المغرب.**
- **كل من هذا شأنه-غير قادر على الإتيان بالشمس من المغرب**- ليس بربي.

إذن أنت لست بربي.

ويمكن صياغتها بشكل آخر:

- إلهي **قادر على إتيان بالشمس من المغرب.**
- **القادر على إتيان الشمس من المغرب** هو الإله الحق.
- إلهي هو الإله الحق.

إذن إلهي هو الإله الحق.

---

(١) ينظر: نصار: **السلم في علم المنطق**، ص١٩٤، والجلال: **شرح التهذيب مع الحاشية**، ص١٣٨-١٣٩، والحيدري: **المقرر في شرح منطق المظفر**، ص٣٥٩-٣٦٠.

(٢) الشكل الأول: الحد الأوسط محمول في الصغرى، موضوع في الكبرى.

ثانياً: القياس الحملي الاقتراني: الشكل الثاني[1]

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ (سورة الجمعة).

- كل ولي **يتمنى لقاء ربه.**
- اليهودي **لا يتمنى لقاء ربه.**
- إذن اليهودي ليس بولي لله.

ثالثاً: القياس الحملي الاقتراني: الشكل الثالث[2]

﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدرِهِ إِذ قالوا ما أَنزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِن شَيءٍ قُل مَن أَنزَلَ الكِتابَ الَّذي جاءَ بِهِ موسى ﴿٩١﴾ (سورة الأنعام).

- **موسى** بشر
- **موسى** أنزل عليه الكتاب
- إذن بعض البشر ينزل عليهم الكتاب.

رابعاً: القياس الحملي الاقتراني: الشكل الرابع[3]

قال تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (سورة البقرة).

يمكن أن تنتظم الحجة البرهانية في طريقة أخرى:

- **غير القادر على أن يأتي بالشمس من المغرب** ليس بربي.

---

[1] الشكل الثاني: الحد الأوسط محمول في الصغرى والكبرى.

[2] الشكل الثالث: الحد الأوسط موضوع في الصغرى والكبرى.

[3] الشكل الرابع: الحد الأوسط موضوع في الصغرى محمول في الكبرى.

- وأنت **غير القادر على ذلك.**
- إذن أنت لست ربي[١].

٤. القياس الاقتراني الشرطي المتصل والمنفصل[٢]:

هو الذي يتألف من قضيتين شرطيتين، أو من قضية شرطية– على الأقل– وقضية حملية، ويتضمن حداً أصغر، وحداً أكبر، وحداً أوسط متكرراً، فالمراد أنه شامل للشرطيات المحضة والحمليات[٣]، ولها الأشكال الأربعة للاقتراني الحملي– كما تقدم–، إلا أنها تنقسم إلى مقدم تالي.

مثال الشرطية المتصلة:

كلما حكم الإسلام فالعدل موجود، وكلما كان العدل موجوداً، فالناس في أمان، فكلما كان الإسلام فالناس في أمان.

مثال الشرطية المتصلة والحملية:

كلما ترك المسلمون الجهاد أذلهم الله، وكل من أذله الله لا معز له، كلما ترك المسلمون الجهاد لا معز لهم بعد الله[٤].

ثانياً: الاستدلال غير المباشر بالاستقراء

الاستقراء عملية حسية فكرية معاً، وقد تفيد التجربة غير المقصودة التي تمر في حياة الإنسان اليومية، كما يمكن استخدام التجربة المقصودة أيضاً بطرح الأسئلة العملية التي تساعد في

---

(١) ينظر: محمد: **علم المنطق الحديث والقديم**، ص١١٢–١١٣.

(٢) سمى الإمام الغزالي الشرطي المتصل: ميزان التلازم، والشرطي المنفصل: ميزان التعاند، ينظر: الغزالي: أبو حامد، **القسطاس المستقيم**– الموازين الخمسة للمعرفة في القرآن، تحقيق: محمد ديجو، (دمشق، المطبعة العلمية، د.ط، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م)، ص٣٦، ص٣٩.

(٣) ينظر: نصار: **السلم في علم المنطق**، ص٢١٩، وعبيد: **مدخل إلى علم المنطق**، ص١١١.

(٤) ينظر: البغدادي: **الواضح في المنطق**، ص٢٣٠–٢٣١.

اكتشاف مجهول، ومحاولة استنباط العلل والمعلولات، والأسباب والمسببات، ويُثبت ما ترجح للباحث من قواعد أو قوانين كلية، وهذا كله مع تتبع الجزئيات.... وقد اعتمد عليه علماء المسلمين في استخراج قواعد اللغة وضوابطها، وكان له دوره في استخراج علم العروض وغيرها، بل ولا يخفى على قارئ القرآن والباحث فيه ما اعتمده القرآن من اتخاذ هذا الطريق من خلال الاتعاظ بقصص السابقين، وبيان قدرة الله وربوبيته في الآيات الكونية، والسنن الإلهية يمكن استقراءها من خلال الآيات القرآنية[١].

تعريف الاستقراء:

- لغة: "**من قرأ: تتبع الكلمات نظراً ونطقاً.....قرآناً: جمعه وضم بعض إلى بعض**[٢]".
- اصطلاحاً: "**هو تتبع الحكم في مواضعه، فيوجد على حالة واحدة، فيغلب على الظن أنه على تلك الحالة في جميع أفراد الحقيقة**[٣]". " **فهو الحكم على كلي لوجوده في أكثر جزئياته، وإنما قيل في أكثر جزئياته لأن الحكم لو كان في جميع جزئياته لم يكن استقراءً، بل قياساً مقسماً**[٤]". ويختلف عن القياس المنطقي الذي هو استدلال بالعام على الخاص، والاستقراء استدلال بالخاص على العام[٥].

---

[١] ينظر: حبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص١٨٧-١٩١.

[٢] مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ص٧٤٨.

[٣] ابن جزي: **تقريب الوصول إلى علم الأصول**، ص٣٩٨.

[٤] النملة: **إتحاف ذوي البصائر**، ج١، ص٣١٨.

[٥] ينظر: عبيد: **مدخل إلى علم المنطق**، ص١١٨.

فالاستقراء ينتقل مما هو مجهول إلى ما هو معلوم عن طريق التجربة والملاحظة، ثم تكوين الفروض التي تفسر الملاحظات والتجارب، ثم التحقق منها حتى يصل إلى نتائج منطقية وحلول مقبولة واتخاذ القانون العام.

ويعتمد الاستقراء في هذه المراحل على أساسين مهمين هما مبدأ الاطراد(١) والعلية(٢).

وهو على قسمين:

١. **الاستقراء التام:** وهو الذي يستوعب جميع الجزئيات في موضوع البحث ويؤدي إلى النتائج الصادقة يقيناً، ويفيد الاستقراء التام في ضبط كثير من الأمور في حياة الإنسان العلمية أو اليومية العادية، فيجمع الجزئيات تحت قاعدة عامة، وكثير من العلوم ضُبطت وتوصل إليه الإنسان بالاستقراء، ولا خلاف عند الأصوليين أنه حجة، والأكثرون على أنه مفيد للقطع(٣).

---

(١) قانون الاطراد يعتمد على أن العلل المتشابهة تنتج معلومات متشابهة، وهذا ما يراه الفلاسفة يتفق من أنه مشتق من استعداد فطري للتعميم من الخبرة الإنسانية، مهما وجد الأكثر على نمط واحد غلب على الظن أن الآخر كذلك، ينظر: الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: **المستصفى من علم الأصول**، تحقيق: محمد سليمان الأشقر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ج١، ص١٠٥، والباحسين: يعقوب بن عبدالوهاب، طرق **الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين**، (الرياض، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ص٢٩١-٢٩٢، والسيد: **الاستقراء عند الأصوليين والمناطقة وأثره في الفروع الفقهية، رسالة ماجستير، ص٦٠.**

(٢) قانون العلية: أن كل حادثة أو ظاهرة كونية لابد أن لها من سبب أو علة نتجت عنها، وهذا القانون أشار إليه رب العزة في سورة الطور: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾، ومثل هذا من تكون السحاب بسبب تبخر الماء ونزول المطر بسبب تكاثف بخار الماء، وقصر الصلاة في السفر لدفع المشقة، وعدم قضاء الحائض للصلاة لرفع الحرج، فكل ما ذُكر لوجوده وتكليفه سبب أو علة، ينظر: الباحسين: **المرجع السابق**، ص٢٩١-٢٩٢.

(٣) ينظر: حبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص١٩٣، والسيد: **الاستقراء عند الأصوليين والمناطقة وأثره في الفروع الفقهية**، رسالة ماجستير، ص١٢٧-١٢٨، والسيوطي: **شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع**، ج٢، ص٣٢١.

٢. **الاستقراء الناقص:** هو الذي يدرس بعض الجزئيات في موضوع البحث، وهو يحتمل نتائج يقينية كما يحتمل نتائج خاطئة. والاستقراء الناقص اليقيني: هو استقراء معلل، فيستند على الملاحظة ويعتمد الحكم فيه على مبدأ الحتمية الذي يرتكز عليه العقل[١].

ويسمى عند الفقهاء: إلحاق الفرد بالأعم الأغلب، وهو إثباته في صورة لثبوته في أكثر الصور، كقولهم بأن الوتر ليس بواجب بل سنة، لأنه يؤدى على الرحل، والنافلة عندهم تؤدى على الرحل، ولا خلاف عندهم أنه يفيد الحكم ظناً لا قطعاً لاحتمال مخالفة هذا الفرد[٢].

ويرى المناطقة أن حل مشكلة الاستقراء الناقص كالتالي:

قالوا بقانون الاطراد القائم على مبدأ السببية، وأنه من المبادئ العقلية المستقلة عن التجربة والخبرة، مستنبطة بالبرهان العقلي، فظاهرة تمدد الحديد ظاهرة طبيعية، وهي ظاهرة واضحة للعيان، ولكن لا يتعين لها سبب إلا بتعدد التجارب لإثبات أن الحرارة هي سبب التمدد، فإذا تبين أن الحرارة سبب التمدد، فيجب إثبات اطراد ذلك السبب في المستقبل[٣].

---

[١] ينظر: فضل الله: **مقدمات في علم المنطق**، ص٢٢٨-٢٣٢، وحبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص١٩٣-١٩٤، وعبيد: **مدخل إلى علم المنطق**، ص١١٨-١١٩.

[٢] ينظر: الهندي: صفي الدين بن محمد بن عبد الرحيم الأرموي الشافعي: **الفائق في أصول الفقه**، تحقيق: محمود نصار، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ج١, ص٨١، والسيوطي: **شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع**، ج٢، ص٣٢١.

[٣] الصدر: محمد باقر: **الأسس المنطقية للاستقراء**، (بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط٥، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ص٢٧-٢٨.

" إذا ثبتت قاعدة كلية في الضروريات أو الحاجيات أو التحسينات فلا ترفعها آحاد الجزئيات، فتخلف آحاد الجزئيات إن كان لغير عارض فلا يصح شرعاً، وإن كان لعارض، فذلك راجع إلى المحافظة على ذلك الكلي من جهة أخرى، أو على كلي آخر أشد رعاية من هذا الكلي، فالأول يكون قادحاً تخلفه في الكلي، والثاني لا يكون تخلفه قادحاً"، الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي، **الموافقات**، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (الرياض، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ج٢، ص٩٦-٩٩.

ثالثاً: الاستدلال غير المباشر بالتمثيل

التمثيل عملية عقلية فكرية نستعملها في حياتنا اليومية، قائمة على ملاحظة وصف جامع بين أمرين أو شيئين، فنشبه أحدهما بالآخر.

تعريف التمثيل:

- لغة: " **المثل أصل المُثول الانتصاب، والمُمَثَّل: المُصَوَّر على مثال غيره، يقال: مَثل الشيء: أي انتصب وتصور، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار[1]"...والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره،....وعلى هذا الوجه ضرب الله الأمثال،.....ويأتي المَثل عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة، فهو أعم من الند والشبه والمساوي والشكل، ولهذا لما أراد تعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ (سورة الشورى) [2]".**
- اصطلاحاً: هو اثبات الحكم في جزئي لثبوته في جزئي آخر مثيل أو مشابه له. فهو انتقال الذهن من حكم أحد الشيئين إلى الحكم على الآخر لجهة مشتركة بينهما[3].

---

[1] أخرجه الترمذي، **في سنن الترمذي**، كتاب الأدب، باب " ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل"، ص٥٣٨، رقم (٢٧٥٥). بلفظ:(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) وقال حديث حسن.

[2] الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص٤٦٤، ٤٦٥، بتصرف.

[3] ينظر: فضل الله: **مقدمات في علم المنطق**، ص٢٣٦، عبيد: **مدخل إلى علم المنطق**، ص١٢٣..

وأركانه:

- الأصل: هو الجزئي الأول المعلوم الذي ثبت الحكم له.
- الفرع: هو الجزئي الثاني المطلوب إثبات الحكم له.
- الجامع: وجه الشبه بين الأصل والفرع.
- الحكم: الأمر الثابت للأصل والمراد اثباته للفعل(١).

مثاله: ما يراه باحث الاجتماع من أسباب هلاك أمة سابقة، فيستنتج أن من يكون على مثل خطاها سيؤول إلى نفس النهاية(٢).

ومثاله في القرآن، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ (سورة العنكبوت).

هذا مثل جادل الله تعالى به الكفار، وأبطل قولهم بالشرك، وذلك عن طريق تشبيه شيء بشيء- الاقتران بينهما- كل ما يُعبد من دون الله ليس بمعبود بحق، فبيّن لهم ضعف معبوداتهم وعدم قدرتها -وهذا ينافي الإلهية-، وأن ما يعبدون من دون الله من الضعف والعجز بحيث أنهم لا يستطيعون خلق الذباب، ولو سلبهم الذباب شيئاً -وهو أحقر الدواب وأضعفها- فما استطاعوا أن يستنقذوه منه، والأصل في الآلهة أن تقدر على نفع عابديها، فاجتمع في آلهتهم الضعف والعجز عن نفعهم ، وقوله تعالى: (ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، بل الطالب أشد ضعفاً، لأن الحيوان هو الغالب وذاك المغلوب، والمقصود نسج التركيب لإفادة

---

(١) ينظر: فضل الله: **مقدمات في علم المنطق**، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٢) ينظر: حبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص٢٨٨، وقد استعمل القرآن هذا في بيان سبب هلاك الأمم المكذبة واستحقاقها العذاب.

احتمالين: أحدهما: تشبيهاً تمثيلياً يوضح فرط العجز في إيجاد أضعف المخلوقات، الثاني: أن المشركين جعلوا أصنامهم –مع عجزها– بمماثلة الله تعالى في الإلهية(١).

قال البيضاوي: " **عابد الصنم ومعبوده أو الذباب، يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب، والصنم يطلب الذباب منه السلب، أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه، ولو حققت وجدت الصنم أضعف بدرجات**(٢)".

---

(١) ينظر: الزمخشري: **الكشاف**، المجلد٢، ج٣، ص١٣١، والطوفي: **علم الجذل في علم الجدل**، ص١٧٩، وابن القيم، شمس الدين محمد ابن أبي بكر الحنبلي، **الأمثال في القرآن الكريم**، حققه وخرج أحاديثه: فواز أحمد زمرلي، (بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، ص١٦٤-١٦٧، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٧، ص٣٣٨.

(٢) البيضاوي: ناصر الدين بن أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: ياسر سليمان أبي شادي، مجدي فتحي، (القاهرة، المكتبة التوقيفية، ط٢، ٢٠١٦م)، ج٢، ص١٠٨.

الفصل الثاني: الإلهيات والتكاليف الشرعية[1]

جاء القرآن الكريم بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة التي خاطبت العقل والوجدان، بل وذم القرآن التقليد والاتباع دون بينة أو برهان، وامتازت أدلة العقائد بأنها عقلية نقلية يطمئن إليها القلب وتستريح إليها النفس.

ويميز الفيلسوف الكندي بين علوم الأنبياء وعلوم الفلاسفة في سياق حديثه عن قدرة الله على البعث في أواخر سورة يس حيث قال رب العزة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

---

[1] قال الإمام الزركشي: " اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة تقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين". الزركشي: أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بهادر بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، (القاهرة، دار الحديث، د.ط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ص٣٤٤، ويتضح من عرض الآيات أن طريقة القرآن واضحة ميسرة للجميع، بعيدة عن تعقيد أهل الكلام وإن عُرضت على هيئة القضايا المنطقية.

جمع البحث بين الإلهيات والتكاليف الشرعية، لأن التكاليف الشرعية من مقتضيات الألوهية.

فيقول معلقاً: " **فأي بشر يقدر بفلسفة البشر أن يجمع في قول واحد بقدر حروف هذه الآيات ما جمع الله عزَّ وجلَّ إلى رسوله من إيضاح..... كلت عن ذلك الألسن المنطقية المتحايلة وقصرت عن مثله نهايات البشر وحجبت عنه العقول الجزئية**[١]".

ولهذا فقد أقام القرآن الكريم الحجة على مخالفيه، وتحداهم أن يأتوا بالبراهين على أقوالهم ومزاعمهم.

وهذا الفصل يحوي نماذج من الحجج البرهانية التي ذكرها القرآن الكريم في إثبات الإلهيات والتكاليف الشرعية.

---

[١] عويضة: كامل محمد: **الكندي من فلاسفة المشرق والإسلام في العصور الوسطى**، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص١٥٥، وسيأتي عرض هذه الآية عند الحديث عن إثبات البعث والجزاء.

المبحث الأول: الحجة البرهانية في إثبات وجود الله تعالى

لقد كشف لنا القرآن عن حقيقة النفس، وعن جميع ما في الكون، وكان الهدف الأسمى للقرآن هو بيان التوحيد، وتحقيق الخضوع لخالق هذا الكون ومدبره، وكانت قضية الفطرة أصل يعتمد عليه القرآن في عرض الحجج البرهانية[١]، ويبقى القرآن يخاطب جميع أنواع النفوس البشرية، وحالنا اليوم حال من تلزمه معرفة الشر ليتقيه، كما جاء عن حذيفة بن اليمان: قالَ: " كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي[٢].

وتعددت الشواهد التي تنطق بهذه الحقائق، ومنها:

٢.١.١ المطلب الأول: مظاهر دلالة المخلوقات على الخالق[٣]

المخلوقات هي أعظم الأفعال التي تدل على الخالق، وتفرده بهذه القدرة التي هي أعظم من أي قدرة، وليس لها نظير ولا مماثل من قدر المخلوقين[٤].

---

(١) عندما أسلم الأديب الدبلوماسي الأمريكي ألكسندر رسل عام ١٨٤٦م وسُئل عن سبب إسلامه قال: " إنني اتخذت هذا الدين سبيلاً لحياتي لأنني بعد دراسات متواصلة ومقارنات طويلة وجدته خير الأديان، بل هو الدين الوحيد من بين الأديان كلها الذي يلبي الاحتياجات الروحية للجنس البشري"، السرجاني: راغب: **عظماء أسلموا**، (القاهرة، أقلام للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، ص١٣.

(٢) البخاري: **في الجامع الصحيح**، كتاب الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ص٩٧٥، رقم (٧٠٨٤)، ومسلم: **في صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، ص٧١٩، رقم (٤٧٨٤).

(٣) تخضع الحجة البرهانية لما قدمته الآيات من براهين فطرية ضرورية يقينية، وعقلية نظرية يقينية.

(٤) ينظر: ابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٧، ص١٢١.

ولقد أدرك دليل الخلق جميع الناس، حتى البدوي البسيط في الصحراء، "**فالأعرابي الذي سئل: بِمَ عرفتَ ربك؟ فقال: البَعرةُ تدل على البعير، والأثَر يدل على المسير، ليل داجٍ، ونهار ساجٍ، وسماء ذات أبراج، أفلا تدل على الصانع الخبير**[١]"!

دلالة الخلق[٢]

إن دلالة الخلق من أعظم وأهم الأدلة على وجود الله تعالى سواء ما يتعلق بالأمور المادية- ما يتعلق بالمخلوقات واحتياجاتهم المشاهدة المدركة- أو المعنوية كالروح، لذا يرى بديع الزمان النورسي: أن حقيقة إيجاد الروح والإحياء لا يمكن أن تُنسب للصدفة العشوائية العمياء! بل هي خلق بإرادة وعلم وحكمة وإبداع مقرون بإتقان[٣].

وكما يقول ابن رشد بأن الإيجاد من العدم يستلزم وجود الخالق، وقد نبه القرآن الكريم على ذلك كثيراً، وبالاستقراء تبين أن الطريقة الشرعية البرهانية التي نبه القرآن عليها تتألف من أمرين:

- أحدهما: العناية بالإنسان وخلق جميع المخلوقات لأجله[٤].

---

[١] الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبين**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ط، د.ت)، ج١، ص١٣٦. وهنا سيقت الحجة البرهانية على الطريقة الكلامية للوصول إلى اليقينيات النظرية.

[٢] يستخدم أهل الكلام مصطلح (الاختراع) وهو: " الإيجاد عن غير سبب، وأصله في العربية اللين والسهولة، فكأن المخترع قد سهل له الفعل فأوجده من غير سبب يتوصل به إليه"، العسكري، **الفروق اللغوية**، ص٩٨، مع التأكيد أن الله عز وجل من أسمائه الخالق لا المخترع، فالكلام هنا عن فعل الاختراع لا عن الاسم والصفة، "وأشهر الحجج التي اعتمدت عليها الفلسفة الإلهية ثلاث، وهي: أولاً: برهان الخلق المعروف عند الأوروبين بالبرهان الكوني، ثانياً: برهان النظام (الإتقان) المعروف عندهم الغاية أو القصد، ثالثاً: برهان الاستعلاء والاستكمال" ينظر: العقاد: عباس محمود: **الفلسفة القرآنية**، (القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠٠٦م)، ص٩٣-٩٤.

[٣] ينظر: النورسي: بديع الزمان: سعيد: **الشعاعات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة، دار سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٤هـ)، ج٤، ص١٤٦..

[٤] يعرض البحث دلالة العناية بعد دلالة الخلق.

- والثاني: ما يظهر من اختراع جوهر الموجودات، كاختراع الحياة في الجمادات[(١)].

وهذا الأخير من أقرب الأدلة وأظهرها، وليس شرطاً أن يقف الإنسان على معرفة بداية حدوث الخلق للإيمان به، يقول رب العزة: ﴿ما أَشهَدتُهُم خَلقَ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلا خَلقَ أَنفُسِهِم وَما كُنتُ مُتَّخِذَ المُضِلّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ (سورة الكهف).

فدلالة الخلق يدخل فيها وجود الحيوان ووجود النبات ووجود السماوات، وهذا موجود بالقوة[(٢)] في الفطرة، فهذه المخلوقات مخلوقة، ونفس حدوثها معلوم بالضرورة ولا يحتاج إلى دليل، والفرق بين الاستدلال بحدوثه، والاستدلال على حدوثه بيّن، والذي أشار إليه القرآن الأول لا الثاني، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ (سورة الطور)[(٣)]، فالآية سؤال على جهة التوبيخ، أهم خُلقوا من غير خالق؟، أم هم الذين خلقوا الأشياء، فيتكبرون عن عبادة الله؟

روى البخاري بسنده عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب: بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾، كاد قلبي أن يطير".[٤]

ثم خصص تعالى من المخلوقات السماوات والأرض لوضوحها وشرفها وعظمتها، ثم حكم تعالى عليهم بأنهم لا ينظرون نظراً يدفع بهم إلى اليقين، فهم مع إقرارهم بأنهم خُلقوا كما حكى

---

(١) ينظر: ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد: **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، تقديم وتحقيق: محمود قاسم، (مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٦٤م)، ص١٥٠، والقاسمي: **دلائل التوحيد**، ص٣٨.

(٢) الوجود بالقوة هو قبول أمر الخلق والإيجاد من عدم، وهو مما أوجده الله في الفِطر، ويكون موجوداً بالفعل إذا اعترف به الإنسان وأقره.

(٣) ينظر: ابن رشد: **مناهج الأدلة**، ص١٥١، وابن تيمية: **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (الرياض، إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ)، ج٧، ص٢١٩.

٤ أخرجه البخاري: في **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، سورة الطور، باب٢/١، ص٦٨٨، رقم (٤٨٥٤).

عنهم رب العزة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿٣٨﴾ (سورة الزمر) فهم معترفون بذلك ومقرُّون به، إلا أنهم لم يوحدوا الله تعالى حق توحيده، فمن أقر في ربوبيته استلزمه الإقرار بألوهيته[١].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- السماوات والأرض ابتدأ وجودهما سبب.
- لكل ما ابتدأ وجوده سبب مسبب.
- إذن والسماوات والأرض لوجودهما مسبب.

ومن كلام المفسرين نصل إلى أن لوجود الإنسان والسماوات والأرض سبب، وهو الله جل وعز.

دلالة العناية

ويراد بدلالة العناية ما ندركه ونحس به من الاعتناء المقصود في أنفسنا على وجه خاص، والمخلوقات من حولنا على وجه العموم[٢]، " **وزبدة هذا الدليل: رعاية المصالح والحكم في نظام العالم الأكمل، مما يثبت قصد الصانع وحكمته وينفي وهم المصادفة**[٣]"، فمن أدرك العناية الإلهية قادته للإعتراف بوجود الخالق والخضوع لعظمته وقدرته.

---

[١] ينظر: ابن عطية: أبو محمد عبد الحق الأندلسي: **المحرر الوجيز**، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، وآخرين، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ج٨، ص٩٨، والرازي: فخر الدين: **التفسير الكبير**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، د.ت)، ج١٤، ص٢٥٩.

[٢] يقول العالم ستيفن هوكن: " إن التوازنات الموجودة في الكون قائمة على حسابات دقيقة تفوق قدرتنا على استيعابها"، الفيومي: أسعد: **من الذرة إلى المجرة الكون والحياة دعوة للإيمان**، (دمشق، بيت الحكمة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، ص٤٩.

[٣] النورسي: بديع الزمان: **صقيل الإسلام**، ترجمة وتحقيق: احسان قاسم الصالحي، (القاهرة، دار سوزلر، ط٧، ٢٠١٤هـ)، ص١١٣.

وبالعودة إلى الطريقين اللذين ذكرهما ابن رشد نجد أن الثاني منهما: الوقوف على العناية بالإنسان والمخلوقات، وتوافق الموجودات بعضها مع بعض، وهذه الموافقة تُبنى على أصلين:

١. إدراك ومعرفة هذه الموافقة.

٢. لابد أن هذه الموافقة من فاعل مريد، ولا يمكن أن تكون باتفاق[١].

ودليل العناية نستدل به على وجود الخالق، وذلك من خلال علاقة المخلوقات بعضها ببعض، أو علاقة الجزء في الواحد ببقية الأجزاء- كعلاقة عضو في الجسد، وتوافقه وتكامله مع بقية الأعضاء[٢]، وهذا في جميع المخلوقات من حولنا، فهذه العناية والدقة ليست من قبيل العشوائية أو محض الصدفة إنما هو دلالة على أن لها صانعاً عليماً حكيماً[٣].

وقد جاءت الآيات القرآنية تنبه على العناية الإلهية في جميع الموجودات وتوافقها، لما فيها من تنبيه وتذكير لما تدركه العقول.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ (سورة الفرقان)، هذه الآيات فيها استدلال على إثبات وجود الخالق، الذي خلق هذا الكون لغاية وحكمة وعناية بمخلوقاته، لعلهم يتدبرونها، ومن

---

[١] ينظر: ابن رشد: **مناهج الأدلة**، ص١٥٠، والقاسمي: محمد جمال الدين الدمشقي، **دلائل التوحيد**، (دمشق، مكتبة الفيحاء، د.ط، ١٣٢٦هـ)، ص٢٤-٢٦، والعريفي: **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، ص٢٢٧-٢٢٨.

[٢] يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم: " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"، أخرجه البخاري، في **صحيح البخاري**، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، ص٨٤٠، رقم (٦٠١١)، وأخرجه مسلم، في **صحيح مسلم**، كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ص٩٧٤، رقم (٦٥٨٦).

[٣] ينظر: إدريس: جعفر شيخ: الفيزياء ووجود الخالق، **مناقشة عقلانية إسلامية لبعض الفيزيائين والفلاسفة الغربيين** (الرياض، مجلة البيان، طبعة خاصة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر، ١٤٢٢هـ)، ص٥٤-٥٥.

هذه الجهة فهي متصلة بقوله تعالى في بداية السورة : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ (سورة الفرقان)، حيث بيّن جلّ وعزَّ في الآيات بينهما- من آية ٣-٤٦- جهل المعترضين على دلائل الصانع وفساد طريقتهم في ذلك وذكر بعده أنواعاً من الدلائل الدالة على وجود الصانع، ونبه الناس إلى نعمه تعالى وعنايته فيما ينفعهم، ومنها ذكر الظل وهو التوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة، فالضوء الخالص يمتاز بالسخونة والحرارة المؤذية، والظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر منها الحس، فذكر تعالى نعمة الظل الذي هو أطيب الأحوال، -ولذلك كان من وصف نعيم الجنة، قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ (سورة الواقعة)-، (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا) أي: وبيّن تعالى أنه جعل الشمس علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على ما أراده الله تعالى في مخلوقاته، حيث يكون قبض الظل تدريجياً لما فيه من أنواع المصالح للمخلوقات، ولو حصل دفعة لاختلت المصالح، والمراد بالقبض الإزالة والإعدام، ولذلك جاء التعبير عنها بنون العظمة (جعلنا) لبيان مزيد عناية الله بخلقه وعظيم قدرته وحكمته واختصاصه به جل وعز[1]، وهو السر في إيراد كلمة (ثُم) التي تفيد التراخي، وذلك للتنبيه على أن الرؤية تتعدى رؤية العين، إلى مطالعة الآثار الدالة على الصنائع، وما يتبع ذلك من مصالح العباد ما لا يحصى، ليستدل الخلق على كمال صنعة المجيد

---

[1] "لامتداد الظل وانقباضه فوائد جمة، منها: تحديد مواعيد الصلاة، ورحمة بالكائنات والمخلوقات الحية، ومتعة في مشاهدتي هاتين الظاهرتين -الشروق والغروب- تدريجياً، نعمة الظل"، الصلابي: علي محمد: **المعجزة الخالدة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، براهين ساطعة وأدلة قاطعة،** (بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، ص٢٨٢-٢٨٤، ووزيري: "إعجاز القرآن الكريم في حركة الظلال (الظل الساكن)، **المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة،** ص١٣-٤١.

وكمال رحمته وعنايته بعباده، وفي قوله تعالى (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) أن القبض يحصل ببطء دون طفرة، لأن العمل المجزأ أيسر على النفوس من المجتمع غالباً[(١)].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- إذا كان الظل مستقراً لا تنسخه الشمس، فالحياة صعبة على الناس.
- ولكن الظل تنسخه الشمس.
- إذن: فالحياة ليست صعبة على الناس.

وعليه فإن نسخ الشمس للظل فيه تيسير وعناية بالخلق، وهذا أمر مشاهد ومحسوس عند المخلوقات، ولا تكون هذه العناية إلا من رب خالق قدير حكيم عالم بمصالح المخلوقات وعنايته بهم.

وتكون الحجة البرهانية الثانية:

- قد يكون إذا نسخت الشمس الظل كان الخالق حكيماً عليماً.
- وكلما كان الخالق حكيما عليماً كانت العناية بالمخلوقات ومنافعهم.
- فقد يكون إذا نسخت الشمس الظل كانت العناية بالمخلوقات ومنافعهم.

وكذلك جاءت آيات في القرآن الكريم جامعة بين دليلي العناية والخلق، بل هي الأكثر[(٢)]، ومنها قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

---

(١) ينظر: ابن رشد: **مناهج الأدلة**، ص١٥٠، والرازي، **التفسير الكبير**، ج٢٤، ص٨٧-١٠٢، وأبو حيان: أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي: **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد، علي معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ج٦، ص٤٦٠-٤٦١، وأبو السعود: العمادي محمد بن محمد بن مصطفى: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (القاهرة، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج٦، ص٢٢٢، والآلوسي، **روح المعاني**، ج١٠. ص٣٥-٣٨، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٧٣٢، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٨، ج١٩، ص٤٢-٤٣.

(٢) ينظر: ابن رشد: **مناهج الأدلة**، ص١٥٢.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ (سورة البقرة)،

"**ففي هاتين الآيتين لفت تعالى انتباه الناس إلى دليلين ظاهرين بارزين أمام الأعين، يشهدان أنه لا إله إلا الله، الأول في الأنفس، والثاني في الكون...وهما أكثر ما يلفت الانتباه لهما في القرآن**[١]".

فذكر خمسة أنواع من الدلائل: اثنين في الأنفس: (خلقكم)، (والذين من قبلكم)، وثلاثة في الآفاق: (الأرض فراشاً)، (والسماء بناء)، والأمور الحاصلة من مجموع السماء والأرض، وراعى في الذكر الأقرب للإنسان، لأن ذلك أقوى إفادة وأولى بالذكر[٢].

دلالة التسخير[٣] والتدبير

إن الله جل وعز الذي خلق هذا الوجود وكل ما فيه، وهيأه وسخره وجعله مذللاً للإنسان والمخلوقات، كلٌ يقضي منه منافعه ويأخذ حاجته، هذا الكون بكل ما فيه ينادي بأن الله تعالى وحده لا شريك له مدبره ومسخره.

والفرق بين التسخير وبين العناية أن التسخير يدل على الخالق من جهة الخضوع الكوني العام لسيطرة قاهرة تامة، لا تملك الخروج عليها، يقول تعالى: ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ (سورة الشورى)، وجاءت هذه الدلالة ضمن الأسئلة التقريرية التي أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحتج بها على الكفار، قال تعالى:

---

(١) الحمد: عبد القادر شيبة: **تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل**، (الرياض، مؤسسة علوم القرآن، ط٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ج١، ص٧٩.

(٢) الرازي: **التفسير الكبير**، ج٣، ص١١١.

(٣) "التسخير: سياقة إلى الغرض المختص قهراً"، الأصفهاني: **مفردات غريب القرآن**، ص٢٣٣، مادة(سخر).

﴿ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمرَ فَسَيَقولونَ اللَّهُ فَقُل أَفَلا تَتَّقونَ﴿٣١﴾(سورة يونس)[١]، والعناية رعاية مصالح الكون على الوجه الأكمل.

ويرى بديع الزمان النورسي في تأملاته ومشاهداته الكونية للأدلة الدالة على ضرورة وجود –واجب الوجود–[٢] الله تعالى ووحدانيته، وأن من أهم تلك الأدلة: حقيقة التسخير والتدبير والتدوير والتنظيم المكملة بالمشاهدة، وأن الانتظام التام المشاهد في الكون هو دليل بذاته على وحدة واجب الوجود، إذ يستدعي منظماً واحداً، ولا يسعه الشرك الذي هو محور المجادلة والمشاكسة[٣]. ونسوق هنا آيات تدل على حقيقة التسخير والتدبير:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ في سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ يَطلُبُهُ حَثيثًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمرِهِ أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ العالَمينَ﴿٥٤﴾[٤] (سورة الأعراف).

في مطلع هذه السورة المباركة بدأ تعالى بذكر القرآن والأمر باتباعه، ونبذ الشرك، ﴿ كِتابٌ أُنزِلَ إِلَيكَ فَلا يَكُن في صَدرِكَ حَرَجٌ مِنهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكرى لِلمُؤمِنينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعوا ما أُنزِلَ إِلَيكُم مِن رَبِّكُم وَلا تَتَّبِعوا مِن دونِهِ أَولِياءَ قَليلًا ما تَذَكَّرونَ ﴿٣﴾ ثم الاستدلال على وحدانية الله تعالى، والامتنان بخلق الأرض والتمكين فيها، وبخلق أصل البشر وذريته، والتذكير بعداوة الشيطان،

---

[١] ينظر: العريفي: **الأدلة العقلية النقلية**، ص٢٣٧.

[٢] مصطلح كلامي مشتهر عند علماء الكلام يطلقونه لإثبات وجود الله تعالى، وما سواه إما ممكن الوجود أو مستحيل الوجود، وهي طريقة المتكلمين في الإثبات ذكرها شيخ الإسلام في شرح العقيدة الأصفهانية، ينظر: ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم: **شرح العقيدة الأصفهانية**، (الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ص٣٢-٣٣.

[٣] النورسي: **الشعاعات**، ج٤، ص١٣٦، ١٩٥.

[٤] والآية هنا فيها الاستدلال على أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وإذا تضمن أحدهما عند الاقتران، فلا يمنع أن يختص بمعناه عند الانفراد، ينظر: ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد٥، ج١٠، ص١٦٦.

وانتقلت من ذلك إلى التنديد بالمشركين فيما اتبعوا من تسويل الشيطان، وتذكيرهم بالعهد الذي أخذه الله على البشر ﴿ يا بَني آدَمَ إِمّا يَأتِيَنَّكُم رُسُلٌ مِنكُم يَقُصّونَ عَلَيكُم آياتي ﴿٣٥﴾ ، وأن المشركين ظلموا بنكث العهد، وتوعدهم بذكر الآخرة، وعاد إلى ذكر القرآن ﴿ وَلَقَد جِئناهُم بِكِتابٍ فَصَّلناهُ عَلى عِلمٍ ﴿٥٢﴾، وأنهاه بالتذييل بقوله: ﴿قَد خَسِروا أَنفُسَهُم وَضَلَّ عَنهُم ما كانوا يَفتَرونَ ﴿٥٣﴾، وهنا تهيأت الأسماع والقلوب لتلقي الحجة أن الله إله واحد، وأن ما يعبدون من دونه آلهة باطلة، ولبيان عظيم قدرته[١] قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّـهُ) استئنافاً ابتدائياً للتذكير في صدر السورة، فكأن صدر السورة هو المطلوب المنطقي، وقوله تعالى في هذه الآية (﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ[٢] اللَّـهُ) بمنزلة النتيجة والبرهان، إلا أنها أشد تفصيلاً، فقوله تعالى (وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمرِهِ)، أي : بتسخيره[٣] وتدبيره، والتسخير حقيقة التذليل، ويستعمل مجازاً في تصريف الشيء غير ذي الإرادة في عمل عجيب أو عظيم، وكلٌ مسخرٌ بحسب القدرة الجارية على وفق الإرادة، وجاء بلفظ (أمر) على التشبيه، إذ جعل هذه الأشياء لكونها تابعة لتدبيره وتصريفه كما يشاء كأنهن مأمورات منقادة لأمره، ويصح حمله على ظاهره، وهذه المخلوقات مسخره لما خلقها الله له، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها يدل على سعة رحمته بخلقه وعلمه، وهو الإله الحق المستحق للعبادة لا سواه.

---

[١] وهذا شأن الآيات القرآنية تجمع العقائد الإيمانية معاً، وتجمع أنواع التوحيد في سياق واحد.

[٢] "جعل المسند إليه (ربكم)لأن الكلام جار مع من ادعوا أرباباً، والمقام للجدال في تعيين ربهم الحق، فكان الأهم عند المتكلم تعيين الرب، وأخبر أنه هو الذي يعلمون أنه الله، وأكد ذلك بحرف التوكيد، ويكفيهم إفراده بالإلهية قوله (خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ) وبيان عظيم قدرته" ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٤، ج٨، ص١٦٠-١٦١.

[٣] وردت مادة (سخر) في القرآن ست عشرة مرة، و(سخرنا) ثلاث مرات، و(سخرناها) مرة واحدة، (سخرها) مرتين، ينظر: جلغوم: **المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم**، ص٦٢١.

وافتتح قوله تعالى: (أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ) بحرف التنبيه لتعي النفوس الكلام الجامع، وللدلالة على صدق الخبر، فهو سبحانه الذي خلق الأشياء وصرفها وسخرها حسب إرادته، والجملة استئنافية للتدليل على الكلام السابق (خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ) لإفادة عموم الخلق وتصريفها وتسخيرها حسب إرادته[١].

وتكون الحجة البرهانيةّ في الآية:

- قد يكون إذا كانت المخلوقات العلوية فيها منافع للمخلوقات كان أيسر لحياتها وصالحها.
- وكلما كان أيسر لحياة المخلوقات كان تسخير خالق عليم.
- فقد يكون إذا كانت المخلوقات العلوية فيها منافع للمخلوقات كان تسخير صانع عليم.

وتكون الحجة من بيان أن المخلوقات العلوية مسخرة بأمر الله لا تخرج عن تدبيره وتصريفه

- كل المخلوقات العلوية مسخرة بأمر الله.
- لا أحد من المسخر بأمر الله يخرج عن تدبيره وتصريفه.
- إذن فليس أحد من المخلوقات العلوية يخرج عن تدبير الله وتصريفه.

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ (سورة الزمر)، دلالة على تدبير المخلوقات.

يُعلّم الله تعالى عباده أن الشدة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله وأمره، فهو سبحانه يوسعه على من يشاء، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده فيضيقه، وذلك عائد لحكمته تعالى

---

[١] ينظر: والزمخشري: **الكشاف**، ج١، ص٨٥، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٣، ص٥٧٩-٥٨٠، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٣٨١، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٣٥٠، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج٧، ص٢٧٥، وابن عاشور: **المرجع السابق**، ص١٦٨-١٦٩.

وعلمه وتدبير أحوال خلقه بما فيه فلاحهم، وفي ذلك حجة على العباد ليعتبروا ويتفكروا في ذلك، ويعلموا أن الأمر بيده سبحانه، والرغبة إليه دون الآلهة الباطلة والأنداد، وقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون) ﴿٥٢﴾ (سورة الزمر)، أي أن بسط الرزق وتقتيره دلالات وعلامات لتصديق الحق والإقرار به، إذا تبين لهم، ويعلمون أن في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة فلاحهم وفوزهم[1].

ويقول جل وعز: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ (سورة الشورى)، قدّر الله تعالى ما يحتاجه الناس على قدر الاعتدال، فلو كان الرزق أكثر أو أقل لظهرت أنواع من الفساد في الكون، فزيادة الرزق يدفع العبد للبغي والطغيان، أو الانشغال به عن ما فيه فلاحه وفوزه[2]، أي: " **يعرف ما يؤول إليه أحوالهم، فيقدر لهم ما هو أصلح لهم، وأقرب إلى جمع شملهم، فيفقر ويغني، ويمنع ويعطي، ويقبض ويبسط، كما توجبه الحكمة الربانية، ولو أغناهم جميعاً لبغوا، ولو أفقرهم لهلكوا**[3]".

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

الحجة الأولى:

- إذا بسط الله الرزق لعباده، لبغوا في الأرض.
- لكنهم بغوا في الأرض.
- إذن بسط الرزق ليس في صالح العباد.

---

[1] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٩، ص٦٩٣، والسعدي، **تفسير السعدي**، ص٩١٤.
[2] مع هذا فالمال ليس مذموماً لذاته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ"، أخرجه البخاري، في **كتاب الأدب المفرد**، باب المال الصالح للمرء الصالح، ص١٥٤-١٥٥، رقم (٢٩٩).
[3] الزمخشري: **الكشاف**، المجلد ٢، ج٤، ص١٧٠.

الحجة الثانية:

- إذا كان بسط الرزق وقدره في صالح العباد، فهو بفعل إله حكيم مدبر.
- ولكن بسط الرزق وقدره في صالح العباد.
- إذن فهو فعل إله قادر حكيم مدبر أمر عباده.

ويمكن عرضها على بيان أن الباغي قد يضيق الله عليه ويوسع على الطائع

- إما أن يكون المرزوق باغياً أو طائعاً.
- وكل مرزوق باغ قد يضيق الله في رزقه.
- فأحياناً إما أن يكون المرزوق طائعاً أو يضيق الله في رزقه.

ومعرفة تدبير الله لخلقه وعنايته بما في فلاحهم دليل على وجود الله تعالى الذي جعل الكون يسير على ما فيه منفعة المخلوقات، ويلبي حاجاتها، واستحقاقه للعبادة والتوحيد.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ (سورة القصص).

ففي هذه الآيات أفرد الله سبحانه ذاته الكريمة بالألوهية بما له من صفات الربوبية والرحمة والحكمة والعلم بعباده، وما فيه مصالحهم وحاجاتهم، ويوقفهم على أمر مدرك لكل مميز، مما يستدعي منهم الشكر ولا بد.

يقول العلامة ابن عاشور: " **انتقال من الاستدلال على انفراده تعالى بالإلهية بصفات ذاته[١] إلى الاستدلال على ذلك ببديع مصنوعاته، وفي ضمن هذا الاستدلال إدماج الامتنان على الناس، وللتعريض بكفر المشركين جلائل نعمه[٢]**".

وهكذا يوقظ القرآن الناس من إلْفِ المشاهدة والعادة، ويدفعهم للتدبر في آلاء الله وما سخره في المخلوقات من حولهم، وما جعل فيها من منافع لهم ومشاهد عظيمة[٣]، فالناس حين يطول عليهم الهجير يستروحون الظلال، ويحنون إلى الليل، وحين يطول النهار يجدون في الليل الراحة والسكون والهدوء من صخب النهار ومشاغله، فلم يجعل الله تعالى الليل سرمداً، ولا النهار سرمداً، عناية بهم وحفظاً لمصالحهم وحاجاتهم[٤].

وتكون الحجة البرهانية على بيان تدبير الله تعالى وتيسيره على المخلوقات.

- إذا تعاقب الليل والنهار على الناس، فالحياة سهلة على الناس.
- لكن الليل والنهار يتعاقبان.
- إذن الحياة سهلة على الناس.

---

[١] الآيات السابقة لهذه الآيات: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾، "وفيها عموم خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار من يختاره ويختصه من الأشخاص، والأوامر والأزمان والأماكن، وأن أحدا ليس له من الأمر والاختيار شيء، وأنه تعالى منزه عن كل ما يشركون به من الشريك والظهير"، السعدي: **تفسير السعدي**، ص٧٨٢.

[٢] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٨، ج٢٠، ص١٦٨.

[٣] يقول مصطفى صادق الرافعي:" عندما أتأمل انبثاق الفجر، يخيل إليَّ من جماله وروعته أن الوجود في سكونه وخشوعه نفس كبرى تستمتع مصغية إلى كلمة من كلمات الله التي لم يجئ في صوت ولكن في نور"، الرافعي: محمد صادق: **أوراق الورد**، (د.م، د.ن، ط١٠، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ص٣٣.

[٤] ينظر: قطب: **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٧٠٨.

وهذا يكون من الخالق الحكيم العالم بأحوالهم جل وعز.

ويمكن عرض الحجة البرهانية:

- كل مخلوق يجدد النشاط والراحة.
- تعاقب الليل والنهار يجدد النشاط والراحة.
- إذن كل مخلوق يتعاقب عليه الليل والنهار.

وكذلك يمكن عرضها وبيان تيسير الله على عباده.

- قد يكون إذا كان يتعاقب الليل والنهار كانت المخلوقات تجدد نشاطها.
- وكلما كانت المخلوقات تجدد نشاطها كان أيسر لها وأنفع.
- فقد يكون كلما تعاقب الليل والنهار أيسر للمخلوقات وأنفع.

دلالة الإتقان[١]

إذا تأملنا الكون من حولنا وما فيه من المخلوقات، فإننا نجد إتقاناً في الصنع والخلق لا يختلف فيه العقلاء[٢]، بل دفع البعض للإيمان بالله[٣]، وهذه الدلالة يمكن أن تُدرج ضمن دلالة

---

[١] الاتقان: "معرفة الشيء بيقين"، الجرجاني: **معجم التعريفات**، ص١٠، فهو ضبط ودقة.

[٢] يقول جوزيف طومسون- وهو فيزيائي إنجليزي مكتشف الإلكترون، وحائز على جائزة نوبل ١٩٠٦م-: " ونحن نغزو قمة بعد قمة، نرى أمامنا مناطق مليئة بالاهتمام والجمال، ولكننا لا نرى هدفنا، ولا نرى الأفق، وصرح المسافات يكشف قمماً أكثر علواً، والتي ستكشف لمن يتسلقها أن هناك آفاقاً أوسع، وشعوراً أعمق، الحقيقة التي يؤكدها كل تقدم في العلم: أن الأمور العظيمة هي من عمل الإله"، قديح: مصطفى نصر: **الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق**، (الرياض، مركز دلائل، ط١، ١٤٣٨هـ)، ص٣٣٩.

[٣] دلالة الاتقان قادت الفيلسوف البارز أنتوني فلو" الذي عاش ملحداً طيلة حياته للإيمان، قاده البحث العلمي بأن طبيعة تعقيد DNA لا يمكن تفسيره إلا بخالق ذكي"، لينوكس: جون: **العلم ووجود الله، هل قتل العلم وجود الله؟**،

العناية، ولكن لأهميتها البالغة وعناية القرآن بعرضها وجب إفرادها[١]، وقد أشار تعالى إليها في قوله: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ (سورة النمل)، صنع الله ذلك صنعاً، أي: أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي[٢].

فارتفاع الجبال وظهورها واندفاعها فوق سطح الأرض بأمر من الله، يخفف من تقلباتها وسخطها من الحرارة الباطنية، ويدعها تتنفس بفوران تلك الجبال...فلا تسلب راحة الآمنين من سكانها[٣].

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ (سورة الملك)، لا ترى فيها خللاً ولا اضطراباً ونقصاً، فهي حسنة كاملة متناسبة من كل وجه، ولما كان كمالها معلوماً للناظر، أمر تعالى بتكرار النظر والتأمل فيها[٤]، " **وعُبر في الآية بلفظ الرحمن صراحة –خلق الرحمن– موضع الضمير للتعظيم، والإشعار بعلة الحكم، وبأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلاً، وبأن في إبداعها نعماً جليلة[٥]**".

ترجمة: ماريانا كتكوت، تحرير: سامح فكري حنا، تقديم الطبعة العربية: ماهر صمويل، (اكسفورد، Lion Hudson، د.ط، د.ت)، ص٣٢٩.

(١) ينظر: العريفي، **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، ص٢٣٤.

(٢) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص١٩٩، والعز بن عبد السلام: عز الدين السلمي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سليم محمد عامر، وآخرين، (دبي، جائزة دبي الدولية، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، =والنسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد محمود: **تفسير النسفي- مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بدوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، (بيروت، الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ج٢، ص٦٢٤.

(٣) النورسي، **الشعاعات**، ص١٤٣.

(٤) ينظر: الطوفي: **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية**، ص٦٤٨، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١٠٩٨.

(٥) أبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٩، ص٣.

وتكون الحجة البرهانية على إتقان الله تعالى لخلقه

- إذا كانت المخلوقات حسنة الصنع كاملة متناسبة، فهو صُنع متقن أحكم خلقه.
- ولكن المخلوقات حسنة الصنع كاملة متناسبة.
- إذن فهي صنع قادر أحكم خلقه[١].

دلالة التخصيص[٢]

يرى بديع الزمان النورسي في استدلاله على عظمة الله في خلق أنواع الطيور المتنوعة بأشكالها وأصواتها وأنها أمم متنوعة أن " **حقيقة التمييز والتزيين والتصوير التي تتضح من خلال تلك المصنوعات غير المحدودة التي يختلف بعضها عن بعض بعلامات فارقة متميزة في الوجوه، وبأشكال مرتبة، وبمقادير موزونة دقيقة مختلفة، وبصور منتظمة منسقة، فهي حقيقة قوية عظمى، بحيث لا يمكن أن يمتلك هذا الفعل الذي يبرز فيه الحكم والخوارق سوى القادر على**

---

(١) يقول ماكس تيجمارك، عالم الكونيات الأمريكي: " لو كانت القوى الكهرومغناطيسية أضعف مما هي عليه بـ ٤٪ فقط، لانفجرت الشمس فور تكونها، وستصبح نفس النتيجة إذا زادت القوة الكهرومغناطيسية عما هي عليه، =إن ثوابت الطبيعة تبدو معدة بعناية عند مستوى ما"، : قديح: **الصنع المتقن**، ص٢٧٨-٢٧٩، ويتبن لنا أن المقادير في الكون مخصصة بنسب معينة لا يمكن زيادتها أو نقصانها، لأن هذه النسب قد خُصصت وقُدرت بعناية فائقة ليكون الكون على ما هو عليه، وإلا لاضطرب واختل وكانت الحياة عليه مستحيلة، وهذا يؤكد أن كلام الله تعالى حجة برهانية واضحة يدركها الأمي والعالم وتخاطب جميع الفئات من البشر،﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّـهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴿٨٢﴾ (سورة النساء).

(٢) التخصيص: ضد التعميم، انفرد وصار خاصاً، ينظر: الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، ص٤٥٦، ومجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ص٢٤٦.

كل شيء، والعالم بكل شيء[1]"، وهذا يبين أن خلق الله تعالى من الجائز عقلاً أن يكون على غير ما هو عليه، ولكن الله القدير العليم المحيط بكل شيء خلق كل شيء بقدر[2].

ومن الآيات التي تؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ (سورة الانفطار)، أي: لو شاء رب العزة لصرفك وأمالك إلى أي صورة شاء حسنة أو قبيحة أو لأحد قراباتك[3]، وذلك يرجع إلى تدبير الله وخلقه بما تقتضيه حكمته، وقال مقاتل: " **يعني لو شاء ركبك في غير صورة الإنسان**[4]"، والله سبحانه وتعالى قادر على أن تكون هيئة الإنسان على غير ما هو عليها، وما ذكره المفسرون إلا تمثيلاً على ذلك، ولكنه سبحانه من لطفه بعباده وحلمه وقدرته، خلقهم في أحسن تقويم، وبشكل حسن المنظر مستقيم الهيئة.

وتكون الحجة البرهانية على تخصيص الله تعالى في مخلوقاته، وأنها على أحسن شكل وهيئة:

- إذا كان الإنسان على أحسن صورة، فهو صنع خالق لطيف به.
- ولكن الإنسان على أحسن صورة.

---

(1) النورسي: **الشعاعات**، ج٤، ص١٤٦.

(2) يقول ستيفن بنكر مدير مركز علم الأعصاب- معهد ماساتشوستس- الولايات المتحدة: " إن أجهزة الكمبيوتر المطورة اليوم لا تضاهي ولو بقليل طفلاً يبلغ من العمر أربع سنوات عنده القدرة على الرؤيا والسمع والكلام والحركة، ولا يصل أكثر جهاز كمبيوتر في التقنية لجهاز عصبي لحلزون على معالجة المعلومات"، الفيومي: **من الذرة إلى المجرة الكون والحياة دعوة إلى الإيمان**، ص١٧٤.

(3) ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل أي القرآن**، خرجه وعلق عليه: إسلام منصور عبد الحميد وآخرين، (القاهرة، دار الحديث، د.ط، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ج١١، ص٣٢٦، والطباطبائي: **الميزان في تفسير القرآن**، ج٢٠، ص٢٢٥.

(4) ابن سليمان: مقاتل: **تفسير مقاتل**، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ج٤، ص٦١٣.

- إذن فهو صنع خالق لطيف به.

وفي دلالة التخصيص في المخلوقات وعدم التشابه:

- قد يكون إذا كانت المخلوقات حسنة المنظر لا تتشابه كانت مخلوقة بموازين مضبوطة مقصودة.

- وكلما كانت مخلوقة بموازين مضبوطة مقصودة كانت من صنع خالق حكيم.

- فقد يكون إذا كانت المخلوقات حسنة المنظر لا تتشابه كانت من صنع خالق حكيم.

وتكون الحجة على أن الله تعالى خلق الإنسان على أحسن صورة

- الإنسان من خلق الله.

- كل خلق الله حسن الصورة.

- إذن الإنسان حسن الصورة.

٢.١.٢ المطلب الثاني: صور الاستدلال بالمخلوقات على الخالق

إن الآيات التي دعت للتفكر في الاستدلال بالمخلوقات على الخالق، وذم من يعرض عنها كثيرة في القرآن الكريم، وهي تخاطب الفِطرة، وتدعو للتأمل الذي يؤكد بوجود خالق حكيم مدبر، أمرَ المخلوقات جميعها، وتصل بهذا التفكر إلى الإقرار بألوهيته تعالى واستحقاقه وحده العبادة(١).

---

(١) يتضح في البحث أن مخاطبة الآيات القرآنية للفطرة ولفت الانتباه للشواهد الكونية هي دعوة لإثبات الربوبية واستحقاقه تعالى للإفراد بالعبودية والتأكيد على البعث.

ويمكن أن تكون الحجة البرهانية هنا هي الاستقراء الناقص(1) مع الإشارة أحياناً لبعض الحجج الأخرى في بعض الآيات التي ستُذكر للاستدلال.

خلق الإنسان

إن الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان، طريقة عقلية أرشدنا إليها القرآن وأشار إليها، فهي عقلية من حيث كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً، وأشار القرآن الكريم إلى المادة التي خُلق منها الإنسان في عدد من الآيات، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ (سورة المرسلات)، وفي سورة الطارق ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ فبداية خلقه في بطن أمه كان من ماء مهين متدفق، وهذا لم يكن بمجرد علم الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليمه للناس، بل كل الناس يدركونه بعقولهم وحواسهم في بداية الحمل بالطفل ومادة أصله، والرسول صلى الله عليه وسلم استدل به ودل، كما جاءت الآيات صريحة وما جاء في الأحاديث النبوية المتعلقة بخلق الإنسان ومادته(2)، فهو دليل شرعي، كما أنه عقلي وحسي، لأن العقل يؤكده ويصححه(3). وقد جاء خلق الإنسان في كثير من الآيات

---

(1) وهي طريقة معتمدة عند أهل المنطق وعلماء أصول الفقه كما مر في البحث عند مسالك الحجة البرهانية.

(2) وكما جاءت الآيات القرآنية في خلق الانسان جاءت الأحاديث النبوية، ومنها: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً..." أخرجه البخاري: في **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، ص٤٥٠، رقم (٣٣٣٢)، وأخرجه مسلم، في **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتاب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ص٩٩١، رقم (٦٧٢٣).

(3) ينظر: ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس: **النبوات**، تحقيق: عبد العزيز صالح الطويان، (المملكة العربية السعودية، أضواء السلف، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٠م)، ص٢٩٢-٢٩٣.

القرآنية، وخاصة القرآن المكي[1]، بل كانت أول آية نزلت في القرآن أشارت إلى خلق الإنسان، وهي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ (سورة العلق)، وسميت بسورة "العلق" لورود الإشارة فيها إلى بداية خلق الإنسان، وسورة العلق تتعلق بخاتمة سورة التين قبلها، حيث ورد فيها : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ وهو بيان خلق الإنسان في أحسن تقويم[2] وهو العلة الصورية- المتعلقة بالصورة المشاهدة-، وبيّن تعالى في هذه السورة بداية خلق الإنسان وهو العلة المادية- وهي المادة التي تكون منها-[3]، وتُسمى أيضاً بسورة "اقرأ" لاستهلالها الأمر بالقراءة والكتابة، وتعظيم العلم، بما أنعم الله على الإنسان من الأدوات والجوارح المعينة عليه، وهذا من عظيم خلق الله لهذا الإنسان الذي خُلق لخلافة الأرض واستعمارها وتعبيدها بما فيها لله تعالى[4]، بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ فسبحانه الخالق لكل شيء، بدأ بخلق الإنسان لأنه محسوس بالعين، وأقرب إلى التصور وأعلق بالفهم، لأن الرب معروف عند العبد بكونه خالقه، فهو لا يحتاج إلى الاستدلال عليه، فهذه معرفة فطرية مغروزة في

---

[1] اعتنى القرآن المكي بتأصيل العقيدة والدعوة للتوحيد ونبذ الشرك.

[2] مع العلم أن أحسن تقويم لا تقتصر على الخلقة المادية بل على العقل أيضاً، "ليس عبثاً أن تكون كلمة (اقرأ) هي الكلمة الأولى، وليس عبثاً أن تتكرر ثلاث مرات، وليس عبثاً أن ترد (علم) ثلاث مرات وأن يشار بالحرف إلى القلم: الأداة التي يتعلم بها الإنسان"، خليل: عماد الدين: **حول إعادة تشكيل العقل المسلم**، (الدوحة، المحاكم الشرعية والشؤون الدينة، ط١، ١٤٠٣هـ)، ص٤٢.

وهكذا يحث القرآن الكريم العقل على التدبر والتفكر في الخلق ليصل إلى عبادة الخالق وتعظيمه.

[3] " كان من أبلغ الشهادات على أن هذا الوحى هو كلام الخالق تلك اللفتة المعجزة إلى خلق الإنسان من علق، وهي مرحلة من مراحل خلق الجنين البشري، لم يتعرف عليها الإنسان إلا في القرن العشرين، .... ووصفها القرآن بما يتسم بالدقة والشمول"، النجار: **من آيات الإعجاز العلمي خلق الإنسان**، ص٤٥٥.

[4] ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: **أسرار ترتيب سور القرآن**، تحقيق رضى فرج الهمامي، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص١٣٦، والبقاعي: برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر: **نظم الدرر في تناسب الآي والسور**، خرج أحاديث: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ج٨، ص٤٧٨-٤٧٩، والنجار: **من آيات الإعجاز العلمي خلق الإنسان** ، ص٤٥٣.

الفطرة ضرورية بديهية أولية[1]، وتخصيص الإنسان بالذكر إما لأن التنزيل إليه، أو لشرفه بين المخلوقات، ولتفخيم خلقه، ودلالة على عجيب فطرته، وما خصه الله تعالى من كماليات علمية وعملية، وخص تعالى هنا صفة الخالقية التي يستحيل معها الوقوع في الشركة، وفي ذلك استدلال على الألوهية، وجاءت السورة بالخلق والأمر إعلاماً بأنه سبحانه له التدبير والتأثير[2].

ويقول محمد عبد الوهاب عن سورة العلق إن: "**فيها مسائل: منها: وصفه سبحانه بالخلق الذي هو أظهر آياته، وذكر خلقه للإنسان من علق فيه حث على التواضع، وفيه معنى: اعرف نفسك تعرف ربك**[3]".

وتكون الحجة البرهانية في خلق الإنسان بعد عدم وأنه حادث.:

- إذا كان الإنسان وُجِد بعد عدم، فهذا يستلزم وجود خالق حكيم
- لكن الإنسان وُجد بعد عدم.
- إذن فهو مخلوق لخالق حكيم.

ويمكن صياغتها:

- الإنسان حادث.
- وكل حادث له محدث.

---

[1] ينظر: ابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٧، ص١١٠، وقوله تعالى: " ربك"، هو توحيد الربوبية المقتضية لقصر العبادة فيه"، الطباطبائي: (قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ط، د.ت)، **الميزان في تفسير القرآن**، ج٢٠، ص٣٢٣.

[2] ينظر: الرازي: **تفسير الرازي**، (طهران، دار الكتب العلمية، ط٢، د.ت)، المجلد٣١، ج٣٠، ص٥١، والقاسمي: **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، اعتنى به: هشام سمير البخاري، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، ج٧، ص٣٥٦، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**: المجلد١٢، ج٣٠، ص٤٣٦.

[3] عبد الوهاب: محمد: **تفسير آيات من القرآن الكريم**، جمعه وضبطه وخرج أحاديثه: محمد بن رياض الأحمد الثري، (الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ص٥٤٠-٥٤١.

- إذن الإنسان له محدث. والآيات القرآنية تؤكد أنه الله.

ولقد جاء في القرآن ذكر خلق الإنسان في كثير من الآيات إجمالاً أو تفصيلاً:

- الإجمال هو ما يُذكر فيه الخلق مجملاً دون توسعة فيما وهبه الله تعالى من نعم.
- التفصيل هو التفصيل في أصل الخلق، وذكر معها من نعم الله التي أودعها فيه.

وهذا كله للتنبيه واستنطاق الفطِر السليمة للتسليم للخالق الذي أتقن خلقه وأحكمه، فيدفعها للتسليم بربوبيته سبحانه، فمن التفصيل في أصل الخلق قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَاللَّهُ أَخرَجَكُم مِن بُطونِ أُمَّهاتِكُم لا تَعلَمونَ شَيئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَالأَفئِدَةَ لَعَلَّكُم تَشكُرونَ ﴿٧٨﴾﴾[1] وأكثر ما ذكره القرآن هو التفصيل في أطوار خلق الإنسان وتكوينه، وجاءت آياته في بيان حسن صورته وخلقه، والتنبيه على ما أنعم الله عليه به من حواس وجوارح، تهيئة للتواصل مع الموجودات من حوله والانتفاع بما أعطاه الله في هذا الكون الفسيح، ويعينه ليتبوأ الخلافة في الأرض كما أراد الله له.

ومن الآيات المجملة قوله جل وعز: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ[2] ﴿٦﴾﴾ (سورة الزمر)، حيث يبين تعالى نعمته وفضله في إيجاد البشرية بخلق الناس على كثرتهم واختلافهم من نفس واحدة –وخلق هذه النفس

---

(1) جاء لفظ (الإنسان) في القرآن في خمسة وستين موضعاً، و(أناس) في خمسة مواضع، و(الإنس) في ثمانية عشر موضعاً، وأناسي وإنسياً في موضع واحد، انظر: **جلغوم: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ج١، ص٢٦٨-٢٦٩، ويقول الدكتور زغلول النجار: "إن عدد الإشارات القرآنية للإنسان بلغ إحدى وثلاثين وثمانمائة موضعاً إذا أضيف له مصطلح (النفس)، و(المرء) وتصاريفه، وما جاء من لفظ أنثى ونساء ونسوة وامرأة ورجل، وما جاء من ذكر آدم عليه السلام وذريته بتعبير (بني آدم)"، النجار: زغلول راغب محمد: **من آيات الإعجاز العلمي خلق الإنسان في القرآن**، ص٢٢-٢٣.

(2) الاقتصار من الآية على ما يتعلق بالإنسان.

شيء عجيب-، ثم تشعب منها عدد عظيم، عبر الامتداد في عملية التناسل، ومن تمام نعمته أن جعل لهم أزواجاً يسكنون إليهم، ويأنسون بهم، ويحصل منهم التناسل، وأوجدهم في بطون أمهاتهم خلقاً من بعد خلق، وذلك أنه يكون فيها نطفة، ثم يجعلها علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم يُنْشئه خلقاً آخر، فتبارك الله رب العالمين، وجاء بصيغة المضارع لإفادة تجدد الخلق مع كل نفس بشرية وتكرره، وقد أحاطهم الله بعنايته ورحمته وفضله وهم في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة[١]- التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد- وسخر لهم كل ما يحتاجون إليه من حولهم، فهو سبحانه الرب الذي رباهم ودبرهم، ثم ما بالكم أيها الناس تنقلبون وتنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره، فأين ذهبت عقولكم، فكما أنه الواحد في خلقه وتربيته لا شريك له في ذلك، فهو الواحد في ألوهيته، لا شريك له[٢].

يقول ابن عاشور: " **في هذه الآية عطف قوله (جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) بحرف (ثُمَّ) الدال على التراخي الرتبي لأن مساقها الاستدلال على الوحدانية، وإبطال الشرك بمراتبه، فكان خلق آدم دليلاً على عظيم قدرته، وخلق زوجه من نفسه دليلاً آخر مستقل الدلالة على عظيم قدرته.... فكان خلق زوج آدم منه أدل على عظيم القدرة من خلق الناس من تلك النفس الواحدة.... وقد**

---

[١] عرض الدكتور النجار أربعة أقوال في تحديد الظلمات الثلاث، ومنها الرأي المذكور هنا وهو اختيار المفسرين، ثم رجح الدكتور النجار أن القول المختار هو: المبيض، وقناة فالوب، والرحم، لأنها ثلاث متفرقات، أما الآراء الأخرى فإنها تشير إلى ظلمة واحدة، ثم أشار إلى أن الله الخالق العظيم أشار إلى حقيقة علمية يفهمها كل قرن بما يتوفر عندهم من إمكانيات علمية، وأنه خاطب البشرية كلها رغم اختلاف الأمكنة والأزمنة، ينظر: النجار: **من آيات الإعجاز العلمي خلق الإنسان**، ص١١٤-١١٥، وهذا يؤكد ربوبية الله تعالى وعلمه وإحاطته بعباده وإلى قيام الساعة.

[٢] ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٩، ص٦٥٦-٦٦٠، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٨، ج٨، ص١٥٤، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٣، ص١٩٥-١٦٠، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٩٠٤، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٩، ج٢٣، ص٣٣١، وفضل الله: السيد محمد حسين: **من وحي القرآن**، (بيروت، دار الملاك، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ج١٩، ص٢٠.

تضمنت الآية ثلاثة دلائل على عظم القدرة خلق الناس من ذكر وأنثى بالأصالة، وخلق الذكر بالإدماج، وخلق الأنثى بالأصالة أيضاً[١]".

خلق السماوات والأرض

سلك القرآن الكريم للدلالة على وجود الله سبحانه وتعالى بالآيات الكونية- كالسماء والأرض وما فيهما من مظاهر رحمة- من خلق وإيجاد وإبداع-، إلا أن الاستدلال بآيات الخلق أكثر من غيرها، لأنها تدل على الخالق سبحانه، وأن كل ما سواه مفتقر إليه، فيلزم من وجودها وجود عين الخالق[٢].

وقد كانت طريقة القرآن في بيان هذه الحقائق بمخاطبة الحس والقلب والعقل معاً، ودلل على الحق بالحجج المنطقية والأدلة العقلية والوجدانية[٣]، وذلك بالاستدلال بالدلائل الكونية التي تلفت النظر وتحث على التفكر، ومن استخدم عقله في تدبر الآيات وصل إلى الإيمان بأن هذا العالم من صنع إله واحد حكيم عليم قدير[٤].

" أبقى الله لنا في أديم الأرض، وفي صفحة السماء من الشواهد الحسية الملموسة ما يمكن أن يعين المتفكرين المتدبرين من بني الإنسان على إدراك حقيقة الخلق...ويؤكد القرآن على ما في السماوات والأرض من الأدلة، التي تنطق بطلاقة القدرة الإلهية في خلقهما وإبداعهما،

---

[١] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٩، ج٢٣، ص٣٣١.

[٢] ينظر: ابن تيمية: **الرد على المنطقيين**، ص٣٤٥، ومحمود: **أسس اليقين**، ص٥٨٢-٥٨٣.

[٣] وهذا ما ذهب إليه البحث من أن القرآن اشتمل على أنواع الحجج -الجدلية، والخطابية، والشعرية- وكلها برهانية.

[٤] ينظر: موسى: محمد يوسف: **القرآن والفلسفة**، (القاهرة، دار العالم العربي، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م)، ص١٨-١٩.

كما تنطق بحتمية إفنائهما[1]، وإعادة خلقهما من جديد في هيئة غير التي نراها فيها، وذلك في عدد غير قليل من الآيات[2]".

وسيعرض البحث آيات عديدة للتدليل على ذلك:

أولاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ (سورة آل عمران).

مدح الله تعالى أهل النظر والتدبر، وحث عباده على التفكر في خلق السماوات والأرض[3]، وقوله (لآيات) إشارة لكثرتها وعمومها، فهو سبحانه يملك أمرهما، وما فيهما من خزائن المطر والرزق وغير ذلك، وفيهما من العجائب كاختلاف الليل والنهار على مدار العام، وغير ذلك من الآيات والدلالات الواضحة على الوحدانية والإلهية والكبرياء والإيجاد البديع لذوي العقول النيرة التي تنظر نظر استدلال واعتبار تقودهم لمعرفة الحق واتباعه، فهي دلائل مبنية على جذور ثابتة في النفس البشرية لا تنفك عنها، تنادي بأن هذا الخلق العظيم وما فيه من المصالح للمخلوقات لا يمكن نسبته إلا لخالق عظيم هو الله جل وعز، وجاء هنا استقصاء الدلائل السماوية لأنها أبهر

---

[1] جاءت آيات الحديث عن خلق السماوات والأرض في معرض الرد على المجادلين المكذبين باليوم الآخر في بيان أن من أوجد هذا الخلق العظيم الظاهر للعيان قادر على إفنائه وإنشائه خلقاً آخر، وقادر على بعث الموتى وكله عليه جلّ وعزَّ يسير، " فلما أطال الكلام في تقرير الأحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد إلى إنارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والإلهية والكبرياء والجلال فذكر هذه الآيات" ، الرازي: **التفسير الكبير**، ج٩، ص١٣٨.

[2] النجار: زغلول راغب محمد، **موسوعة الإعجاز العلمي السماء في القرآن**، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨م-٢٠٠٧م)، طبعة الأوقاف في قطر)، ص٧٥-٧٧.

[3] وهكذا القرآن يأتي بالنهج الذي يكون فيه آية للعقول التي تفكر فيما حولها، ومن حولها، ويلتقي العلم والدين في وجود الله، ينظر: فضل الله: **من وحي القرآن**، ج٦، ص٤٥٥.

وأقهر، وعجائبها أكثر، وتنقل القلب إلى عظمة الله وكبريائه، وختم الآية بقوله تعالى: (لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)، لأن العقل في كمال حاله يكون لباً[1].

ثانياً: قال تعالى: ﴿ أَوَلَم يَنظُروا في مَلَكوتِ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما خَلَقَ اللَّـهُ مِن شَيءٍ وَأَن عَسى أَن يَكونَ قَدِ اقتَرَبَ أَجَلُهُم فَبِأَيِّ حَديثٍ بَعدَهُ يُؤمِنونَ ﴿١٨٥﴾ (سورة الأعراف)

تعرض الآيات قضية التوحيد من زاوية الفطرة وما أخذ الله عليهم من الميثاق والاعتراف بربوبيته سبحانه، والتي جاءت الرسل لتأكيدها والتذكير بها، فهي دعوة للتدبر في مخلوقات الله تعالى فيستدلون أن لها صانعاً ومدبراً دبرها على ما أراد، فهو استئناف مسبوق بالإنكار والتوبيخ لإعراضهم عن التفكر والتأمل في آيات الله الكونية في الآفاق والأنفس الشاهدة على صحة الآيات المنزلة، والمراد بالتأمل التدبر والتفكر العميق المتغلغل إلى أصناف الموجودات، ولذلك عدَّى فعل "النظر" بحرف الظرفية "في"[2]، والملكوت: هو الملك العظيم، إضافته إلى السماء والأرض بيانية، أي: ملك الله لهما بمجموعهما وما فيهما، وقوله تعالى: (وَما خَلَقَ اللَّـهُ مِن شَيءٍ) للتنبيه على أن دلائل التوحيد ليست مقصورة على السماوات والأرض، بل في كل ذرة من ذرات العالم والأكوان والأنفس، فالنظر في الملك والملكوت يورث الاعتبار، ومعرفة الله تعالى تشغل العبد بخالقه.

---

[1] ينظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٩، ص١٣٩-١٤٠، والشربيني: الخطيب: **تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير**، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٢، د.ت)، ج١، ص٢٧٤-٢٧٤، وابن كمال باشا، **تفسير ابن كمال باشا**، ج٢، ص٤٥٢-٤٥٣، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١٨٦، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج٣، ص٥٧٦-٥٧٧، وبدوي: عبد العظيم: **الجواهر الحسان في تفسير آل عمران**، القاهرة، دار ابن رجب-دار الفوائد، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، ص٧٢٢-٧٢٦.

[2] "في" هنا ظرفية مكانية، ينظر: الأنصاري: أبو محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ج١، ص١٩١.

وقوله: (عَسى أَن يَكونَ قَدِ اقتَرَبَ أَجَلُهُم) هو أجل الأمة، وهو للتهويل والتعظيم بأجل غير متعارف عليه، وقد يكون هلاكهم كما سبقهم من الأمم المكذبة، فما بالهم وقد اقترب أجلهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن، وماذا ينتظرون بعد وضوح القرآن وصدقه؟، أو أنه اقتراب الأجل وهو مجيء الساعة وفناء العالم[1].

وهكذا "**جمعت الآية الكريمة مطالب العلوم كلها على العموم الأقصى، وأعلمت بمناهج الفوز الأكبر والفلاح الأعلى، وأن الوجود كله يدور على معرفة الله**[2]".

ثالثاً: قال تعالى: ﴿أَوَلَم يَرَ الَّذينَ كَفَروا أَنَّ السَّماواتِ وَالأَرضَ كانَتا رَتقًا فَفَتَقناهُما وَجَعَلنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤمِنونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلنا فِي الأَرضِ رَواسِيَ أَن تَميدَ بِهِم وَجَعَلنا فيها فِجاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُم يَهتَدونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلنَا السَّماءَ سَقفًا مَحفوظًا وَهُم عَن آياتِها مُعرِضونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسبَحونَ ﴿٣٣﴾ (سورة الأنبياء).

لفت الله تعالى أنظار المشركين –ومن بعدهم– إلى عظيم خلق الله وما فيه من عجائب الصنع وروائع الخلق، فعن عكرمة عن ابن عباس قال: " **كانت السماوات والأرض شيئاً واحداً**

---

[1] ينظر: الواحدي: أبو الحسن على بن أحمد النيسابوري: **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، ج٢، ص٤٣٢، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٤، ص١٠١-١٠٢، والرازي: **مفاتيح الغيب**، ج١٥، ص٨٠-٨١، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٤، ج٤، ص٢١٤-٢١٥، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٤١١، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز**، ج٣، ص٢٩٩، والقاري: نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي: **أنوار القرآن وأسرار الفرقان، تفسير الملا القاري**، تحقيق: ناجي السويد، (بيروت، الدار العلمية، ط١، ٢٠١٣م)، والسعدي: **تفسير السعدي**: ص٣٧٥، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٥٠٥-١٤٠٦، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٤، ج٩، ص١٩٦-١٩٧.

[2] ابن برجان: عبد السلام ابن عبد الرحمن اللخمي الإشبيلي: **تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم**، المسمى تفسير ابن برجان، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٣م)، ج٢، ص٤١٥.

ملتزقتين، ففصل الله بينهما، ورفع السماء إلى حيث هي، وأقرَّ الأرض[1]"، ويرى ابن كثير رحمه الله أن الجميع في بدء الأمر كان متصلاً بعضه ببعض، متراكماً متلاصقاً، ففتق الله تعالى السموات سبع سماوات والأرض سبعاً، فانفتقت السماء بالمطر، والأرض بالنبات، **وفي هذا دلالة على وجود الخالق العظيم وبيان قدرته وحكمته**، ومن أدلة وحدانيته وحكمته أنه جعل في الأرض جبالاً رواسي لتثبيتها، لئلا تميد بالعباد وتضطرب، فتصعب الحياة عليها وتتعطل منافع الخلق، ومن حكمته تعالى أن جعلها فجاجاً سبلاً وطرقاً سهلة لا حزنة يصعب السير عليها، ليهتدي الخلق للوصول إلى مطالبهم وحاجاتهم[2].

رابعاً: قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[3] (سورة يس).

---

[1] عكرمة: **تفسير عكرمة**، جمع وتخريج: الهامشي برعدي الحوات، (القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)،ج٢، ص٦٥٣.

[2] ينظر: ابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٢، ص٤٨٩، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٦٥٢، وأبو زهرة: محمد: **زهرة التفاسير**، (القاهرة، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ص٤٨٥٦-٤٨٥٧.

[3] سبقت هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾، ذهب البقاعي إلى أنه تعالى بعد أن أثبت البعث جاءت الآيات التي تليها في إثبات الوحدانية والإعلام بأن ما عُبد من دونه لا استحقاق له بأي وجه، أظهر في هذه الآيات مظاهر عظمة خلق الله واستحقاقه الألوهية، ينظر: البقاعي: **نظم الدرر**، ج٦، ٢٥٨-٢٦٢. وهذا مثال على ما يأتي في القرآن الكريم لإثبات الوحدانية والبعث، والآيات القرآنية تجمع كثيراً مثل هذا الحسن في الترتيب والاستدلال العقلي.

الآيات جولة قرآنية في آيات الله الكونية حيث تظهر قدرة الله وعلمه ورحمته، وتدل الناس للتفكر والبحث والاستقراء في تفاصيل الظواهر الكونية لتحصل المعرفة الواعية وتتكشف عظمة الله وقدرته من خلال دقة الخلق، فيزداد القلب إيماناً وخشية فينزه الله تعالى الذي خلق الأزواج كلها عما نسب إليه الكفار من الشريك والولد، مع رؤيتهم لقدرة الله تعالى ونعمه عليهم، وفيها التعجب من هؤلاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات.

ويخلق ما لا يعلمون من مخلوقات شتى، أو من المخلوقات التي قد خلقت وغابت عن علمنا، والتي لم تخلق بعد، وقد يكون مما لا يعلمه البشر تفصيلاً، وإن شعروا به إجمالاً، فالمخلوقات أسرار خفية قد لا ندرك كنهها وتفاصيلها وإن تفاوت الناس فيها، والاستدلال في هذه الآية تفرده تعالى بالخلق فكيف يُنسب له الشريك والولد[1]!

ولما كانت الآية السابقة تدريباً لهم على النظر في الأعيان الحسية الدالة على قدرته تعالى، قال ناقلاً لهم من المكان الكلي إلى الزمان الكلي، مما فيه من دقيق نظام الخلق، وهم قادرون على معاينته، فالليل سابق عرفاً وشرعاً، فيزيل الله تعالى الليل ويزيل الظلمة فتطلع الشمس ويملأ نورها الآفاق، ويزيل الله تعالى الضياء وينشر الليل والظلام، والقمر قدره الله منازل ينزلها ظاهرة للناس، كل ليلة ينزل منها واحدة، حتى يصغر جداً في آخر الشهر ويصبح كالعرجون القديم، أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه صغر وانحنى، فإذا وصل إلى هذا يبدأ دورته من جديد، فما زال يزيد شيئاً فشيئاً، حتى يتم نوره ويتسق ضياؤه، ويتكرر ذلك كل شهر.

والشمس لها دورة معينة تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي إليه دورها، ولكل واحد منهما فلك يسبحون فيه، فإذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر، فنفى أن تصطدم الشمس بالقمر،

---

[1] وهكذا يجمع القرآن بين أنواع التوحيد في الآية الواحدة.

خلافاً لما يبدو من قرب منازلهما فإن ذلك من المسامتة لا من الاقتراب، وفي لفظ (كل) إفادة عموم ذلك في كل الأجرام السماوية التي تسبح في فلكها، ودخل معها الشمس والقمر، وقدّم حرف النفي (لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا) لإفادة كونها مسخرة لا يكون منها إلا ما أريد لها، وهذا بعد أن أثبت في الآية السابقة أن جريانها بتقدير العزيز العليم مما أفاد أنها مسخرة، وذلك للحث على التدبر فيما ألف الناس وغفل الجاهلون عنه[1].

خامساً: قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ (سورة غافر).

جاءت هذه الآية في سياق بيان مجادلة المعاندين للرسل في وحدانية الله تعالى بسبب الكبر واتباع الهوى لعدم تسليمهم برسالة نبيهم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ فجاءت الآية لبيان أن الإله الذي خلق السماوات والأرض بهذا الشكل العظيم، والبناء المحكم، والنظام العجيب الدقيق- وهي أشق بحسب الناس ولا تفاوت بين الكبير والصغير عند

---

[1] ينظر: الزجاج: أبو اسحاق ابراهيم بن السري: **معاني القرآن وإعرابه**، (طنطا، دار الصحابة للتراث، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ج٢، ص١٣٨٨، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٣٠٠، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٣، ج٨، ص١٨-٢٤، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٣، ص١١٠، والبقاعي: **نظم الدرر**، ج٦، ص٢٣٦-٢٦٥، والآلوسي: **روح المعاني**، ج١٢، ص١٤-١٦، والسعدي، **تفسير السعدي**، ص٨٧٢، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، المجلد٩، ج٢٣، ص١٥-٢٦. والسامرائي: فاضل صالح: **على طريق التفسير البياني**، (دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)، ج٢، ص١٨٦-١٨٧، وفضل الله: **من وحي القرآن**، ج١٩، ص١٤٥

الله– متفرد بوحدانيته وربوبيته، قادر على إعادتكم بعد الموت لا يعجزه شيء، فمن قدر على الأقوى والأكمل[١] فقدرته على الأدنى والأرذل أولى، فإن سلموا بما هو أعظم لزمهم التسليم بما هو أدنى[٢].

" **لما نفى في آية المجادلة من بلوغهم لما قصدوا من الكبر، قال مؤكداً تنزيلاً للمقر العالم منزلة الجاهل المعاند لمخالفة فعله اعتقاده: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ)، أي خلق الله لها على عظمتها وارتفاعها وكثرة منافعها واتساعها على ما ترون من عجائبها .... فعُلم قطعاً أن الذي قدر على ابتدائهما على عظمه قادر على إعادة الناس على حقارتهم**[٣]".

سادساً: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ (سورة الشورى).

يقول الطبري: " **ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم، وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم، خلقه السماوات والأرض، وما بثّ فيهما من دابة**[٤]"، قوله تعالى: "آياته" مفردها آية، وهو الشيء العجيب الذي يدعوك للتأمل، هنا الحديث عن شيء عجيب

---

[١] هذه الآيات في بيان ربوبية الله وقدرته التي سلّم لها الخصم، فلزمهم التسليم بإثبات البعث، وكثير من الآيات التي تتكلم عن عظمة الله وقدرته تشير إلى قدرته على البعث بعد الموت، وفي هذا بيان أن خلق السماوات والأرض من الأمور العظيمة التي يُستدل بها على وجود الله وربوبيته وألوهيته وعلى إثبات البعث، أما الحجج المنطقية فلا يمكنها مثل هذا الجمع مع الإيجاز وعرض الأدلة.

[٢] ينظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٢٧، ص٧٩، والقنوجي: محمد صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، (د.م، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج٨، ص٢٩٥، وحوى: سعيد، **الأساس في التفسير**، (الإسكندرية، دار السلام للطباعة والنشر، ط٨، ١٤٣٦هـ–٢٠١٥م)، ج٨، ص٣٩٢–٣٩٣، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج١٨، ص٢٣٤–٢٣٥، والصابوني: **قبس من نور القرآن الكريم**، ص٢٠٩.

[٣] البقاعي: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٦، ص٥٢٧، وهذه الآيات تقدم الحجج على ربوبية الله تعالى ووحدانيته وقدرته على الإعادة بعد الموت.

[٤] الطبري: **جامع البيان**، ج٩، ص٨٦٢.

في خلق السماء والأرض الذي يدل على عظمته وقدرته العظيمة، وسلطانه القاهر[١]، وهو سبحانه قادر على جمع الأولين والآخرين وحشرهم ليوم البعث[٢].

سابعاً: قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ (سورة ق).

" أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم نظر اعتبار وتفكر[٣]، وأن القادر على إيجادها قادر على الإعادة، كيف بنيناها فرفعناها بلا عمد، وزيناها بالنجوم وما لها من فروج.... ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق[٤]".

الآيات تفريع على بداية السورة في قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ ﴿٢﴾ إلى قوله تعالى:﴿مَّرِيجٍ ﴿٥﴾، فيها **تنبيه وتذكير بعظمة المخلوقات من حولهم وأن من خلقها قادر على بعثهم وحسابهم،**[٥] فما فيهما من قوة وشدة وحسن وإتقان دال على الحكمة والعلم بأحوال العباد ومنافعهم، والاستفهام للتقرير[٦] ومحل التقرير فعل (انظروا)، وهو أشد في النعي عليهم، لأن مجرد المشاهدة في هذه المخلوقات العظيمة يكفي للاستدلال على البعث، وأنه تعالى عليم بما

---

[١] وهذه صفات الربوبية.

[٢] ينظر: ابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٢، ص٢٢٧، وحوى: **الأساس في التفسير**، ج٥، ص٤٤٦، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج١٨، ص٥٢٦-٥٢٧.

[٣] في الآية ذم لمن يغفل عن التفكر في مخلوقات الله ويعرض عنها.

[٤] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٣، ج٩، ص٦.

[٥] واستدل الطبري بالآية على القدرة على البعث، ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج١٠، ص٣١٣.

[٦] ذكر ابن عاشور وجهاً آخر للاستفهام وهو أن يكون انكارياً، والنظر نظر الفكر، ومحل الإنكار هو الحال التي دل عليها "كيف بنيناها، ينظر: **التحرير والتنوير**، المجلد١٠، ج٢٦، ص٢٨٥.

ينفع العباد، فأودع فيهما ما فيه من مصالحهم، وفيه دليل على رحمته جل وعز بخلقه، وهو سبحانه الأحد الفرد الصمد، تفرد بالربوبية ولا تنبغي العبادة إلا إليه[١].

ثامناً: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ (سورة الملك).

جعل الله تعالى الأرض مذللة مهيأة ميسرة للناس، وجعل لهم فيها منافعهم، ليدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتهم، من غرس وبناء وحرث، وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة، ثم أمرهم بالمشي في مناكبها والانتفاع بها، فتضمنت الآية ما يدل على ربوبيته تعالى ووحدانيته، وفيها دلالة على أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وعلى قدرته، والتذكير بنعمه، والتحذير من الركون إلى الدنيا، بل حث على السير للقائه والاستعداد له، وأنه تعالى يحيي المخلوقات بعد ما أماتهم وإليه النشور[٢].

تاسعاً: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

---

[١] ينظر: السعدي: **تفسير السعدي**، ص١٠١٥-١٠١٦، وابن عاشور: **المرجع السابق**، ص٢٨٥-٢٨٦، والزحيلي: وهبة: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١١هـ-١٩١١م)، وفي الآية بيان فوائد التفكر في المخلوقات العظيمة في تقوية الإيمان وإدراك عظمة الخالق وجبروته.

[٢] ينظر: ابن القيم: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر، **بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية**، (الرياض، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ)، ج٣، ١٧٤، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١١٠٠، ومجمع الملك فهد، **تفسير القرآن الكريم**، (المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، د.ط، د.ت)، ص٥٦٣.

إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾[1] (سورة نوح).

عندما دعا نوح عليه السلام قومه نبههم إلى هذه الدلائل الظاهرة على وحدانية الله تعالى وتفرده بالخلق، والاستفهام للتقرير، والرؤية بمعنى العلم، والمراد مشاهدة عجائب الصنع الدال على كمال القدرة والعلم، وفي بعض الآيات يبدأ تعالى بدلائل الأنفس ثم الآفاق، كما في هذه الآية[2] لأن الأنفس أقرب ولا حاجة بها للتأمل، بخلاف دلائل الآفاق الأبعد والأعظم، وتحتاج إلى التأمل، وذكره تعالى أنها سبع سماوات للإخبار لا التأمل- لأن التأمل لن يصل بنا إلى العدد-، والدعوة لبيان عظمة صنعتها وخلقها، ومع هذا لا ترى فيها من تفاوت ولا فطور، وجعل القمر فيها نوراً إيماءً أن نوره ليس من ذاته، بخلاف الشمس فهي سراج منير، تزيل ظلمة الليل، كما يزيل السراج العتمة، وكلٌ يهتدي به الناس في قضاء مصالحهم، وما في ذلك من دلائل على رحمة الله وسعة إحسانه، وقد نبه تعالى في قوله " لَكُمُ" في جعل الأرض بساطاً، وما في ذلك من الفوائد وقضاء الحوائج تنبيهاً إلى جميع النعم الحاصلة للناس من تسوية الأرض، وفي قوله " لِّتَسْلُكُوا" فتحصلوا على النعم التي أودعها الله لكم فيها، وهذه هي صفات الربوبية[3].

---

[1] الآية السابقة لهذه الآية قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾، سيقت هذه الآية الكريمة والتي تؤكد على قدرة الله في إحياء الموتى مع الآيات التي تثبت ربوبية الله تعالى بما يشاهد الإنسان من حوله من مخلوقات عظيمة وخلق محكم.

[2] قال تعالى فيما سبق هذه الآيات: ﴿ما لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾، واقتصر البحث على آيات خلق السماوات والأرض لأن الحديث عنهما.

[3] ينظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٥، والرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٣٠، ص١٣٩-١٤٠، والبروسوي: اسماعيل حقي: **روح البيان**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٧، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ج١٠، ص١٧٨، والقنوجي: **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج٧، ص٢١٦، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١١١٤، ، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**: المجلد١٢، ج٣٠، ص٢٠٢-٢٠٤.

عاشراً: قال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ (سورة النازعات).

جاءت الآيات لمنكري البعث وإقامة الحجة عليهم على قدرة الله تعالى على ذلك، فجاء الاستفهام في صيغة التوبيخ، أليس الذي خلق السماء ورفعها وأتقن خلقها بما يبهر العقول، وأودع فيها وفي الأرض من عظيم نعمه وما يتيسر به معاشكم ومصالحكم، فلتعلموا أن بعث الأجساد من القبور لا يتعذر على قدرة الله ليجزي المكلفين بأعمالهم[١].

والآيات كثيرة جداً في خلق السماوات والأرض ومنافعهما، من المطر، والليل والنهار، والشمس والقمر، والنبات والبحار، والحيوانات...وغيرها الكثير، مما يجعل أهمية هذا العرض لتأكيد ربوبية الله تعالى ووحدانيته، ومنها ما يجمع مع ذلك إثبات البعث وكمال الله تعالى[٢].

وكما ذكر البحث أن الحجة البرهانية في آيات الخلق هي مسلك الاستقراء الناقص [٣] والذي تبين لنا في موضع سابق من البحث قبول المناطقة والأصوليين ما يصل إليه من نتائج

---

[١] ينظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٨، ٥٣٢، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٣، ج١٠، ص١٣٢، والسعدي: **المرجع السابق**، ص١١٣٦، ومحمد بن صالح: **الكنز الثمين تفسير ابن عثيمين**، (بيروت، كتاب-ناشرون، ط١، ٢٠١٠م)، ج١٤، ص٣٥٤-٣٥٥.

[٢] الملاحظ من أقوال المفسرين أن هذه الآيات تجمع بين أنواع التوحيد- الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، مع الإشارة إلى تأكيد ما في الفِطر السليمة.

وقد ذكر القرآن (الأرض والسماء) في القرآن ٢١٤ في سياق الامتنان بخلقهما وبيان نعمته على عباده مع إقرار توحيد الألوهية والربوبية والكمال الإلهي وإقرار يوم البعث، انظر: جلغوم، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ج١، ٥٣-٦٢.

[٣] لم يستقص البحث كل الآيات التي ذكرت الإنسان والسماوات والأرض، فهذا أمر يطول، فنوع الاستقراء هو الاستقراء الناقص.

وتعميمها على الأفراد الأخرى في موضوع الدراسة، نجد أن القرآن استخدمه وأعطى أدلة قطعية يقينية في دلالة المخلوق على الخالق، وذلك مُلاحظ في:

١. **قانون العلية:** الذي أشار القرآن إليه في عديد من الآيات وهو العلة للخلق وسبب وجوده، ومنها قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ (سورة المؤمنون)، وفيها لفت النظر إلى هذه المخلوقات لتصل بالمتدبر إلى الغاية المقصودة، وفيها توبيخ لمن اعتقد أن الخلق عبثاً لا حكمة فيه، فقد أخبر جلَّ وعزَّ أنه خلق الخلق للعبادة والمجازاة[1]، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ (سورة الذاريات)، وفيها التأكيد على الخلق والغاية منه، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ (سورة الملك) وما جاء بعدها من آيات الخلق، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ في سِتَّةِ أَيّامٍ وَكانَ عَرشُهُ عَلَى الماءِ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلتَ إِنَّكُم مَبعوثونَ مِن بَعدِ المَوتِ لَيَقولَنَّ الَّذينَ كَفَروا إِن هذا إِلّا سِحرٌ مُبينٌ﴿٧﴾ (سورة هود) ففي هذه الآيات وغيرها يكرر ويكثر استخدام القرآن قانون العلية، وبيان السبب والعلة التي خلق الله تعالى فيها الخلق وما أودعه فيها من منافع ومصالح للعباد، وما هيأه تعالى للعباد من وسائل وجوارح تعين على التدبر والتعقل والانتفاع بما منحهم الله تعالى من نعم، فالغاية والعلة عبادة الله تعالى وتوحيده ثم محاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم، وهذه الغاية هي المقصودة من الحكيم الخالق المتعال جلَّ وعزَّ.

---

(1) ينظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص١٢٨.

٢. **قانون الاطراد:** فقد استخدم القرآن قانون الاطراد في الاستدلال على العديد من الموضوعات منها: خلق الشمس والقمر وتتبع أحوالهما، وهذا يكون في اطراد حركتهما، وتقلب الليل والنهار، وإنزال المطر وإحياء الأرض الميتة، وانبات الزرع، وهذه ضمن آيات خلق السماوات والأرض[١].

فالآيات في خلق السماوات والأرض تكررت كثيراً في القرآن مع التأكيد على قدرة الله الدالة على عظيم الصنع، وما فيهما من الفوائد والمنافع للمخلوقات، وتأتي الآيات في سياق الامتنان والدعوة للتفكر والتأمل في هذا الخلق العظيم الذي يصل به العقل السليم إلى عظمة الخالق وربوبيته سبحانه وتعالى.

وهكذا نجد أن الآيات القرآنية تكررت في الحديث عن المخلوقات ودلالتها وبيان الغاية منها، فعليه تكون دلالة المخلوقات على الخالق على مسلك الاستقراء الناقص حجة برهانية.

---

[١] من قانون الاطراد في القرآن الدعوة لمعرفة سنن الله تعالى في المكذبين وعرض قصصهم في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ (سورة محمد)، فاطراد هذه الآيات و تكرار علة استحقاقهم للعذاب هو استقراء ناقص يفيد اليقين.

المبحث الثاني: الحجة البرهانية في قضايا توحيد الربوبية[١]

للقرآن الكريم مقاصد وغايات من إنزاله، تتكرر الإشارة إليها كثيراً في سور القرآن وآياته، وقد تكلم المتقدمون من العلماء عن هذه المقاصد، فالإمام الغزالي عدّ ثلاثة مقاصد مهمات هي: **تعريف المدعو إليه** وهو الله جلَّ وعزَّ، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته، وتعريف الحال عند الوصول إلى الله، وهو يوم المعاد[٢].

وجمعها الرازي في ال**إلهيات**، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر[٣]، بينما حصرها الشوكاني في ثلاثة **إثبات التوحيد**، والنبوات، والمعاد والبعث[٤]، أما النورسي فقد وافق الرازي في **التوحيد**، والنبوة، والحشر، وأضاف العدالة[٥].

ومن هذا يتبين أن التوحيد من أهم مقاصد القرآن وما اتفقت عليه الشرائع.

يقول ابن القيم: " **نقول قولاً كلياً: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري،**

---

[١] يسمى توحيد الربوبية التوحيد الخبري الاعتقادي، وتوحيد المعرفة والإثبات، وهو إثبات البراهين على وجود الله وربوبيته، ينظر: آل حكمي: حافظ بن أحمد: **مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**، اختصار: هشام بن عبد القادر آل عقدة، (الرياض، دار الصفوة، ط٩، ١٤٢٣هـ)، ص٢٣-٢٥.

[٢] ينظر: الغزالي: **جواهر القرآن**، تحقيق: محمد رشيد رضا، (بيروت، دار إحياء التراث، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ص٢٣.

[٣] ينظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج١، ص١٧٩.

[٤] ينظر: الشوكاني: محمد بن علي: **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ص٣-٤.

[٥] ينظر: النورسي: **إشارات الإعجاز**، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة، دار سوزلر، ط٧، ٢٠١٤م)، ص٢٢.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر أو نهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته[١]".

ويؤكد بديع الزمان النورسي ذلك في بيان إعجاز القرآن في عرض التوحيد وأقسامه في القرآن، حيث يقول: إن القرآن حافظ على التوازن بين أنواع التوحيد، وما يترتب عليها من أحكام وذلك واضح لمن أقبل على القرآن بتفهم وتدبر[٢].

واهتمت الآيات القرآنية في الأصل بتوحيد الألوهية، لأن هذا ما كانت تختلف عليه الأمم، أما توحيد الربوبية فقد جاء التنبيه عليه بدلالة الفطرة السوية، وما تقره العقول السليمة، والآيات في ذلك كثيرة، ولا يمكن استقصاؤها، فضلاً عن أن الآيات القرآنية تأتي في تلازم أنواع التوحيد ومخاطبة الفطرة، فالقرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأقواله وأفعاله، وهو توحيد الربوبية أو الدعوة إلى عبادة الله وخلع ما يعبد سواه وهو توحيد الألوهية، والآيات في قصدها توحيد الألوهية تبين أنه مستلزم أصلاً لتوحيد الربوبية وكمال الله جل وعز، ولا ينكر ذلك إلا جاحد مخادع لنفسه[٣].

ولذا نجد أن اهتمام القرآن بإقرار توحيد الألوهية في الأصل أكثر من اهتمامه بإثبات وجود الخالق، حيث إن وجود الخالق من أصل الفطرة، وما كان هذا شأنه يأتي التذكير به عاماً وإجمالاً،

---

[١] ابن القيم: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: إياد بن عبد اللطيف القيسي، (الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ج٣، ص٥٣٢.

[٢] ينظر: النورسي: **الكلمات**، ص٥٠٤-٥٠٥.

[٣] ينظر: ابن عبد الوهاب: عبد الرحمن بن حسن بن محمد: **فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد**، وفي حاشيته: التوضيح المفيد على كتاب فتح المجيد: تحقيق وتعليق: أبي عبد الله محمد بن علي البعداني، (صنعاء، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ص٣٦-٣٧، والسعدي: **القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن**، اعتنى به: خالد عثمان السبت، (الرياض، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢١هـ)، ص٢٥.

أما القضية التكليفية التي تُثار ليتوصل إليها الإنسان بعقله أو يأتي الوحي بإلزامها، وليس لها مرتكز في الفطرة فإن القرآن يكثر الاستدلال عليها(١)، وفي هذا يقول الشهرستاني:

" **فما عددت وجود الخالق من النظريات التي يُقام عليها برهان، فإن الفِطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهية فكرتها على صانع حكيم(٢)**".

٢.٢.١ المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية:

- التوحيد لغة: مصدر للفعل (وحَّد، يوحِّد) توحيداً، والوحدة الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة، وحده توحيداً جعله واحداً، ووحدت الله نسبت إليه الوحدانية، وليس للواحد تثنية ولا للاثنين واحد من جنسه، وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل(٣).

ومن التعريف اللغوي نصل إلى أن التوحيد جعل الشيء واحداً، والواحد هو المنفرد، فعليه فالتوحيد يدور حول الانفراد والوحدة.

- التوحيد اصطلاحاً:

الاقرار بوحدانية الله تعالى، وأنه لا شريك له ولا مثيل له في صفات جلاله(٤).

---

(١) ينظر: مسلم: مصطفى: **مباحث في التفسير الموضوعي**، (الرياض، دار التدمرية، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص١٠٦.

(٢) الشهرستاني: عبد الكريم: **كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ)، ص١٢٤. وهذا هو الأصل فوجود الله وربوبيته أمر فطري، لا يحتاج إلى نظر.

(٣) ينظر: الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، مادة (وحد)، ص٥٣٠، وابن منظور: **لسان العرب**، ج٣، ص٣٤٣، والفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص١٦٥٣.

(٤) ينظر: الغزالي: **الاقتصاد في الاعتقاد**، اعتنى به: أنس محمد الشرقاوي، (الرياض، دار المنهاج، ط١، ١٤٧٣هـ-٢٠١٧م)، ص١٩٦-١٩٨.

يقول الإمام السفاريني: "**التوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل، فمعنى وحدت الله نسبت إليه الوحدانية، لا جعلته واحداً، فإن وحدانية الله تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل**[1]".

فالله تعالى له التوحيد الخالص، بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ووحَّد المسلمون الله: إذا جعلوا المعبود واحداً، وهو الله جلَّ وعلا[2].

- والرب لغة:

" **في الأصل من التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام. فالرب مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات. ويقال رب الدار ورب الفرس لصاحبهما. والربوبية مصدر يقال في الله عزَّ وجلَّ، والرِّبابة تُقال في غيره**[3]".

- توحيد الربوبية:

هو بيان أن الله تعالى خالق كل شيء، وأن له الخلق والأمر والتدبير، ودليله قوله تعالى: ﴿ أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ العالَمينَ﴿٥٤﴾ (سورة الأعراف)، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ (سورة الجاثية)[4]، "**وعن**

---

(1) السفاريني: محمد بن أحمد الأثري الحنبلي: **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الربانية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، علق عليها: عبد الله أباطين، (دمشق، مؤسسة الخافقين، د.ط، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ج١، ص٥٦-٥٧.

(2) ينظر: ابن عثيمين: محمد بن صالح: **القول المفيد على كتاب التوحيد**، (بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ص٧، وآل الشيخ: صالح بن عبد العزيز، **التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، (الدوحة، دار الإمام البخاري، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ص٢٣.

(3) الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص١٩٠، مادة (رب).

(4) ينظر: أبو العز: علي بن علي الدمشقي: **شرح العقيدة الطحاوية**، حققه وعلق عليه: عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط، (الرياض، دار عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، ص٢٤، وابن عثيمين: محمد بن صالح، **شرح العقيدة الواسطية**، (الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ص١٤-١٥.

عبدالله بن عمر رضي الله عنه عندما تلا قوله تعالى:"﴿ أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ﴾ الآية: من بقي له شيء فليطلبه، وماذا بقي بعد الخلق والأمر[1]؟"، فجميع المخلوقات وأفعالها منه سبحانه وتعالى، وكذلك الأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فله سبحانه العظمة وكمال الأوصاف، وتبارك جلَّ في علاه وبارك في غيره بما حلّ فيها من البركات، وهذا كله من آثار رحمته بخلقه[2]، "**فابتدع السماوات والأرض ولم يكونا، إلا بقدرته، ولم يستعن على ذلك بأحد من خلقه، ولم يشركه في شيء من سلطانه القاهر، وقوله النافذ الذي يقول له ما أراد أن يكون كن فيكون**[3]"، ويقول ابن تيمية في فطرية هذا القسم من التوحيد: أن الفطر السليمة، تعرف الله تعالى حتى لو لم تعرف الآيات، فإنها مفطورة على ذلك، ولكونها آية له ودلالة عليه، مثل كون الاسم يدل على المسمى، فلا بد من تصور المسمى قبل ذلك، فكل مخلوق هو دليل، وآية على الخالق سبحانه وتعالى[4].

٢.٢.٢ المطلب الثاني: اثبات توحيد الربوبية من دلالات الآيات القرآنية

وسنسوق هنا من الآيات التي تتضمن إثبات وجود خالق واحد متصرف في الكون، "توحيد الربوبية"، وبيان الحجة البرهانية من الآيات على أن خلاف ذلك هو مخالف للعقل والحس والفطرة.

أولاً: قال تعالى: ﴿يا صاحِبَيِ السِّجنِ أَأَربابٌ مُتَفَرِّقونَ خَيرٌ أَمِ اللَّهُ الواحِدُ القَهّارُ﴿٣٩﴾ (سورة يوسف)، فهذه الآية تنبيه واستنطاق للفطرة، فتعدد الأرباب ليس في صالح الخلق، ولا خير فيه، فلو تعددت الآلهة لافترقت في الإرادة، ولعلا بعضها على بعض، وفي هذا إشارة إلى أن

---

[1] عباس: **تفسير القرآن المجيد**، ص٧٤٢. ولم أجد هذا الأثر في موسوعة التفسير المأثور ولا في غيره من الكتب التي نقلت المأثور، وأوردته لأنه في مقصد الآية ومعناها.

[2] ينظر: السعدي: **تفسير السعدي**، ص٣٥٠.

[3] ابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**، ص١٤٩٦.

[4] ينظر: ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد١، ج١، ص٣٩. وهذا لا يمنع أن الإنسان إن عرضت له شبهة، أوغفل عن الحق، أن ينظر في أصل خلقه، وأنه وُجد من عدم، فيدرك أن لوجوده خالق.

التفرق يُضعف صفة الربوبية، فلضعفها لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع، وهذا لا يكون من صفات الرب، أتلك الآلهة المتعددة خير أم الله تعالى المتفرد بالملك والخلق والتدبير؟ والكل مخلوق له تحت سلطته وقهره، وكانت دعوة يوسف عليه السلام لتوحيد الله، وإقامة الحجة على صاحبي السجن وترغيبهما بالإيمان، وتقريرهما بإبطال دينهما بوجه خطابي قريب من أفهام العامة[1].

وفي هذا المعنى يقول ابن عاشور: " **ثم فرض لهما مفاضلة بين مجموع الحالين حال الإله المنفرد بالإلهية، والأحوال المتفرقة للآلهة المتعددين ليصل بذلك إلى إقناعهما بأن حال المنفرد بالإلهية أعظم وأغنى، فيرجعان عن اعتقاد تعدد الآلهة، وليس من هذا الاستدلال وجود الحالين في الإلهية والمفاضلة بين أصحاب هذين الحالين لأن المخاطبين لا يؤمنون بوجود الإله الواحد...و(خير) تأتي على ظاهر المتعارف منه هو التفضيل، أو تكون مستعملاً في معنى الخير عند العقل...ولذا جيء بلفظ القهار بالنسبة للوحدانية**[2]".

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- لا أحد من الآلهة المزعومة تتفرد بالأمر والإرادة الكاملة.
- الرب المتفرد بالأمر وله الإرادة الكاملة.
- إذن لا أحد من الآلهة المزعومة رباً.

ويمكن عرضها على بيان فساد العالم إذا تعددت الآلهة

- إذا تعددت الآلهة، لفسد أمر العالم.

---

[1] ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٢، ج٥، ص١٢٦، وابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص٤١٦، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٤٨٨، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٥، ج١٢، ص٢٧٤، والطباطبائي: **الميزان في تفسير القرآن**، ج١١، ص١٧٤-١٧٥.

[2] ابن عاشور: **المرجع السابق**، ص٢٧٥.

- ولكن أمر العالم لا يفسد.

- إذن فالإله واحد. وتؤكد الآيات على ألوهيته تعالى.

ثانياً: قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ (سورة المؤمنون)[١].

جاءت الآيات في الاستدلال على الوحدانية وما يستلزمها من نفي الشريك، فنبه تعالى بالدليل العقلي الإقناعي اليقيني، على امتناع إلهين فقال: (إِذًا) أي: لو كان معه آلهة كما يقولون لتفرقوا وانفرد كل إله بمخلوقاته، ولا يمكن أن يتصرف أحدهما بالعالم كله، وحرص على مغالبة الآخر ومحاربته، فالغالب هو الإله الحق، والقوي لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصلح لإدارة العالم، والذي يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد أيضاً؛ لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك، والربوبية واحدة مطلقة، ولن تقبل الشرك مطلقاً، إذ إن أي تدخل – مهما كان جزئياً– يفسد الغايات ويبطل المقاصد، وهذا يخالف ماهية الربوبية المطلقة تماماً ويعاديها، والولد أخص مصداقاً[٢] عندهم من الإله، **(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـهٍ)** ترق من نفي الأخص إلى نفي الأعم.

---

(١) يرى كثير من أهل السنة والجماعة أن هذه الآية الوحيدة لإقرار وحدانية الرب جلَّ وعزَّ، والآيات القرآنية أشارت في كثير من المواضع إلى إقرار المشركين بربوبية الله تعالى، وبعض أهل السنة والمتكلمين أن آية الأنبياء ﴿ لَو كانَ فيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبحانَ اللَّهِ رَبِّ العَرشِ عَمّا يَصِفونَ ﴿٢٢﴾، وآية الإسراء: ﴿ قُل لَو كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقولونَ إِذًا لَابتَغَوا إِلى ذِي العَرشِ سَبيلًا ﴿٤٢﴾ سُبحانَهُ وَتَعالى عَمّا يَقولونَ عُلُوًّا كَبيرًا ﴿٤٣﴾ هي في إقرار توحيد الربوبية، ولكن من سياق الآيتين الكريمتين يتبين أنهما في إقرار توحيد الألوهية، ينظر: العريفي: **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، ص٢٩٧–٣٢٢.، ولا مانع أن تجمع الآية بين توحيد الألوهية أصالة والربوبية التزاماً، حيث إن توحيد الألوهية يستوجب الربوبية.

(٢) المصداق هو اللفظ الذي يُطلق على الأفراد في الواقع ويصدق حمله عليهم، وفي الآية نفي لوجود المصداق– الشريك وخاصة الولد–، ينظر: حبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص٤٥.

فمع التمانع لا يمكن وجود العالم فضلاً عن أن يكون محكوماً بنظام وعناية بالغتين، فكل ما فيه ينطق بربوبية الله وقهره، وأنه مدبر بالحكمة لمصالح الخلق كلهم، لا تحابي أحداً على أحد، ولن ترى فيه خللاً ولا تناقضاً[1]، (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) مبالغة في تنزيهه جلَّ وعزَّ عن الولد والشريك، والإرشاد لتقديس الله تعالى وتسبيحه[2].

وتكون الحجة البرهانية وبيان اضطراب الكون مع تعدد الآلهة:

- لو تعدد الآلهة لتنازعت واضطرب الكون.
- لكن الكون غير مضطرب.
- فلا تعدد للآلهة.

---

(1) قال ابن كثير: " المتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع، وهو أنه لو فرض صانعان فصاعداً، فأراد واحد تحريك جسم وأراد الآخر سكونه، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين، والواجب لا يكون عاجزًا، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد. وما جاء هذا المُحال إلا من فرض التعدد، فيكون محالاً، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان الغالب هو الواجب، والآخر المغلوب ممكنًا؛ لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهورا"، ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ج٣، ص٢٤٦.

(2) ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٨، ص٣١٦، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص١٢٤، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**،المجلد٢، ج٦، ص٢٧٩، والطوفي: **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية تفسير القرآن العظيم**، ص٤٥٢، وابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: **تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق وجمع: إياد بن عبداللطيف القيسي وآخرين، (الرياض، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٢هـ)، ج٤، ص٤٧٠-٤٨١ وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٤٦، والقاسمي، محمد جمال الدين: **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (دمشق، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)، ج٥، ص٢٤٢، ، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٦٩٨-٦٩٩، والنورسي: **الشعاعات**، ص١٨٢، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، المجلد٨، ج١٨، ص١١٢، والطباطبائي: **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٥، ص٤٠٨.

المبحث الثالث: الحجة البرهانية في قضايا توحيد الألوهية(العبادة)

الإله الحق هو الذي تقصده عند الحوائج، يعلم ما في سريرتك كعلمه بعلانيتك، له القدرة المطلقة في تدبير أمورك وأمور الكون وما فيه، وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، يقول ابن العطار: اعلم أن معرفة الله تعالى واضحة جلية، ولا سبيل لأحد للإحاطة به، بل هو سبحانه محيط بكل شيء، ليس لأحد معه شركة في شيء، ولا له سبحانه ظهير في شيء من ذلك[١].

ولأهمية شأن التوحيد ومكانته في الشرع كانت الدعوة إليه والأمر به من مقاصد القرآن الكريم،

ويكاد يكون القرآن كله في تقرير التوحيد، ونفي ضده، فهو التوحيد الخبري، وهو بيان أسمائه وصفاته وأفعاله[٢]، وهذا المبحث سيعرض الحجة لتوحيد الألوهية عن طريق استلزام الربوبية للألوهية، وبيان أن الخالق المعبود متصف بكل كمال منزه عن كل نقص، وأكثر الآيات في تأكيد توحيد الألوهية وإخلاص العبادة[٣]، ومع هذا فإن الآيات القرآنية تنطق بأنواع التوحيد الثلاثة، أصالة أو تبعا، وهي حجة لمن تجرد من الأهواء والبدع[٤].

---

[١] ينظر: ابن العطار: علاء الدين علي بن إبراهيم، **الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**، تحقيق: سعيد الزويهري، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ص٣٩٣.

[٢] يقسم ابن تيمية التوحيد إلى قسمين الخبري والطلبي، ويجعل الشرع والأمر الإلهي من باب توحيد الألوهية، ينظر: **التدمرية**، (القاهرة، دار الفرقان، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ص٣.

[٣] ينظر: ابن عبد الوهاب: عبد الرحمن بن حسن: **فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد**، وفي حاشيته: التوضيح المفيد على كتاب الفتح المجيد، تحقيق وتعليق: أبي عبد الله محمد البعداني، (صنعاء، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ص٣٦-٣٧، والسعدي: **القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن**، اعتنى به: خالد عثمان السبت، (الرياض، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢١هـ)، ص٢٥.

[٤] من العلماء من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات، ومنهم من جعله قسمين، فأدخل الأسماء والصفات ضمن التوحيد الخبري، أو التوحيد الطلبي كما فعل ابن تيمية في التدمرية، وفي الواسطية ذكر آيات الصفات تحت مسمى: " الإيمان بالله تعالى"، وابن القيم عندما تكلم عن التوحيد ذكر نوعين: قولي وعملي،

٢.٣.١ المطلب الأول: توحيد الألوهية

- الألوهية لغة:

أله إلاهة وأُلوهة وألوهية، **وقيل: الله أصله إله**، حذفت همزته وأدخل عليه الألف واللام فخص به الباري تعالى.

وقيل أصله وِلاه: فأبدل من الواو همزة، وتسميته بذلك لأن كل مخلوق واله نحوه إما بالتسخير فقط كالجمادات، أو بالتسخير والإرادة معاً، ولذا قال بعض الحكماء: الله محبوب الأشياء كلها.

وإله جعلوه اسماً لكل معبود لهم، وإله حقه أن لا يُجمع إذ لا معبود سواه، لكن العرب لاعتقادهم بأن هناك معبودات جمعوه فقالوا آلهة[١].

- الألوهية اصطلاحاً:

الإلهية: أحدية جمع جميع الحقائق الوجودية، كما أن آدم عليه السلام أحدية جمع جميع

=ثم قسم القولي إلى: سلبي وثبوتي، والسلبي: سلب النقائص، ويرى شارح الطحاوية :" وإذا عرف أن توحيد الإلهية هو التوحيد الذي أرسلت به الرسل فلا يلتفت إلى من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وتقسيم التوحيد ثلاثة أقسام ظهر عند المتأخرين، والشيخ ابن عثيمين في شرحه لكتاب التوحيد، قسّم الكتاب إلى ثلاثة أقسام في مقدمة الكتاب على الرغم أن صاحب الكتاب الشيخ محمد عبد الوهاب تكلم في كتابه عن توحيد الألوهية ويبدو أنه يميل لقول شارح الطحاوية أو أنه تكلم فيما تعلق في زمانه والله أعلم، وهي قسمة غير مؤثرة والغرض عند أهل العلم تسهيل العلم على العامة، ينظر: آل حكمي: **معارج القبول**، تحقيق: عمر بن محمود، (الدمام، دار ابن القيم، ط٣، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، وابن تيمية: **الواسطية**: تحقيق: أبي محمد أشرف عبدالمقصود، (الرياض، أضواء السلف، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، وابن القيم: **الكافية الشافية**: تحقيق: عبدالله الهذيل وآخرين، (مكة، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨، ج١، ص٢٣، وابن أبي العز: **شرح العقيدة الطحاوية**، حققه وعلق عليه: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، شعيب الأرناؤوط، (الرياض، دار عالم الكتب، ط٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ص٥٣، وابن عثيمين: **القول المفيد في شرح كتاب التوحيد**.

(١) ينظر: الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص٣٠-٣١، مادة (إله)، والفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، ص٧٨.

الصور البشرية[١].

- توحيد الألوهية:

هو إفراد الله بالعبودية لاستحقاقه لها بذاته[٢].

وهو توحيد العبادة بإضافته إلى العابد، وتوحيد ألوهية باعتبار إضافته إلى الله[٣].

٢.٣.٢ المطلب الثاني: دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية

توحيد الألوهية جزء لا يتجزأ من توحيد الربوبية، فالإقرار به يلزم منه الإقرار بالألوهية، وقد بين القرآن الكريم إفك من ينكر الألوهية مع اقراره بالربوبية، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴿٦١﴾ (سورة العنكبوت)، وهذا إلزام للمشركين بتوحيد العبادة من إقرارهم بتوحيد الربوبية، إذ لا سبيل لهم إلى الإنكار لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجوب، وبيان خفة العقول وضعف الأحلام إذ صرفوا العبادة والإخلاص لغير الله تعالى[٤]، فإيمان العرب وإقرارهم بالربوبية ثم الإشراك بالألوهية هو إيمان تصوري لا معرفة فيه، لذلك لم ينتج تأليهاً لله وتعلقاً به، فالآية في سياق الربوبية، وبيان العظمة والقدرة الإلهية وإقرارهم به، والرد عليهم بوصف الإفك إنكاراً على نقض الألوهية، إذ هي من لوازم الإقرار بالربوبية، فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده في الإلهية مع إقرارهم بتفرده بالربوبية[٥]!

---

[١] ينظر: الجرجاني: **معجم التعريفات**، ص٢٣، والمناوي: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٥٩.

[٢] ينظر: ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد١، ج١، ص٦٩.

[٣] ينظر: ابن عثيمين: **شرح العقيدة الواسطية**، ص١٧.

[٤] ينظر: البروسوي: **روح البيان**، ج٦، ص٤٨٨-٤٨٩، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٧٩٨.

[٥] ينظر: الأنصاري: فريد: **جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح**، (د.م، دار السلام للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت)، ص٤٥.

ولذا فالآيات الدالة على تقرير توحيد الألوهية من باب إقرار توحيد الربوبية كثيرة، وأن ذلك مستلزم أن لا يُعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني[١].

وقد عقد بديع الزمان النورسي في كتابه الشعاعات باباً سماه" براهين التوحيد" بعد أن بيّن قبله " دلائل وجوب الوجود"، وقال عند " براهين التوحيد": "**الباب الثاني بإثبات التوحيد صراحة، وإثبات الوجود ضمناً، فقد أطلق عليه " براهين التوحيد"، وإلا فكلاهما يثبتان الوجود والتوحيد معاً....وهو إشارة للوحدانية الظاهرة الجلية، وكأنها مشاهدة**[٢]".

وهذا تأكيد على ترابط أنواع التوحيد وتلازمها، فبعد أن تبين أن توحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير، نجد أن القرآن أقام الأدلة اليقينية على بيان الأثر المترتب على توحيد الربوبية (توحيد الإثبات[٣])، فإذا تبين أن الله تعالى واحد في ربوبيته فقد وجب إفراده بالعبادة، ولذلك يُسمى بتوحيد (الطلب والقصد) وحيث إن هذا التوحيد هو حاصل عند الناس من أصل الفطرة، جاءت الحجج البرهانية بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية بصورة مجملة وأخرى مفصلة[٤]:

الأدلة البرهانية المجملة: وهي التي تأتي الآيات فيها بلفظ الربوبية لسائر معانٍ الخلق والملك والتدبير، فهو الرب بكل ما يتضمنه اللفظ من معاني وأفعال للرب، والاحتجاج بأن من له هذه الصفة تثبت له العبادة وحده، ومن ذلك:

---

[١] ينظر: ابن أبي العز: علي بن علي بن محمد الدمشقي: **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٣٦.

[٢] النورسي: **الشعاعات**، ص١٨٠.

[٣] يسمى توحيد الربوبية بتوحيد الإثبات لأنه يتضمن إثبات ذاته تعالى، وربوبيته جل وعز فيها إثبات أسمائه وصفاته، ويُسمى التوحيد الخبري الاعتقادي، ينظر: آل حكمي: حافظ بن أحمد، **مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**، اختصره: هشام بن عبد القادر آل عقدة، (الرياض، دار الصفوة، ط٩، ١٤٣٢هـ)، ص٢٣.

[٤] ينظر: آل حكمي: **المرجع السابق**، ص٨٣، والعريفي: **الأدلة العقلية النقلية**، ص٣٦٨.

أولاً: قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ (سورة الشعراء).

مع تيقن فرعون بصحة ما دعاه إليه موسى عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ (سورة النمل).

إلا أنه لم يفرق بين من يعلم ومن لا يعلم حتى جاء بـ (ما) في سؤاله في موضع (من) وكأنه يستفهم عن مجهول من الأشياء، فالسؤال عن الماهية، سؤال عن معدوم، لا يُعلم عن وجوده أصلاً، وهذا إنكار منه لربه لتمرده وطغيانه وجحوده، وليس سؤالاً عن ماهية رب العالمين، ولو كان يعرف عظمة الله لقال: (مَن رب العالمين).

ولذلك أجابه موسى عليه السلام على مراده لا على لفظه (قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)، فأتى بالصفات الدالة على الله التي لا يشاركه فيها غيره تعالى، فله صفات الكمال المطلق والمنزه عن كل عيب ونقص، وجواب موسى عليه السلام فيه تلازم أنواع التوحيد بعضها مع بعض.

وقد ثبت أنه لا جواب لسؤال فرعون إلا ما قاله موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: (إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ) أي: إن كنتم موقنين بالأشياء، محققين لها، لعلمتم أن هذه الأجرام المحسوسة الممكنة التركيب والوجود، المتغيرة الأحوال لها خالق عظيم أوجدها، وهو سبحانه مستغن عنها، وهو المنفرد بالخلق والتدبير والملك[1].

---

[1] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٨، ص٥٧٦، والبغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، (بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ص٩٣٨، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص١٦٩، والرازي: **التفسير الكبير**، ج٢٤، ص١٢٨، والقرطبي: **أحكام القرآن**، المجلد٣، ج٧، ص٦٧، والطوفي: **الاشارات الإلهية**، ص٤٦٨، وابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٧، ص١١٥-١١٦، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٣، ص٦٢٧، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٧٤٠، والزحيلي: **التفسير المنير**، ج٢١، ص٣٠-٣١، والصابوني: **قبس من نور القرآن**، ج، ص١٢٧.

يقول ابن تيمية: " **ولم يقل موقنين بكذا وكذا، بل أطلق، فأي يقين كان لكم بشيء من الأشياء فاول اليقين بهذا الرب، كما قالت الرسل لقومهم: (أَفِي اللَّـهِ شَكٌّ) (سورة إبراهيم ١٠)، وإن قلتم لا يقين بشيء من الأشياء، بل سلبنا كل علم، فهذه دعوى السفسطة العامة، ومدعيها كاذب ظاهر الكذب، ...فلكل إنسان علوم ضرورية لا يخلو منها عاقل**[١]".

ويظهر من كلام المفسرين أن من خلق السماوات والأرض –توحيد الربوبية– يستلزم توحيد الألوهية وهو إفراده تعالى بالعبادة والقصد وهو رب العالمين[٢].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما.
- الخالق للسماوات والأرض وما بينهما هو الرب.
- إذن الله تعالى هو الرب.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذوا آلِهَةً مِنَ الأَرضِ هُم يُنشِرونَ ﴿٢١﴾ لَو كانَ فيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّـهُ لَفَسَدَتا فَسُبحانَ اللَّـهِ رَبِّ العَرشِ عَمّا يَصِفونَ ﴿٢٢﴾ (سورة الأنبياء).

كتب ابن سينا في هذه الآية " الرسالة العرشية" في توحيده تعالى وصفاته، وقال: هذه الرسالة مشتملة على ثلاثة أصول: الأصل الأول: في إثبات واجب الوجود، الأصل الثاني: في وحدانيته، الأصل الثالث: نفي العلل عنه، ثم تكلم عن صفات الله تعالى التي تثبتها هذه الأصول الثلاثة[٣].

---

[١] ابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٥، ص٤٠.

[٢] هذا كثير في الآيات القرآنية، ولكن يعرض البحث الآية تحت العنوان المقصود إثباته من توحيد الربوبية وإن كانت تحمل وجهاً في إثبات غيره، فكلام الله واسع المعاني لا يحيط به البشر.

[٣] ينظر: ابن سينا: علي الحسين بن عبد الله، **رسائل ابن سينا**، تحقيق: عبد الله أحمد العلوي، (بيروت، الوراق للنشر، ط١، ٢٠١٧م)، ص٥٥-٧٩.

فإثبات الربوبية لله تعالى يقتضي إنكار رب غيره، فتفرده بالربوبية يقتضي تفرده بالألوهية وإلا لفسد نظام الكون واختل، وينكر تعالى هنا على المشركين الذين اتخذوا آلهة غير قادرة على جمعهم ونشرهم، وقوله تعالى: (مِنَ الأَرْضِ) "يشير أنه هذه الآلهة لو كانت في الأرض فيقع عليها ما يقع على عامة أهل الأرض من الموت ثم البعث[1]!.

وقوله تعالى: "(**هُم يُنشِرونَ) صفة الآلهة، وهو الذي يدور عليه الإنكار والتجهيل لا نفس الاتخاذ، فإنه واقع لا محالة، فهم مع حقارتهم لا ينشرون، بل لم يثبتوا لهم النشر أبداً**[2]"، والاستفهام للتعجب والمبالغة في التوبيخ، وإظهار لغاية جهلهم وضم لإنكار أن يكون لهم دليل من العقل إلى إنكار أن يكون لهم دليل من النقل، ولهذا رتب الأول (دليل العقل)، على الثاني (دليل النقل)، أي: أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة، أو وجدوا ذلك في الكتب المنزلة!، فكانت الآية بعدها في بيان التوحيد ونفي الأضداد والأنداد، وهذه حجة تامة في التوحيد، فاقتضت الآية أمرين:

أحدهما نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحداً، فلا يمكن تعدد الآلهة، لأن القول بوجود تعدد الآلهة يفضي إلى امتناع وقوع مراد أحدهم، وإذا كان كذلك فوجب أن لا يقع الأمر البتة، وهذا يؤدي إلى الفساد، ولو قدرنا أنهما متفقان في القدرة فإما أن يتفقا أو يختلفا، فإما أن يقع مرادهما أو لا يقع أحدهما، أو يقع واحد منهما دون الآخر والكل محال، وهذا يثبت فساد وجود أكثر من إله.

---

(١) ينظر: الطباطبائي: **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٤، ص٢٦٦.

(٢) البروسوي: **روح البيان**، ج٥، ص٤٦٣.

ويقول بديع الزمان النورسي عند عرضه لهذه الآية: " **إن الانتظام الدقيق واضح بدءاً من جناح البعوضة إلى قناديل السماء، فليس للشرك موضع ولو بمقدار جناح بعوض...وهكذا تأتي الآيات سلسلة من الحقائق الموافقة للعقل**[١]".

والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله وحده لا شريك له، ودلّ عليه قوله: **(إِلَّا اللَّـهُ)**.

وأما الأول – نفي الآلهة– فكانت الآية تدل عليه ولو لم تذكر هذه الكلمة، ولذا قال بعدها (فَسُبحانَ اللَّـهِ رَبِّ العَرشِ عَمّا يَصِفونَ) تنزيه وتقديس عن النقص وله سبحانه الكمال وحده[٢].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.
- لكن لم تفسدا.
- إذن لا إله إلا الله.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما بَينَهُما فَاعبُدهُ وَاصطَبِر لِعِبادَتِهِ هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (سورة مريم)، بينت الآية أنه هو سبحانه رب السماوات والأرض خالقهما ومدبرهما وما فيهما وما بينهما، أوجدهما على أحسن نظام وأكمله، وهو برهان على علمه الشامل وحكمته،

---

(١) النورسي: **الكلمات**، ص٤٤٧، وكذا: **الشعاعات**، ص١٨٤.

(٢) ينظر: الرازي: **التفسير الكبير**، ج٢٢، ص١٤٩–١٥٢، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد١، جزء٦، ص١٣٩، وابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ٣٤، وابن كمال باشا: **تفسير ابن كمال باشا**، ج٧، ص٢٥. والسعدي، **تفسير السعدي**، ص٦٥٠.

ينظر: أندرياس: حمزة تزورتزس: **الحقيقة الإلهية الله...والإسلام...وسراب الإلحاد**، ترجمة: نايف الملا، (الرياض، مركز دلائل، ط١، ١٤٣٨هـ)، ص٢١٦–٢٧٤، ذكر قصة –خيالية– قصيرة ثم أورد خمسة حجج لإثبات وحدانية الإله: (حجة الاستبعاد، التفريق المفاهيمي، مبدأ أوكام، حجة التعريف، حجة الوحي). ليصل من خلالها إلى أن العقل لا ينكر أن من تفرد بالربوبية هو المستحق وحده للتفرد بالألوهية، وأن الأول يستلزم الثاني، والثاني يتضمن الأول.

وبعد أن ذكر الربوبية الشاملة أوجب العبودية، فهو المالك لهما فوجبت عبادته، وحقيقة العبادة الطاعة والخضوع له سبحانه، فاصطبر لعبادته وطاعته[١].

قال الرازي: " **فالمقصود أنه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل إلا بأمره وحكمه**[٢] "، وهذا هو توحيد العبادة.

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- لا أحد من الآلهة المزعومة ينفرد بصفات الكمال.
- الرب تعالى ينفرد بصفات الكمال.
- إذن لا أحد من الآلهة المزعومة رباً.

أما الأدلة البرهانية المفصلة: وهي الآيات التي يأتي فيها بذكر معنى من معاني الربوبية، وتستوجب إفراده تعالى بالعبادة والطاعة.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ[٣] الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّـهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ (سورة البقرة)[٤].

---

(١) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٢، ج٧، ص٤١، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، ج٥، ص٢١٣، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٦٢٠.

(٢) الرازي: **التفسير الكبير**، ج٢١، ص٢٤٠.

(٣) القرآن لا ينفي ويقول (لا إله إلا هو) إلا حين وجود غفلة تعطي الألوهية لغير الله، أو تجعل معه شركاء، ينظر: الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج١، ص٥٦٨.

(٤) ذكر العلماء قولين في سبب نزول الآية: هل نزلت الآية ابتداءً أم بطلب من المشركين؟ فعن عطاء قال: " نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة (وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ)، فقال كفار قريش بمكة: كيف يتسع الناس إله واحد؟ وهنا يتبين أن الكفار سألوا بعد نزول وحدانية الله وتعجبوا من الأمر، وطلبوا

الآيات متسقة في نظم واحد وهو التوحيد وإقامة البرهان عليه، وهي تبرز أدلة القدرة والوحدانية وتأتي بالحجج والبراهين، وقوله: (لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ) تقرير للوحدانية بنفي غيره، وخص الوحدانية والرحمة بالذكر لتذكير الكافرين بالحق وأنهم لا يرجون عند الأزمات إلا هو، وترغيبهم بالتوبة وعدم اليأس من فضله، وأنه تعالى مولى النعم كلها، وذكر الله تعالى صفتي الإلهية والفردانية اللتين تفيدان القهر والغلبة، وأنه الإله الواحد[1] الحق المستحق للعبودية، ثم عقب ذلك بالدليل- دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية- فذكر من الآيات الدالة على صنعه الحكيم وخلقه المُحكم ورحمته بعباده التي يعتبر بها أولو العقول السليمة، فذكر من ذلك خلق السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار وانتظام أمرهما، وجري الفلك الذي يدل على منفعة البحر للناس، وإحياء الأرض بعد موتها بإنزال المطر وإنبات الزرع، وتصريف الرياح وتقليبها في مهابها، وتنوع غاياتها، فتارة مبشرة بين يدي السحاب، وأخرى تجمعه وتسوقه، وحيناً تفرقه وتصرفه، فمن أمعن في حقيقة هذه الظواهر والنعم خضع لله وحده، فهو سبحانه بتفرده بالألوهية يكفيكم أمركم وما تخافونه، ويفتح عليكم باب رحمته الواسعة، ويزيدكم من فضله، فهو الضار النافع، المعطي المانع، فلا إله لكم سواه، ولا سلطان لأحد على إرادته، فهو الرب لا ند له، فاعبدوه وحده وأنيبوا إليه[2].

=الدليل، فأنزل الله عز وجل (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) إلى قوله (لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)، فبهذا تعلمون أنه إله واحد، وأنه إله كل شيء وخالق كل شيء. وعن أبي الضحى قال: لما نزلت: (وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ)، قال المشركون: إن كان هذا هكذا، فليأتنا بآية، -فطلبوا الدليل على وحدانيته- فأنزل تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، ويرجح الطبري أن الله تعالى ذكره نبه عباده على الدلالة على وحدانيته وتفرده بالألوهية، دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية، فالغرض هو إثبات وحدانيته تعالى بدلالة ربوبيته، ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٢، ص٥-٦، وابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**، ج١، ص٢٧٢.

[1] قوله تعالى: " إلهكم إله واحد" هو نص في التوحيد بقصر أصل الألوهية على واحد، ينظر: الطبطبائي: **الميزان في التفسير**، ج١، ص٣٩٥.

[2] ينظر: الرازي: **التفسير الكبير**، ج٤، ص١٩٧، والشربيني: **السراج المنير**، ج١، ص١٢٤، والشوكاني: محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، (القاهرة، الدار العالمية للنشر

قال البقاعي في سبب تكثير الأدلة أن عقول الناس متفاوتة، فمنهم من يدرك بالحواس الظاهرة وهذا يدركه عامة الناس، وقسم يدرك بالحواس الباطنة، وهؤلاء الذين عقولهم خالصة من الوهم والوسواس، ليشترك الكل في المعرفة، فيحصل لكل منهم ما هيئ له من الفهم ليكون مطيعاً لله عابداً له، اللهم إلا من كان ممن طبع على قلبه والعياذ بالله[1].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- كل من لا يتفرد بالألوهية آلهة باطلة.
- المتفرد بالألوهية هو الرب الخالق.
- إذن ليست الآلهة الباطلة الرب الخالق.

ويمكن عرضها بطريقة أخرى:

- قد يكون الإله حقاً أو باطلاً
- ولا أحد من الآلهة الباطلة خالقاً.
- فقد لا يكون الإله إما حقاً أو خالقاً.
- والله تعالى الإله الحق الخالق.

=والتوزيع، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ج١، ص٢٦٦-٢٦٧، والطباطبائي: **الميزان في تفسير القرآن**، ج١، ص٣٩٥-٣٩٦، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج٣، ص٣٥٤-٣٥٥، ورضا: **تفسير المنار**، ج٢، ص٥٥-٥٦، والزحيلي: **التفسير المنير**، ج٢، ص٩٥، والصابوني: **قبس من نور القرآن**، ج١، ص٤٥.

[1] ينظر: البقاعي: **نظم الدرر**، ج١، ص٢٩٨-٢٩٩..

٢.٣.٣ المطلب الثالث: دلالة الانفراد بالكمال على توحيد الألوهية

من طبيعة النفس البشرية النقص والفقر، ولهذا فهي دائما تتطلع للكمال، والمتصف بالكمال المطلق هو المنفرد المستحق للعبادة، ودلالته على استحقاق صاحبه لتوحيد العبادة، فمن لم يبلغ الكمال المطلق لزمه الاتصاف بضده، وهذا ينافي التعبد فطرة وعقلاً.

يقول ابن تيمية: إن الله تعالى أكثر من النصوص في ذكر صفاته وبيان كماله، ليس لمجرد تقرير الكمال، بل لبيان استحقاقه سبحانه للعبادة لاتصافه بصفات الكمال، ونفي النقص والعيب عنه جل وعلا، وفي هذا رد على المشركين وعلى أهل التعطيل(١).

ويتبين من كلام ابن تيمية أن إثبات صفات الكمال لله عز وجل، ونفي الصفات السلبية هو إثبات لتوحيد الألوهية، لأنه انفراد بالكمال المطلق الذي هو من شأن الربوبية، والربوبية مستلزمة للألوهية.

ومن أعظم الأمثلة على هذا آية الكرسي حيث قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ (سورة البقرة).

وقد فُضلت هذه الآية لما اشتملت عليه من معاني التوحيد والعظمة وسعة صفاته جل وعز، وما اشتملت عليه من تعظيم الله وتمجيده، وجمعت من أحكام الألوهية وصفات الإله الثبوتية

---

(١) ينظر: ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد٣، ج٦، ص٥١-٥٢. أهل التعطيل: هم الذين نفوا دلالة نصوص الكتاب والسنة عن المراد، ينظر: الجهني: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، ج٢، ص١٠١٣.

السلبية ما لم تجمعه آية أخرى(١)، واشتملت هذه الآية على أمهات المسائل الإلهية، فهي دالة عليه تعالى أنه موجود واحد في ألوهيته، له كمال الحياة والقيومية، واجب الوجود لذاته موجد لغيره، قائم بذاته مقيم لغيره، منزه عن التحيز والحلول وعن كل نقص، مبرأ عن التغير والفتور، مالك الملك والملكوت، موجد الأصول والفروع، واسع الملك والقدرة، ذو البطش الشديد، لا يشغله شأن، متعال عما يدركه، عظيم لا يحيط به شيء(٢).

ومما جاء في فضلها: "عَنْ أُبي بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: " يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، " أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ سورة البقرة آية ٢٥٥ "، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ(٣) ".

فقوله تعالى:

١. (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)، لفظ الجلالة يتضمن جميع معاني الألوهية، وأن عبادة غيره باطلة، (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) ففيه بيان التوحيد بمعنى نفي الضد والند، فهو تقرير انفراده تعالى بالألوهية،

---

(١) ينظر: الزمخشري: **الكشاف**، المجلد ١، ج١، ص٢٣١-٢٣٢، والقنوجي: **فتح البيان**، ج١، ص٣٦٨، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١٣٤.

(٢) ينظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص١٤٩.

(٣) أخرجه مسلم، في **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ص٢٨٤-٢٨٥، رقم (١٨٨٤). "وفي هذا الحديث دلالة على أن بعض الآيات أفضل وأحب إلى الله من بعض، وهي وإن كانت كلها في الذروة العليا من حسن البيان والإحكام، مكرمة عن كل وصف نقص وضعف واختلاف، إلا أنها ليست على درجة واحدة في الفضل، فبعضها أعظم من بعض، ولبعضها خواص اختصها الله بها"، ومنها آية الكرسي، وفاتحة الكتاب، وغيرهما، ينظر: المطيري: عبد العزيز بن داخل: **بيان فضائل القرآن**، (الرياض، د. ن، ط١، ١٤٣٨هـ)، ص١٣٠-١٣١.

فلا يستحق العبادة إلا إياه جل في علاه، ونفيها عما سواه، وذلك يتضمن انفراده بالربوبية[1]، فهو سبحانه قائم بتدبير الخلق، فلا مدبر سواه لاختصاصه بالربوبية والألوهية.

(**الْحَيُّ الْقَيُّومُ**): وهو الاسم الأعظم -على قول- وذُكر ثلاث مرات في القرآن[2]، وفيه: إثبات الحياة له جلَّ وعزَّ، وبيان انتفائها عن سواه من الآلهة، فله سبحانه الحياة الكاملة التي لا يشوبها موت ولا يعتريها فناء وزوال، فهو الغني عن المخلوقات، قائم بنفسه واجب الوجود، والجميع مفتقر إليه في وجوده، وهو غني عنه.

٢. (**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**): هو تأكيد للحي القيوم، فهو لا يغفل عن تدبير الخلق، وجاء النظم الكريم بحسب الترتيب الطبيعي في الوجود، فنفى ما يعرض أولاً وهو السِنَة، ثم يتبعها النوم، وهو ترق في نفي النقص عنه جلَّ وعزَّ، فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيومية، والحي يستلزم جميع الصفات، ولذا فهي مؤكدة لمعنى الحياة والقيومية، وهذا من أعظم البراهين العقلية على ثبوت صفات الكمال، والمستلزم نفي نقيضها، فهو سبحانه لا يزول ولا يعدم، وكل نفي في صفات الله تعالى ورد في الكتاب والسنة هو إثبات كمال ضده.

---

(1) توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات من تمام توحيد الربوبية، لأنه يتضمن كمال صفات الخلق سبحانه، انظر: ابن عثيمين: محمد بن صالح، **التعليق على القواعد الحسان**، (الرياض، دار ابن الجوزي، ط١، ١٣٣١م)، ص٣٣.

(2) قال ابن تيمية عن الاسم الأعظم: " فقال في أعظم الآيات: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)، ذكره في ثلاثة مواضع من القرآن، في سورة البقرة، وسورة آل عمران الآية رقم(٢)، وسورة طه، الآية(١١١)، كل موضع فيه أحد أصول الدين الثلاثة، وهي التوحيد- سورة البقرة-، والرسل-سورة آل عمران-، والآخرة- سورة طه-، وهي التي بعث الله فيها المرسلين، وأخبر عن المشركين أنهم يكفرون بها، ينظر: ابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٧، ص١٢٩.

ويرى الرازي أن "الاسم الأعظم" تدل على عظمته البراهين العقلية، ومنه تتشعب جميع المسائل المعتبرة في التوحيد، ومنهما يكون الإيمان بالقضاء والقدر، ينظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٧، ص٣-٥.

٣. (لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) وهي تأكيد ثان لقيوميته واحتجاج على تفرده بالألوهية، ففيها اختصاصه سبحانه بالملك لتقديم الخبر، فلما أثبت أنه تعالى الملك والمالك لكل ما سواه، وأن حكمه جار عليهم، فكل من في السماوات والأرض عبيد لله مماليك له، لا يخرجون عن ملكه وسلطانه.

٤. (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) وهو استفهام إنكاري فيه تأكيد كمال الملك والسلطان، فإذا انضمت قوة السلطان إلى عموم الملك صار ذلك أكمل وأعلى، وتتضمن انفراده بالملك والربوبية، فالكل تحت أمره.

٥. (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) إخبار عنه سبحانه أنه عالم بالكل، فعلمه واسع محيط بأمر الخلائق من الأمور الماضية والمستقبلية، ولا تخفى عليه خافية، وكل خاضع لمشيئته تحت قهره.

٦. (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) إشارة إلى كون غيره غير عالم بجميع المعلومات، وهذا يقتضي اختصاصه بالتعليم دون سواه، والوحدانية تقتضي الكمال في الصفات، والخلق لا يحيطون بشيء من علم الله إلا بما أطلعهم عليه، وفيه تفضل منه على خلقه بأن يعلمهم شيئا من معلومه، وفيه تحد واضح لهم.

٧. (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) لما بيّن أن كمال حكمه وملكه في السماوات والأرض بيّن أن ملكه فيما وراء السماوات والأرض أعظم وأجلّ، ويعجز عن الارتقاء بمعرفة أدنى درجاته المتخيلون، فهو إخبار عن عظمته وجلاله سبحانه، وأن كرسيه وسع السماوات والأرض، وفيها تقرير لما تضمنته الجمل السابقة من بيان عظمة الله وكبريائه وعلمه وقدرته.

٨. (وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا) أي: ولا يشق عليه ويثقله حفظ السماوات والأرض، فحذف الفاعل وأضاف المصدر إلى المفعول، فبين نفاذ حكمه وملكه في الكل على نعت واحد، وهذا يتناسب مع القدرة والعظمة.

٩. (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) وهو سبحانه العلي المتعالي بعظمة صفاته وذاته وقهره عن الأنداد والأشباه، فخضعت له المخلوقات، وهو سبحانه الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد الذي تتعلق به القلوب، وتتطلع إليه الأرواح، ويعرف العالمون أن كل عظمة تتضاءل وتضمحل عن عظمة العلي العظيم، وإثبات صفة الكمال حصلت بجمع صفتي العلو والعظمة، وهو سبحانه له صفات الكمال المطلق[(١)].

نقل ابن أبي العز ما أشار إليه الطحاوي بما يتصف به تعالى دون خلقه، فهو حي لا يموت، وخلقه يموتون، وأنه مختص بعدم النوم والسنة دون خلقه، وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المراد به نفي الصفات، وله سبحانه الكمال المطلق...وأن هذين الاسمين – الحي القيوم– هما من أعظم أسماء الله تعالى، فهما يتضمنان إثبات صفات الكمال، واقترانه بالحي يستلزم

[(١)] ينظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص١٤٨-١٤٩، والرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٧، ص٤-٧، والسلمي: عز الدين بن عبدالسلام: **تفسير القرآن العظيم**، حققه وعلق عليه: سليم محمد عامر، (دبي، وحدة البحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، ج١، ص١٨٢، وابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج١، ص٥٨٢-٥٩١، وابن أبي العز: **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٦٨، والبقاعي: **نظم الدرر**، ج١، ص٤٩٤-٤٩٩، والجلالين: جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي: **تفسير الجلالين**، تعليق: صلاح عويضة، (مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط٢، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ص٢٥٠، والقنوجي: **فتح البيان**، ج١، ص٣٦٨-٣٧٣، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١٣٤-١٣٥، والمراغي: أحمد مصطفى: **تفسير المراغي**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٥م)، مجلد١، ج٣، ص١٢-١٣، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٢، ج٣، ص١٧-٢٥، والطباطبائي: **الميزان في التفسير**، ج٢، ص٣٣١، ووحوى: **الأساس في التفسير**، ج١، ص٢٩٧-٢٩٩، وابن عثيمين: محمد بن صالح، **الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين**، (لبنان، كتب ناشرون، ط١، ٢٠١٠م)، ج٢، ص١٦٧-١٨٥، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**: ج٢، ص٣٧٠-٣٧١، والزحيلي: **التفسير المنير**، المجلد٢، ج٣، ص١٥-١٨، والشربجي: **تفسير البشائر**، ج١، ص١٨٢.

صفات الكمال ويدل على بقائها ودوامها، وانتفاء النقص والعدم عنها أزلاً وأبداً، فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليها ترجع معانيها(١).

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- الله سبحانه متفرد بالكمال المطلق.
- لا أحد من الآلهة الباطلة متفرد بالكمال المطلق.
- إذن الله سبحانه هو الإله الحق.

٢.٣.٤ المطلب الرابع: إبطال الشرك في الألوهية

حيث ثبت أن الله سبحانه هو الرب المتفرد بسائر معاني الربوبية، وهو سبحانه المستحق للعبادة ولا شريك له جلَّ في علاه، فإن ذلك اقتضى إبطال ما سواه من الآلهة المزعومة، لتجردهم عن صفات الربوبية واتصافهم بالعجز والنقص، وهو سبحانه المتصف بالكمال المطلق، المنزه عن كل عيب ونقص، وهذا ثبت بالحجة البرهانية، لذا فكل من اتخذ آلهة مع الله أو سواه ففعله باطل، فالمستحق للعبادة له الكمال المطلق، وما سواه يتصف بالفقر والنقص والحاجة، فكيف يكون إلهاً ينفع غيره! وسيذكر البحث أسباب بطلان الشركاء مع الله.

أولاً: تجرد الشركاء من الربوبية

بينت الآيات القرآنية استحقاق الله تعالى للربوبية: الخلق والملك والتدبير، كما بينت تجرد الشركاء عن معاني الربوبية واستحقاقها، ومن ذلك:

أن الشركاء يُخلقون ولا يَخلقون:

- **أولاً:** قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخلُقُ كَمَن لا يَخلُقُ أَفَلا تَذَكَّرونَ ﴿١٧﴾﴾ (سورة النحل)

---

(١) ينظر: ابن أبي العز: **شرح الطحاوية**، ص٩٠-٩١.

وسورة النحل هي سورة النعم، ومقصودها بيان تمام قدرة الله تعالى وعلمه، واشتملت السورة على تنوع الأدلة الدالة على انفراده تعالى بالألوهية، والأدلة على فساد الشرك وشناعته، وأنه يخالف الفطرة والمعقول، فالآيات من ٣-٢١ تعرض لوحة كونية تدل على وحدانية الخالق ووحدانية المنعم المدبر، ثم قال تعالى: (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) وكأنه يخاطب غير المشكك، فلم تأت الآية بأداة تأكيد، لأن ما ذُكر من آيات الخلق كافية لأن تعقل قلوبهم أنه تعالى الإله الحق المستحق للعبادة[١]. قال الإمام البقاعي: فلما ذكر الدلائل على الوحدانية على الوجه الأكمل والترتيب الأحسن، لم يبق شبهة في أن الخالق هو الله، لما ثبت من وحدانيته وكمال علمه وحكمته وكمال قدرته لجعله تلك الدلائل نعماً عامة، وبيان العجز في كل ما يدعون من آلهة دونه، فثبت أنه تعالى قادر على الإتيان بما يريد، فقال:(أَفَمَن يَخلُقُ) ؛ أي: يحدث ذلك متى أراد وكيف أراد؛ فلا يمكن عجزه بوجه؛....وهكذا أنكر التسوية بين الخالق والعاجز عن ذلك، وفيه حثهم على التذكر المفيد لترك الشرك؛ فقال: أفلا تذكرون ؛ بما تشاهدونه من ذلك ولو من بعض الوجوه[٢].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- الآلهة المزعومة من دون الله غير قادرة على الخلق.
- كل غير قادر على الخلق آلهة باطلة.
- إذن الآلهة المزعومة آلهة باطلة.

- **ثانياً:** قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ

---

[١] ينظر: البقاعي: **نظم الدرر**، ج٤، ص٢٤٣، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٦، ج١٤، ص٩٤، وشحاتة: عبد الله محمود: **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٦٧م)، ص١٨٠.

[٢] ينظر: البقاعي: **المرجع السابق**، ص٢٥٥.

هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ (سورة الزمر). هذا مثل مما ضربه الله تعالى في هذه السورة، حيث بيّن تعالى فيها أنه جل وعز ضرب في القرآن للناس من كل مثل ينتفعون به لعلهم يتعظون(١)، ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ثم جاء بعد ذلك بمثلٍ في أهم الأمور وأعظمها خطراً وهو التوحيد، فهذه الآية في تأكيد التوحيد، وأنه أصلح للعبد الموحد، فالمالك للعبد الواحد خالص له، أصلح من تعدد الملاك المتشاكسين المتنازعين السيئة أخلاقهم، وكل واحد منهم يتنازعه ويستخدمه بقدر نصيبه منه، أو يتعدى على نصيب غيره، ويضايقونه بالعمل فهو دائماً في نصب، ومثل المؤمن الموحد لربه جل وعز، كعبد عند رجل واحد يكلفه شغله، فيعمل له على تؤدة واطمئنان، فالمولى يغفر زلته، ويشكره على إجادة عمله، فالحمد لله على إقامة الحجة(٢).

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- كلما تعددت الآلهة اختلفت على العبد.
- وكلما اختلفت الآلهة على العبد شقى.
- إذن فكلما تعددت الآلهة شقي العبد.

ثانياً: إبطال عبادة الشركاء بدلالة اتصافهم بالنقص

---

(١) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٣، ج٨، ص١٦٥.

(٢) ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٩، ص٦٧٨، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٧، ص٣٩٠-٣٩١، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٣، ج٨، ص١٦٥-١٦٦، والطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٥٤١، ولجنة القرآن والسنة، **المنتخب في تفسير القرآن**، (الدوحة، دار الثقافة، ط٧، د.ت)، ص٦٨٧.

ثبت لله تعالى الكمال المطلق، وثبت لغير الله النقص والحاجة، ومن لا يتصف بالكمال المطلق لا يمكن أن يكون إلهاً، وقد جاءت الآيات القرآنية تبين بطلان عبادة غير الله.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَت وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ قُل سَمّوهُم أَم تُنَبِّئونَهُ بِما لا يَعلَمُ فِي الأَرضِ أَم بِظاهِرٍ مِنَ القَولِ بَل زُيِّنَ لِلَّذينَ كَفَروا مَكرُهُم وَصُدّوا عَنِ السَّبيلِ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِن هادٍ ﴿٣٣﴾ (سورة الرعد).

أفمن هو حفيظ على كل نفس قائم بها عالم بها لا تخفى عليه خافية، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، دقّه وجّله، وحُذف الخبر، وتقديره كمن ليس كذلك، واكتفى بدلالة السياق بقوله تعالى: (وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ) فعبدوها.

وقوله: (قُل سَمّوهُم) تبكيت لهم إثر تبكيت، أي: سموهم من هم؟ ما أسماؤهم؟ صفوهم وانظروا هل يستحقون العبادة فجعلتموهم شركاء لله، فإنهم لا حقيقة لهم! أو صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة؟ هل هي آلهة خالقة أو رازقة؟ هل هي محيية أم مميتة؟ هل تجلب نفعاً أم تدفع ضراً؟ أم هل هي قادرة على الدفاع عن نفسها والكيد لأعدائها؟ فصفوها بما فيها من صفات الضلال والنقص، وفي هذا تبكيت وتنبيه أن هؤلاء الشركاء لا يستحقون العبادة، ولا يستأهلون الشركة، سواء سميتموهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به، فإنها في الحقارة بحيث لا تستحق أن يلتفت العاقل إليها.

(أَم بِظاهِرٍ مِنَ القَولِ)، أم تسمونهم شركاء بظاهر من المبنى من غير ملاحظة إلى حقيقة المعنى، فأنتم كمن يُعلِم الله أن له شريكاً وهو لا يعلمه، وهذا من أبطل الباطل، وغاية الأمر أن هذا ظاهر أقوالكم، وأما الحق فلا إله إلا الله سبحانه لا شريك له، ولا يستحق العبادة سواه، وهذا

أسلوب عجيب في غاية الإعجاز[1].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- لا أحد من ممكن الوجود قائم بنفسه.
- وكل مفتقر لغيره ممكن الوجود.
- إذن لا أحد قائم بنفسه مفتقر إلى غيره.

وتشير الآية إلى أن الله سبحانه الرب الغني عن الخلق، والكل فقير إليه يلجأ إليه طوعاً أو كرهاً تبارك رب العالمين.

ويمكن عرضها أيضاً:

- إذا كانت الآلهة المزعومة تفتقر إلى غيرها فهي آلهة باطلة.
- لكنها تفتقر إلى غيرها.
- إذن فهي آلهة باطلة.

وتشير الآية إلى أنه لا إله ولا معبود إلا الله عز وجل.

- **ثالثاً:** إبطال احتجاج المشركين بالشفاعة والزلفى

زعم المشركون –ومن على شاكلتهم– أن آلهتهم تقربهم إلى الله وتشفع لهم، وأنها قد تشارك الله تعالى في بعض صفات الربوبية، كالنفع والضر، وهذا أبطله القرآن بأوضح الحجج والأدلة، وغالبها في نقض مشاركة آلهتهم في بعض صفات الربوبية.

---

[1] ينظر: البيضاوي: **أنوار التزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٥٦٤-٥٦٥، والرازي: **التفسير الكبير**، ج١٩، ص٥٨، وابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٤، ص٩٣، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٢، ص٢٨٩-٢٩٠، والقاري: **تفسير الملا القاري**، ج٢، ص٥٤٩، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج١٠، ص٥٦٨٢، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٥١٥.

أولاً: قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ (سورة الزمر).

هذه الآيات الكريمة جمعت بين كثير من الحجج البرهانية في مسائل الاعتقاد وخاصة التوحيد وردت على من ادعى أن إشراك آلهة مع الله من باب التقرب إلى الله والزلفى إليه، وذكرت من صفات الربوبية التي هي لله وحده.

ففي الآيات إبطال ثلاث دعاوى كبرى لدى المشركين:

الدعوى الأولى: نفي أن يكون القرآن من عند الله[1].

الدعوى الثانية: قولهم: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى).

وجاءت الآيات من بداية السورة ممهدة للرد وحجاج المشركين بالأدلة العقلية الإقناعية، والاهتمام بالإخلاص لله تعالى لوصيتة عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم المعصوم من الرياء بالإخلاص.

والإخلاص لغة: من الخالص وهو: الصافي، والخاص مازال شوبه بعد ما كان فيه، بينما يقال

---

[1] يعرض البحث الحجة البرهانية على أن القرآن من عند الله في مبحث إثبات النبوة.

الصافي لما لا شوب فيه[1].

واصطلاحاً: تخليص القلب عن شائبة الشَّوب المكدّر لصفائه، وهو أن لا تطلب لعملك شاهداً غير الله[2].

فقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، هو الكتاب الذي تضمن الحق في أخباره وأحكامه، وهو الحق الثابت بما فيه من إثبات التوحيد والنبوة والمعاد، وفيه من الشمول والرحمة ما فيه منفعة العالم وهدايتهم، فلما امتن الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بإنزال الكتاب بالحق، وكان من الحق توحيد الله تعالى في عبادته قال: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ)، أي: أن تقصد الله تعالى وحده في كل عمل يتقرب به إلى الله، والفاء فيه للربط (فاعبد) كما تقول العرب: (أحسن إليك زيد فاشكره)، وفيه بيان أنه تعالى له الكمال كله، وهو المتفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، وذلك الذي يصلح القلوب ويطهرها.

قال الآلوسي: " **لما كان قوله تعالى: (لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) بمنزلة التعليل لقوله سبحانه: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) كان الأصل أن يقال: فلله الدين الخالص، ثم ترك إلى: ألا لله الدين الخالص مبالغة لما عرفت من أنه أقوى الوصلين، ثم صدر بحرف التنبيه زيادة على زيادة وتحقيقاً بأن غير الخالص كالعدم**[3]".

ولما كان المشركون يرون أن الملوك والرؤساء لهم شفعاء يرفعون إليهم حوائج الناس

---

[1] ينظر: الأصفهاني: **المفردات**، ص١٦١، والمناوي: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص١٥٨.
[2] ينظر: الجرجاني: **معجم التعريفات**، ص١٤-١٥.
[3] الآلوسي: **روح المعاني**، ج١٢، ص٣٠١.

وطلباتهم، ويعاونونهم في أمورهم، ويدافعون عنهم، قاسوا ذلك على الله الملك المتعال، وزعموا أنه جلَّ وعزَّ يحتاج إلى الشفعاء، تعالى سبحانه علواً كبيراً، وهذا من أفسد الأقيسة لما فيه من تسوية الخالق بالمخلوق، مع ثبوت الفرق فطرة وعقلاً ونقلاً، فهؤلاء الملوك لضعفهم ونقصهم يحتاجون من يقوم بمعاونتهم، فضلاً عن حاجتهم لمن يدافع، عنهم ويكون من حزبهم.

والله تعالى لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته، فهو أعلم بحالهم وأرحم بهم، وهو الصمد الذي تلجأ إليه المخلوقات، والكل فقراء إليه.

فقال تعالى حكاية عنهم: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)، فبين تعالى كيفية إشراكهم وعدم خلوص دينهم واعتقادهم النفع في معبوداتهم، وأنها تنفعهم في الدنيا، وتشفع لهم في الآخرة، فهم يرون أن الله تعالى أعظم من أن يعبده البشر ولا يمكنهم هذا، بل البشر ينشغلون بعبادة الأكابر من الملائكة والكواكب والأرواح السماوية، ثم هي تنشغل بعبادة الله تعالى، وهذا لأنهم لم يقدروا الله حق قدره[١].

ثم رد تعالى عليهم، فجاءت الآيات التالية لدحض هذه الشبهة وإلزام الخصم بالحق.

في الآيات السابقة (الآمرة بالإخلاص لله) تبكيت وتقريع لهم على ما زعموه، فعندما نقرأ الآيات الأوَل يتهيأ في النفس تعظيم الله تعالى، ووجوب اخلاص العبادة والدين له سبحانه، ثم تأتي شبهة المشركين المناقضة لما أوجبه الله وتقبلته النفوس فنفرت من مقالتهم وشنعتها أيما تشنيع، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) بين المتخاصمين، قد تُحمل على من أشرك

---

[١] ينظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٣٤٠-٣٤١، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٧، ص٣٦٩-٣٧٢، والرازي: **التفسير الكبير**، ج٢٦، ص٢٤١، والطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٥٣٨، وأبو حيان: محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: أحمد النجولي الجمل وآخرين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ج٢، ص٣٩٨، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٩٠٢-٩٠٣، والشنقيطي: **أضواء البيان**، ج٧، ص٢٨.

في الدين، أو من وحّد وأخلص، ويمكن حملها على المخاصمة التي تكون يوم القيامة بين المشركين وبين من أشركوهم مع الله سواء أكانوا ملائكة، أم أنبياء أم صالحين أم فجاراً، وقد جاءت آياتٌ كثيرةٌ في القرآن تصف هذه المخاصمة ، **قال تعالى في شأن مَن عبد عيسى عليه السلام:** ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (سورة المائدة) ﴿١١٦﴾

"**قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه، وتعظيم أمر هذه المقالة، كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا؟ فيما يعلم أنه لم يفعله، إعلاماً واستعظاماً لا استخباراً واستفهاماً**[١]"، وفي رد عيسى عليه السلام (مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) نفيٌ مؤكدٌ بالدليل العقلي، لأن من هذا شأنه فكيف يكون إلهاً، وقوله: (إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) وهذا اعتذار منه عليه السلام، وبراءة من هذا القول أن يكون منه، ووكل الأمر إلى الله في العلم تأدباً مع رب الجلال والعظمة، (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) بيان إحاطة علم الله تعالى وضعف المخلوق وجهله، وقوله (إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) تعظيم لله تعالى[٢].

وفي شأن الملائكة ومَن عبدهم وزعموا أنهم بنات الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ (سورة سبأ).

وهنا بيان حال مَن عبد مع الله الملائكة لزعمهم أنهم يشفعون له، فتتبرأ الملائكة من هذا

---

[١] البغوي: **معالم التنزيل**، ص٤٠٩.

[٢] ينظر: ابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص٢٥٩.

الفعل الشنيع، فتسبّح الله تعالى وتنزهه عن أي شريك (سُبْحَانَكَ)، أي: تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله، وتلجأ إلى الله تعالى بإظهار الفقر والحاجة إليه سبحانه، (أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم)، أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء، (بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) أي الشياطين لأنهم زينوا لهم الشرك بالله[1].

وذكر تعالى موقف الشيطان الذي كان يزين للناس الضلال والشرك في مخاصمة من اتبعه، قال تعالى: ﴿وَقالَ الشَّيطانُ لَمّا قُضِيَ الأَمرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُم وَعدَ الحَقِّ وَوَعَدتُكُم فَأَخلَفتُكُم وَما كانَ لِيَ عَلَيكُم مِن سُلطانٍ إِلّا أَن دَعَوتُكُم فَاستَجَبتُم لي فَلا تَلوموني وَلوموا أَنفُسَكُم ما أَنا بِمُصرِخِكُم وَما أَنتُم بِمُصرِخِيَّ إِنّي كَفَرتُ بِما أَشرَكتُمونِ مِن قَبلُ إِنَّ الظّالِمينَ لَهُم عَذابٌ أَليمٌ ﴿٢٢﴾ (سورة ابراهيم).

وقال تعالى حكاية عن حال الصالحين الذين زعم المشركون أنهم يقربونهم من الله لمكانتهم عند ربهم، قال تعالى: ﴿قُلِ ادعُوا الَّذينَ زَعَمتُم مِن دونِهِ فَلا يَملِكونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم وَلا تَحويلًا ﴿٥٦﴾ أُولئِكَ الَّذينَ يَدعونَ يَبتَغونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ وَيَرجونَ رَحمَتَهُ وَيَخافونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحذورًا ﴿٥٧﴾ (سورة الإسراء)، هذا رد على طائفة من المشركين، كانوا يعبدون تماثيل على أنها صور للصالحين والملائكة، بيّن تعالى أن من تدعون من دون الله تعالى، هم فقراء إلى الله، لا يستطيعون كشف الضر، ولا يقدرون على تحويله من حال إلى حال، فأكّد عدم اقتدارهم، ببيان غاية افتقارهم إلى الله، في جلب المصالح ودفع المضار، ثم قال تعالى موضحاً حالهم، وأنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة والتقرب منه تعالى بالطاعة، (أَيُّهُم أَقرَبُ) بدل من واو (يَبتَغونَ)، أي: من هو أقرب منهم إلى الله يبتغي إلى الله الوسيلة، فكيف بغير الأقرب، (وَيَرجونَ

---

[1] ينظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٨٤.

رَحمَتَهُ وَيَخافونَ عَذابَهُ) كسائر العباد، لا تتم عبادتهم إلا بالخوف والرجاء، فكيف تزعمون أنهم آلهة، (إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحذورًا) تعليل لقوله (يخَافُون)، أي أن عذابه سبحانه حقيق بأن يحذره العباد، من الملائكة والأنبياء وغيرهم.[1]، فالتوحيد الخالص هو الذي يتضمن البراءة من الشرك، فلا يشرك مع الله ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، فهؤلاء المشركون يدعون من هم في حاجة إلى الله وفقر، فكيف ينفعون غيرهم ويغنونهم.

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- كل معبود من دون الله يرجو الزلفى من الله.
- كل من يرجو الزلفى من الله عبادته باطلة.
- إذن كل معبود من دون الله عبادته باطلة.

(إِنَّ اللَّـهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) فيه تهديد وتشنيع لحال هؤلاء المشركين، فهو سبحانه عالم بهم وبأحوالهم، وأنه تعالى الحاكم بينهم وبين من يدعون أنهم يقربونهم إليه سبحانه، وهم مصرون على باطلهم، لا يريدون عنه انفكاكاً، فالرجل المبطل المصر على باطله يذكر مذهباً باطلاً، فيكون الطريق في علاجه أن يُحتال بحيلة توجب زوال ذلك الإصرار والتعلق بالمذهب الباطل، وهنا بيّن تعالى بطلان عبادة الآلهة المزعومة، وأنها تبتغي إلى الله الوسيلة والفضلية، وأنها لا تمتلك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضراً، فإذا زال ذلك الإصرار نُسمعه الدليل على بطلانه، فكذلك إذا سمع ههنا التهديد والتخويف وأنه تعالى هو الحاكم بين المشركين ومَن عبدوهم من دون

---

[1] ينظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٦٣٨، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٢، ص٣٨٧، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٤، ص١٤٣-١٤٤. وعقد الإمام عبد الوهاب في كتابه التوحيد باباً سماه: باب تفسير التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، وشرح هذه الآية، ينظر: عبد الوهاب: **فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد**، ص١٧٢-١٧٣.

الله، زال الإصرار، فكانت التخلية قبل التحلية، فكانت هذه الفائدة في تقديم التهديد على بيان حالهم وتقولهم على الله بغير علم(١).

وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) بيان لحالهم الذي آل بهم إلى عبادة غير الله، فالله تعالى من عدله أن لا يهدي إلى الحق والدين والتوحيد من يتقول عليه سبحانه بغير علم، ويتبع الهوى، والهداية المنفية هي هداية التوفيق لا هداية الإرشاد(٢)، فهؤلاء الذين اتخذوا من دون الله آلهة باطلة بلا دليل عقلي ولا نقلي، وأعرضوا عن الحق الذي جاءهم، وزعموا أن آلهتهم لها شفاعة وزلفى عند الله، هي جمادات خسيسة نحتوها بأيديهم ويتصرفون بها كيف شاؤوا، مع علمهم الضروري بعجزها وفقرها، ثم يصرون على الكذب، فمثلهم لا يهتدي إلى الحق ولا يعمل به، ولا يتداركهم الله بلطفه، والكفر هنا راجع إلى الاعتقاد حيث جعلوا مع الله آلهة أخرى، وأعطوها من صفات الربوبية ما لا يختص به إلا الله الرب العظيم.

ويحتمل أن يكون المراد كفران النعمة، لأن العبادة نهاية التعظيم، ونهاية التعظيم هي لله وحده المتفضل بالنعم على المخلوقات، وهذه الآلهة الباطلة لا مدخل لها في ذلك الإنعام، فاشتغالهم بعبادة الأوثان كفران للنعمة، والكفر الثاني يدخل بالكفر الأول وهو كفر الاعتقاد(٣).

ثم يؤكد تعالى في الرد على الدعوى الثالثة بطلان الشرك من كل وجه، بنفي الولد.

الدعوى الثالثة: ادعاؤهم أن الله اتّخذ ولداً سبحانه عما يقولون

---

(١) ينظر: الرازي: **التفسير الكبير**، ج٢٦، س٢٤١-٢٤٢.

(٢) هداية الإرشاد هي بيان الحق ويستوي فيها جميع الناس، وهداية التوفيق هي التي يجعلها الله في قلب العبد وإعانته على قبول الهدى ما لا يجعله لغيره، ينظر: آل فريان: **فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد**، ج١، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٣) ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٩، ص٦٥٤-٦٥٥، والرازي: **التفسير الكبير**، ج٢٦، ص٢٤٢، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٩، ج٢٣، ص٣٢٣.

فقوله تعالى: (لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) بعد بيان بطلان الآلهة وأنها عاجزة فقيرة إلى الله، رد تعالى عليهم بهتان قولهم الذي زينوه بحجج واهية، ودعواهم أن آلهتهم تقربهم إلى الله، فنبههم تعالى أنه جلّ في علاه لو أراد أن يتخذ ولداً لاصطفى سبحانه من مخلوقاته ما يشاء[1]، فكيف يزعمون أن هذه الآلهة شفعاء عند الله وما لهم على ذلك دليل ولا برهان! فلو كانت حقاً لها شفاعة عند الله لنبه الله إليها، فمن أين جاؤوا بما لا يعلمون؟ قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ (سورة المؤمنون).

قصد تعالى إبطال شركهم بإبطال أقواه وهو زعمهم الولد إلى الله –تعالى عن ذلك علواً كبيراً–، فإبطال الولد – وهو الذي تكون له الزلفى والشفاعة مما يعلم الناس من أحوالهم– هو إبطال لما سواه، وقال الله تعالى حكاية عن قولهم الإفك: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ (سورة البقرة)، فقصد تعالى إبطال زعمهم حيث ادعى المشركون أن اللات والعزى بنات الله، ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴿٢١﴾ (سورة النجم).

والقصد إبطال إلهية الأصنام على طريقة المذهب الكلامي، .... فبنى الدليل على استحالة الولد على الله تعالى، فعلى طريقة الفرض فسيكون ولداً بالتبني، فإبطال التبني يستلزم

---

[1] "هذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ (سورة الزخرف)، ولو حرف امتناع لامتناع، وهو يفيد امتناع وقوع الجواب لامتناع وقوع الشرط، ينظر: ابن كثير: **مختصر ابن كثير**، ج٣، ص،١٥٩، والشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١٧، ص٥٤٦.

إبطال الابن بالأولى[١].

ولذلك كان من أعظم الافتراء على الله اتخاذ الولد حيث قال تعالى: ﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحمنُ وَلَدًا﴿٨٨﴾ لَقَد جِئتُم شَيئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرنَ مِنهُ وَتَنشَقُّ الأَرضُ وَتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوا لِلرَّحمنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَما يَنبَغي لِلرَّحمنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴿٩٢﴾﴾ (سورة مريم)

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- لو كان لله ولد فهو ولد بالتبني.
- لكن الله ليس له ولد.
- إذن فليس لله ولد بالتبني.

وهذا يستلزم إبطال تولد الابن بالأولى، وقد جاءت الحجة على طريقة مجاراة الخصم ليبين الحق، فلو كان لله ولد لكان بالتبني، ولا تتعقل بنوة الله بغير التبني، فلو أراد الله اتخاذ الولد لاختار الأليق من مخلوقاته، –وذكر فعل الاتخاذ بتعقيبه بفعل الاصطفاء على طريقة مجاراة الخصم المخطئ ليغير في مهواة خطئه– ، وليست الحجارة التي زعمتم أنها بنات الله، وتكون الآية اقتضت دليلين طوى أحدهما وهو استحالة الولد بالمعنى الحقيقي على الله، وذكرت دليل إبطال التبني الذي لا يليق بجلاله تعالى، فهو سبحانه واحد حقيقي، والواحد الحقيقي يمتنع في حقه الولد، إذ هو واجب الوجود لذاته، وهو غير محتاج لغيره، فحكمة الولد التكثر من قلة، أو الاستعانة به عن غلبة وانقهار، والله تعالى واحد لا يجّوز عليه الكثرة ولا التكثر، لأنه هو الواحد القهار، وإذا انتفت حكمة الولد في حقه تعالى وجب انتفاؤه وقوعاً وجوازاً، فضلاً عن أن الولد يكون مشابهاً في الماهية،

---

[١] ينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٩، ج٢٣، ٣٢٤-٣٢٥، والزمخشري: **الكشاف**، المجلد٢، ج٤، ص٨٤.

وتكون حقيقة الولد كحقيقة الوالد، فهي حقيقة نوعية محمولة على شخصين، وذلك محال لأنه لا يكون الإله إلا واجب الوجود لذاته، وقد ثبت أنه إله ثابت الوجود لذاته، وعليه امتنع الولد على الحقيقة، وقد ثبت هذا من قوله تعالى: ﴿ وَما يَنبَغي لِلرَّحمنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ إِلّا آتِي الرَّحمنِ عَبدًا ﴿٩٣﴾ (سورة مريم)، وقوله (وَلَدًا) يعم اتخاذ النسل أو الشركاء، فأما الأول فمعقول، وأما الثاني فمعروف بخبر الشرع، ومما يدل على أن المعنى هنا الاصطفاء والتبني قوله تعالى: (مِمَّا يَخْلُقُ)، أي: من موجوداته ومحدثاته[١].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- إذا ثبت واجب الوجود، فالولد في حقه ممتنع.
- لكن ثبت واجب الوجود.
- إذن فالولد في حقه ممتنع.

ثم قال تعالى: (سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)، فالتسبيح تنزيه لله تعالى عما نسبوه إليه من الشركاء، وعوداً لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من قوله: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ)، والتسبيح هو تنزيه الله تعالى عن النقائص واثبات العظمة والكمال له سبحانه، قال السمعاني: " **وكلمة سبحان؛ كلمة ممتنعة، لا يجوز أن يوصف بها غير الله تعالى؛ لأن المبالغة في التعظيم لا تليق لغير الله تعالى، وهو تنزيه الله من كل سوء، وحقيقته تعظيم الله بوصف المبالغة، ووصفه البراءة من كل نقص**[٢]"، فالتسبيح يدل بدلالة المطابقة على التنزيه، وجاءت

---

[١] ينظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٧، ص٣٧١، والرازي: **التفسير الكبير**، ج٢٦، ص٢٤٢، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٣٤١، والطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٥٣٩، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد، ٩، ج٢٣، ص٣٢٥-٣٢٦.

[٢] السمعاني: **تفسير السمعاني**، ج٢، ص٤٦٧.

بعد إثبات الحجة بنفي الولد عن الله، وتمهيداً لقوله تعالى: (هُوَ اللَّـهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)، فالواحد يثبت الوحدانية وإبطال الشريك عن الله جل وعز وما زعموه من الشركاء، و" **القهر: الغلبة والتذليل معاً، ويستعمل في كل واحد منهم**(١)"، فهو سبحانه شديد الغلبة لكل شيء، ووحدانيته تعالى وقهره متلازمان، فنفى الشركاء من كل وجه(٢).

ثم جاءت آيات الخلق لبيان أنه تعالى الواحد القهار، فإن الذي خلق هذه العوالم على عظمتها وإحكام صنعها يبين معنى الوحدانية والقهارية، ويكون قوله تعالى: (هُوَ اللَّـهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) متصلاً بقوله تعالى: (لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا) كاتصال التذييل، وقوله تعالى: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) اتصال تمهيد، فانتقل من الاستدلال باقتضاء الحقيقة الإلهية نفي الشريك إلى الاستدلال بخلق السماوات والأرض، وأنه سبحانه المنفرد بالخلق، ولا يستطيع شركاؤهم أن يخلقوا مثل هذه العوالم(٣)، وهذا يؤكد تلازم أنواع التوحيد، فالآيات تناولت الربوبية والألوهية والأسماء الحسنى والصفات العلى، فضلاً عن أن مقصد سورة الزمر علاج قضية التوحيد والإخلاص ونبذ الشريك، وعرض المشاهد الكونية فيها هو عرض لحقائق العقيدة(٤).

ثانياً: قال تعالى: ﴿أَيُشرِكونَ ما لا يَخلُقُ شَيئًا وَهُم يُخلَقونَ ﴿١٩١﴾ وَلا يَستَطيعونَ لَهُم نَصرًا وَلا أَنفُسَهُم يَنصُرونَ ﴿١٩٢﴾ (سورة الأعراف).

المقصد من هذه الآية إقامة الحجة على أن الأصنام لا تصلح أن تكون آلهة، وهي هنا

---

(١) الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص٤١٥.

(٢) ينظر: السعدي: **تفسير السعدي**، ص٩٠٤، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٩، ج٢٣، ص٣٢٦.

(٣) ينظر: ابن عاشور: **المرجع السابق**، المجلد٩، ج٢٣، ص٣٢٨.

(٤) ينظر: **المختصر في تفسير القرآن**، جماعة من علماء التفسير، ص٤٥٨، ورفيق: محمد بن أحمد الحسن، **مكامن الدرر في محاور السور في تفسير ظلال القرآن**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، ص٤٣٠-٤٣٢، والطباطبائي، **الميزان في التفسير**، ج١٧، ص٢٣٧.

تخاطب الفطرة والعقول المستنيرة التي تحتاج إلى التذكير بالميثاق والفطرة، فكيف يشركون مع الله ما لا يخلق وهم يُخلقون! فأنتم مَن أوجدهم وصنعهم بعد عدم، فكيف تتوجهون إليهم بالعبادة، وتسألونهم حاجتكم! وهل مثل هذه الآلهة تستحق العبادة؟

وكما قال تعالى حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام موبخاً قومه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ (سورة الصافات).

فكانوا يصنعون آلهتهم ثم يتقربون بها إلى الله، قال ابن جزي:" **قيل: (ما) موصولة بمعنى الذي، والمعنى: الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها، وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام**[1]".

بل هذه الأصنام عاجزة عن نصر نفسها، ودفع الضر عنها، فهي على نصر عابدها أعجز! وكيف يليق بالعاقل أن يعبدها؟

فالمقصود من هذه الآية هو: بيان ضلال مذهبهم في عبادة الأصنام؛ التي أوجدوها بأيديهم، وكان إبراهيم عليه السلام قد قصد إلى بيان عجز الآلهة، وبيان ما فيها من صفات العجز والحاجة، وأن من هذا حاله لا يمكن أن يكون إلهاً، فكسرها وأبقى كبيرها حتى إذا رجعوا وشاهدوا ما حل بأصنامهم، تبيّن لهم عجزها وضعفها، وأنها لا تملك نفعاً ولا ضراً لنفسها، فكيف بعابديها، ولكنهم أنكروا على إبراهيم عليه السلام أن يطلب منهم سؤال آلهتهم عما حلّ بها!

فقال تعالى حكاية عنهم في سورة الأنبياء: ﴿ لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ ﴿٦٥﴾ ثم أخبرهم بما لا يمكنهم إنكاره بأن هذه الآلهة من صنعكم وعملكم فهل تستحق العبادة والتعظيم؟

فقال تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا

---

[1] ابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج٢، ص٢٣٩.

تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ (سورة الصافات)[١].

ومن الأدلة على استحقاق الله تعالى وحده للعبادة دون ما سواه ما بينته الآيات القرآنية من ضعف المخلوق[٢] الذي يعلم هذا في نفسه ويلمسه، فالله سبحان جاء به إلى الدنيا دون اختياره، ويخرجه دون اختياره ورغبته، وهو يعلم يقيناً أن الذي قهره وأذله هو الله تعالى وليست الآلهة[٣].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- الآلهة من دون الله غير قادرة على دفع الضر وجلب النفع.
- كل غير قادر على دفع الضر وجلب النفع آلهة باطلة.
- إذن الآلهة غير الله آلهة باطلة.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿قُلِ ادعُوا الَّذينَ زَعَمتُم مِن دونِهِ فَلا يَملِكونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم وَلا تَحويلًا ﴿٥٦﴾ أُولئِكَ الَّذينَ يَدعونَ يَبتَغونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ وَيَرجونَ رَحمَتَهُ وَيَخافونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحذورًا ﴿٥٧﴾ (سورة الإسراء).

---

[١] ينظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٧، ص٢٩٨-٢٩٩، والرازي: **التفسير الكبير**، ج١٥، ص٩٤-٩٥، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٢، ج٤، ص٢٢١، وأبو حيان: **البحر المحيط**، ج٤، ص٤٤٤، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٢، ص٧٨، والشوكاني: **فتح القدير**، ج٢، ص١٠٩٤-١٠٩٥، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٣٩١.

[٢] تأخر اسلام عمرو بن الجموح وكان له صنم، وكان فتيان من بني سلمة قد آمنوا، فكانوا يدخلون بيته ليلاً ويأخذون صنمه فيطرحونه في أنتن حفرة منكساً، ويلطخانه بالعذرة، فيجيء عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفا، ويقول له: " انتصر " حتى وضعوه يوماً مع كلب نتن، فأبصر شأنه وأسلم، وقال: والله لو كنت إلهاً لم تكن.... أنت وكلب في وسط بئر قرن. انظر: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: **سير أعلم النبلاء**، حققه: خيري سعيد، قدم له: سيد حسين العفاني، (القاهرة، المكتبة الوقفية، د. ط، د.ت)، ج٣، ص١٥٠.

[٣] ينظر: آل الشيخ: **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**، ص٢١٥-٢١٦، باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشرِكونَ ما لا يَخلُقُ شَيئًا وَهُم يُخلَقونَ ﴿١٩١﴾ وَلا يَستَطيعونَ لَهُم نَصرًا وَلا أَنفُسَهُم يَنصُرونَ ﴿١٩٢﴾.

عَنْ أبي مَعْمَرٍ عَنْ عَبْدِ الله: {إِلَى رِبِّهِمِ الوَسِيلَةَ} قَالَ: كانَ ناسٌ مِنَ الجن يُعبدون، فأسلموا[١].

يقول ابن حجر: الجن الذين يدعونهم آلهة يبتغون إلى ربهم الوسيلة[٢].

في الآية احتجاج على التوحيد، ونفي ربوبية الآلهة التي يدعون من دون الله، فهم أمثالهم في الحاجة والفقر إلى الله، فالمستحق للعبادة هو من يكون قادراً على إيصال النفع ودفع الضر عن عابديه، وهؤلاء المعبودون- ليسوا من الأصنام التي لا تعقل، بل فيمن يعقل- هم في فقر إلى الله، يطلبون التقرب إليه، والزلفى منه، وهذه الآية تتناول كل من دُعي من غير الله، فهذا المدعو هو يبتغي الوسيلة إلى الله، ويرجو رحمته ويخاف عذابه، فكيف يجوز دعاؤهم وهم في فقر وحاجة إلى الله؟ فهؤلاء لا يملكون كشف الضر عنكم بالكلية، ولا أن يحولوه، فالله تعالى وحده القادر على ذلك لا شريك له، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين فقد تناولته هذه الآية، كما تناولت من دعا الملائكة والجن، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذينَ كَفَروا أَن يَتَّخِذوا عِبادي مِن دوني أَولِياءَ ﴿١٠٢﴾ (سورة الكهف)[٣].

---

[١] أخرجه البخاري، في **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب: (قُلِ ادعُوا الَّذينَ زَعَمتُم مِن دونِهِ فَلا يَملِكونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم وَلا تَحويلًا، ص٦٥٤، رقم (٤٧١٤)، واللفظ له، وأخرجه مسلم، في **صحيح مسلم**، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: (قُلِ ادعُوا الَّذينَ زَعَمتُم مِن دونِهِ فَلا يَملِكونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم وَلا تَحويلًا)، ص١١٣٠، رقم (٧٥٥٤).

[٢] ينظر: ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج٨، ص٥٠٧-٥٠٨.

[٣] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٥، ص٤٩٨، وابن تيمية، **تفسير ابن تيمية**، ج٤، ص٢٢٣-٢٢٤، والطباطبائي: **الميزان في التفسير**، ج، ص١٢٧، وآل فريان: الوليد بن عبد الرحمن بن محمد: **فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للعلامة محمد بن عبد الوهاب**، (بيروت، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ج١، ص٢٠٥-٢٠٦.

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- الآلهة من دون الله مفتقرة إلى غيرها.
- كل مفتقر إلى غيره فهو ليس بإله.
- الآلهة من دون الله آلهة باطلة.

المبحث الرابع: الحجة البرهانية على أدلة الكمال والتنزيه الإلهي

تبين لنا من خلال ما تم عرضه في البحث أن آثار صفات الله تعالى تتجلى في مخلوقاته وأفعاله، وهذا فيه دلالة على كمال صفاته جلَّ وعزَّ، وهذه الدلالة في غاية الظهور والبيان،" **فثبوت الكمال لله تعالى معلوم بالعقل، وإن نقيض ذلك منتف عنه، فإن الاعتماد في الاثبات والنفي على هذه الطريق مستقيم في العقل والشرع**[١]"، فعقلاً كل موجود لا بد أن تكون له صفة، إما صفة كمال أو نقص، والثاني باطل في حق الله إذ أظهر الله بطلانه في بيان النقص والعجز بألوهية الأصنام، فثبتت لله صفات الكمال المطلق، وثبتت للمخلوق بالحس والمشاهدة صفات كمال حباه الله فيها فيما هي من اختصاص المخلوق، فالكمال المطلق أولى لله سبحانه[٢].

فإن قيل: فلماذا واجب أن يكون الخالق أكمل؟

يجيب الإمام الغزالي: "**هذا مما يجب الإقرار به شرعاً وعقلاً، والأمة العقلاء مجمعون عليه، فلا يصدر هذا السؤال من معتقد، ومن اتسع عقله لقبول قادر يقدر على اختراع ما هو أعلى وأشرف منه، ...فقد انخلع عن غريزة البشرية، ونطق لسانه بما ينبو عن قبوله قلبُه إن كان يفهم ما يقوله، ولهذا لا نرى عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد**[٣]".

---

(١) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس الحراني، **مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية**، تحقيق: محمد رشيد رضا، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج٥، ص٤٣.

(٢) ينظر: ابن عثيمين: محمد صالح، **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه**، حققه وخرج أحاديث: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (د.م، دار السنة، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ص٢٧.

(٣) الغزالي: **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص٢٤٢.

٢.٤.١ المطلب الأول: أدلة الكمال

أثبت الله تعالى لنفسه العلية في كتابه الكريم صفات الكمال والعظمة مما يليق به سبحانه، ونفى عن نفسه النقص والعيب مما هو من شأن المخلوقات، ويقول بديع الزمان النورسي عن حقيقة الكمالات في تأمل الكون: " **إن جميع ما في الكون من حِكم سامية ومن جمال خارق ومن قوانين عادلة ومن غايات حكيمة، إنما تدل بالبداهة على وجود حقيقة الكمالات، وهي شهادة ظاهرة على كمال الخالق سبحانه الذي أوجد هذا الكون من العدم، ويدبر أمره في كل جهة وناحية، إدارة معجزة جذابة جميلة، فضلاً عن أنها دلالة واضحة على كمال الإنسان الذي هو المرآة الشاعرة العاكسة لتجليات الخالق جلَّ وعلا**[١]".

وسيعرض البحث هنا بعض الآيات القرآنية التي تبين أدلة الكمال لله تعالى، وتدل على الصفات العليا من طريقين، دلالة أفعاله تعالى وما فيها من كمال، وأن كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالله تعالى أولى بالكمال المطلق، وتفصيلهما على النحو الآتي[٢] :

أولاً: دلالة أفعال الله تعالى:

من أعظم الأصول أن يعرف الإنسان ما نعت الله به نفسه الكريمة في كتابه العظيم من الصفات الفعلية كالخلق والقدرة وغيرها[٣].

---

[١] النورسي: **الشعاعات**، ص١٨٢-١٨٣، وفي الكمال الإنساني يقول الراغب الأصفهاني: " وخلافته المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَيَستَخلِفَكُم فِي الأَرضِ فَيَنظُرَ كَيفَ تَعمَلونَ ﴿١٢٩﴾ (سورة الأعراف) وغيرها من الآيات، وذلك هو الاقتداء بالباري سبحانه على قدر الطاقة البشرية في السياسة باستعمال مكارم الشريعة"، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق: أبي اليزيد أو زيد العجمي، (القاهرة، دار السلام، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص٣٨.

[٢] ينظر: العريفي: **الأدلة العقلية النقلية**، ص٢٢٧.

[٣] ينظر: ابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، المجلد٤، ج٧، ص١٢٩.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ في سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ يَطلُبُهُ حَثيثًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمرِهِ أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ تَبارَكَ اللَّـهُ رَبُّ العالَمينَ ﴿٥٤﴾ ادعوا رَبَّكُم تَضَرُّعًا وَخُفيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُعتَدينَ ﴿٥٥﴾ وَلا تُفسِدوا فِي الأَرضِ بَعدَ إِصلاحِها وَادعوهُ خَوفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحمَتَ اللَّـهِ قَريبٌ مِنَ المُحسِنينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذي يُرسِلُ الرِّياحَ بُشرًا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ حَتّى إِذا أَقَلَّت سَحابًا ثِقالًا سُقناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلنا بِهِ الماءَ فَأَخرَجنا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخرِجُ المَوتى لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ ﴿٥٧﴾ (سورة الأعراف).

بعد أن ذكر تعالى في الآيات أن من أفعاله خلق السماوات والأرض بهذه العظمة والسعة والإتقان وما فيهما في ستة أيام، وكله مسخر بأمره وله الحكم والتصرف، أرشد إلى دعائه الذي هو أصل العبادة والتوحيد[١]- فهو سبحانه المقصود، وله الغنى المطلق، وهو الخالق الرزاق القادر على ما يريد، فكما خضعت له هذه المخلوقات العظيمة مختارة، جاءت الآية تقرر عبودية البشر لله، فالدعاء من أعظم العبادات، ولا غنى لهم عن دعاء المسألة أو دعاء العبادة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ (سورة غافر)، وفي آيات غافر هذه ذكر قبلها آيات الربوبية والقدرة والكمال، قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا

---

[١] قال ابن حجر في فتح الباري: "الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له، وما شرعت العبادات إلا للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه: ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٨١هـ-١٩٩٧م)، ج١١، ص١١٤.

يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾، فتوعد تعالى من يتكبر عن دعائه وعبادته بعد أن تبينت له دلائل الربوبية والكمال، فالغاية المقصودة من خلق الخلق هي معرفته تعالى وعبادته، ولا يستوي من تأمل وتفكر واهتدى بغيره[1].

وهكذا ينتهج القرآن البرهان العقلي[2] باستعراض عبودية الوجود، وتسخيره لأمره وحكمته، وما في ذلك من صفات الكمال المستحق للتعظيم والخضوع، فيخاطب القلب لينسجم مع هذا الكون، وما فيه ملبياً للحاجة الفطرية له في الخضوع لرب عظيم له الكمال والعظمة والجبروت، ليس كمثله شيء وهو المستحق للتوحيد والإخلاص، ولذلك اعتنى القرآن بتقرير هذا المعنى وتعميقه[3].

وعادت الآيات بعد الأمر بالدعاء لبيان استحقاق الله تعالى للعبادة من أفعاله جلَّ وعزَّ.

فهو سبحانه يرسل الرياح المبشرات بالغيث، فيستبشر الخلق بالمطر والخير، وفي قراءة متواترة[4] (يُرسِلُ الرِّياحَ نُشرًا) فهو سبحانه يرسل الرياح ناشرة بين يدي السحاب المحمل بالمطر، وما في ذلك من دليل العظمة والقدرة إذ جعل الجماد فاعلاً بطبعه، فيستبشر الخلق برحمة الله

---

(1) ينظر: السعدي: **تفسير السعدي**، ص٩٣٢-٩٣٣، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج١٨، ص٢٣٥، والزحيلي: **التفسير المنير**، مجلد١١، ج٢٤، ص١٤٩-١٥٠. وجاءت الآية (٥٩) (إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) بعد هذه الآيات في إثبات البعث وهو في كثير من الآيات.

(2) البرهان العقلي في عرض دلائل الربوبية، وما فيها من الأفعال الدالة على ذلك المبينة لصفات الكمال المطلق التي تستوجب توحيد الألوهية فنوّه بالدعاء.

(3) ينظر: قطب: **في ظلال القرآن**، ج٣، س١٢٩٥-١٢٩٦.

(4) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، قال اليزيدي" العرب تقول: " هذه رياح نُشر"، قال أبو عبيد: " الريح النشور التي تهب من كل جانب وتجمع السحابة الممطرة"، زنجلة: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد: **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ص٢٨٥.

تعالى، فتخرج الثمرات والنعم، والمطر من رحمته تعالى يحيي به الأرض ويرزق العباد، وكذلك نبه سبحانه على إحياء الموتى.

قال تعالى: (كَذلِكَ نُخرِجُ المَوتى لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ) فتعلمون أن من قدر على هذا الخلق وإحياء الأرض قادر على إخراج الموتى والبعث، وفي هذا حث ودعوة للتذكر والتفكر في مخلوقات الله وآلائه بعين الاعتبار والعظة ومعرفة عظمة الله وكماله بأفعاله[1].

وقد جمعت الآيات عدداً من أفعال الخالق الدالة على **العظمة والقدرة والإرادة والحكمة والعلم**.

قال القاسمي: " **من أحكام الآية: أنها تدل على عظم نعمه تعالى علينا بالمطر، وتدل على الحجاج في إحياء الموتى بإحياء الأرض بالنبات، وتدل على أنه أراد من الجميع التذكر. وتدل على أنه أجرى العادة بإخراج النبات بالماء. وإلا فهو قادر على إخراجه من غير ماء، فأجرى العادة على وجوه دبرها عليها على ما نشاهده، لضرب من المصلحة دينا ودنيا**[2]".

ثانياً: طريقة قياس الأولى

قياس الأولى أن كل ما يثبت للمخلوق من صفات كمال فالله تعالى هو أولى بالكمال بما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، حيث إن هناك (المعنى المشترك) بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فإذا وُصف المخلوق بالكرم، وأخبرنا تعالى أنه الكريم، فوجب عقلاً أن ندرك أن الله تعالى

---

(1) ينظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٣٨٠-٣٨٢، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٢، ج٤، ص١٤٩، وابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٣، ص١٧٣، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٢، ص٢٥-٢٨، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٣٥٠-٣٥١، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٤، ج٩، ص١٧٨-١٨٣.

(2) القاسمي: **محاسن التأويل**، ج٧، ص٢٧٥٨، وقد بينت الآيات التوحيد والقدرة على الإحياء والبعث.
وهكذا الآيات القرآنية تجمع بين إثبات التوحيد وتأكيد البعث.

مباين لمخلوقاته أعظم مباينة، وإنما الاشتراك بالاسم لكي ندرك المعنى للاسم لا للمشابهة والتمثيل أو التعطيل والتفويض[1].

وقياس الأولى سلكه السلف اتباعا للقرآن، فأثبتوا لله تعالى صفات الكمال التي لا نقص فيها من وجه من الوجوه، فأثبتوا له الأعظم من كل ما يثبت لكل ما سواه بما لا يدرك قدره[2]، وقياس الأولى لله تعالى على ثلاثة أنواع: طريق الترجيح والتفضيل، وإثبات الصفات من طريق دلالة الأثر على المؤثر، وإثبات صفات الكمال بنفي ما يناقضها:

- **النوع الأول: طريق الترجيح والتفضيل:** وهذا يبحث في أن كل كمال ثبت للمخلوق المحدَث الممكن الوجود، فيثبت للخالق من باب أولى فطرة وعقلاً، لأنه هو الخالق، وهو واجب الوجود لذاته، وهو أحق بالكمال لأنه الأفضل، وعلى هذا دلت أمثلة كثيرة في وصف المثل الأعلى للخالق، وما جاء على صيغة التفضيل في صفات الخالق، وإنكار التسوية بين صفات الخالق ومن يتصف بها من البشر:

ماورد في ذكر المثل الأعلى[3]:

١. **ما ورد من ذكر المثل الأعلى:**

---

[1] أهل التعطيل: هم الذين نفوا دلالة نصوص الكتاب والسنة عن المراد، ويأتي على ثلاثة أنواع، وأهل التفويض: هم الذين فوضوا معاني النصوص الثابتة التي تعارض قواعدهم وعقائدهم التي لم يجدوا لها تأويلاً يوافق عقائدهم وأهواءهم، مع اعتقادهم أن ظاهر النص غير مراد، انظر: الجهني **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، ج٢، ص١٠١٣، ١٠١٥.

[2] ينظر: ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد٥، ج٩، ص٧٩.

وقال شارح الطحاوية: " يستعمل في حق الله تعالى قياس الأولى، سواء كان تمثيلاً أو شمولاً"، أبو العز: علي بن علي بن محمد الدمشقي: **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، (الرياض، دار عالم الكتب، ط٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ص٨٧.

[3] أصل التقسيم عند ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد٨، ص٢٠٣.

فكل كمال ثبت للمخلوق فهو بالأولى ثابت للخالق جلَّ وعزَّ، قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ (سورة الروم).

المثل: الصفة، وهو الوصف العجيب الشأن، فالمثل الأعلى هو الأسماء والصفات التي هي لله تعالى على أكمل الوجوه وأتمها، وكذلك له التوحيد الخالص عن كل شرك، وله الوحدانية النافية لأي شرك.

وقيل: هو لا إله إلا الله، أراد به الوحدانية، وقيل: التوحيد والإخلاص، وله الإحياء والإماتة، وهو سبحانه لا إله إلا هو، له المثل الأعلى تعالى ربنا وتقدس(١).

وعليه فإن المفسرين على أن المثل الأعلى هي الصفات العليا التي تستوجب إفراده تعالى بالألوهية وإخلاص العبادة له، فلا شريك له ولا مثيل، وله الكمال المطلق لا يساميه فيه أحد.

"**ولما كان الرب هو الأعلى، ووجهه الأعلى، وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وسائر صفاته عليا، كان له المثل الأعلى، وهو أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان، لأنهما إن تكافآ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير، وهذا برهان قاطع في إثبات صفات الكمال على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله**

---

(١) ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٩، ص٨٣، والسمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد التميمي المروزي: **تفسير السمعاني**، اعتنى به: مصطفى عبدالقادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٠م)، ج٣، ص٢٨٠، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٢٣٧، وابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي القرشي، **زاد المسير في علم التفسير**، (بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ص١٠٩٣، والعز بن عبدالسلام، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٠٣، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٣، ج٧، ص٢٥٨، وابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج٢، ص١٦٧.

فإنه في غاية الظهور والقوة[1]"، واسم "العلي" يُفسر بمعنيين، فهو أعلى من غيره قدراً وشأناً ومكاناً، وهو أحق بالكمال المطلق، وله علو القهر والغلبة، فهو القادر على خلقه وهم المقدور عليهم، وهذا يتضمن كونه خالقاً ورباً لهم[2].

وفي آية سورة النحل قال جلَّ وعزَّ: ﴿**لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوءِ وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعلى وَهُوَ العَزِيزُ الحَكيمُ** ﴿٦٠﴾﴾، فجعل سبحانه للمشركين مثل السوء، وهو المتضمن للنقص والعيب، وأثبت لنفسه العلية القدسية المثل الأعلى، فليس له مماثل ولا شبيه.

٢. ما جاء في القرآن على صيغة التفضيل

هو ما جاء على صيغة التفضيل (أفعل) كقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿**٣**﴾﴾ (سورة العلق).

ومثله: الأعلى، وأبقى، وأرحم الراحمين، وأحسن الخالقين، فهذه النصوص مع ما ثبت فيها من ذكر المثل الأعلى، وما جاء من تنزيه الله تعالى ونفي التمثيل، بمثابة التقييد لسائر الصفات، فتكون على الوجه الأكمل، **وهي على دلالتين:**

١. نفي المثل والشبه والنظير لله جلَّ وعزَّ وهذا هو الكمال المطلق.
٢. نفي استلزام النقص في ذات الصفة ونفي تصورها لما لها من الكمال المطلق الذي يعجز عنه الفكر[3].

---

[1] ابن القيم: الجوزية: **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، اختصره: محمد بن الموصلي، خرج نصوصه وعلق عليه: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، (الرياض، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص٣٩٥-٣٩٦.

[2] ينظر: ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد٨، ج١٦، ص٢٠٤.

[3] ينظر: العريفي: **الأدلة العقلية النقلية**، ص٣٣٩.

ففي قوله تعالى (الْأَكْرَمُ): اسم تفضيل، وهو سبحانه أكرم الأكرمين، والكرم كثرة الخير وسعة الجود، والأكرم: الزائد في الكرم على كل كريم، والخير كله من الله عزَّ وجلَّ، وعن علي رضي الله عنه: عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، "أنَّهُ كانَ إذَا قَامَ إلى الصَّلَاةِ، قالَ: ... لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ ليسَ إلَيْكَ...[١]".

فهو سبحانه المتصف بالكرم في نفسه، وأنه محسن إلى عباده، مستحق للحمد لمحاسنه وإحسانه، والمرجو فضله لصفاته لكونه الأكرم، وأطلق (الأكرم) ليتبين أنه سبحانه الأكرم مطلقاً، فهو متصف بغاية الكرم فلا شيء فوقه ولا شيء ينقصه[٢].

فهو سبحانه الأكرم، " **له كمال القدرة وكمال الملك، وأن خزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد، وفي ذلك حث الخلق على سؤاله وإنزال حوائجهم به[٣]**".

٣. إنكار التسوية بين صفات الكمال ومن يتصف بها، وبين ما يقابل ذلك من صفات النقص ومن يتصف بها

وهذا فيه تتمة لقياس الأولى ونفي الشبيه والنظير، فسبحانه له صفات الكمال المطلق، ولا يمكن تسويته جل وعز مع من صفته النقص والعيب، وهو كما مر في البحث عند قوله

---

[١] أخرجه مسلم، في **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ص٢٧٤-٢٧٥، رقم (١٨١٢).

[٢] ينظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٦٢٢، وابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد٨، ج١٦، ص١٨٣-١٨٧، و**تفسير ابن تيمية**، ج٧، ص١٠٤، وعبد الوهاب: **تفسير آيات من القرآن الكريم**، ص٥٤١، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١١٦٠، واللاحم: سليمان بن ابراهيم بن عبد الله، **تنوير العقول والأذهان في تفسير مفصل القرآن**، (الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ج٣، ص٢٢٠.

[٣] ابن رجب: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، تحقيق: وهبة الزحيلي، (دمشق، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ج١، ص٤٤٨.

تعالى: ﴿أَفَمَن يَخلُقُ كَمَن لا يَخلُقُ أَفَلا تَذَكَّرونَ ﴿١٧﴾ (سورة النحل)[1]. ويذكر البحث أنموذجاً للآيات التي فيها إنكار التسوية بين صفات الكمال ومن يتصف بها ومن هو الضد في ذلك:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبدًا مَملوكًا لا يَقدِرُ عَلى شَيءٍ وَمَن رَزَقناهُ مِنّا رِزقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنهُ سِرًّا وَجَهرًا هَل يَستَوونَ الحَمدُ لِلَّهِ بَل أَكثَرُهُم لا يَعلَمونَ ﴿٧٥﴾ (سورة النحل).

" **هذا دليل آخر على التوحيد، وتقريره أن الله عز وجل غني له ملك السماوات والأرض، وآلهتكم عبيد فقراء، فلا يساوونه في رتبة الإلهية..... كما لا يستوي العبد الفقير منكم والموسر الذي ينفق من يساره سراً وجهراً**[2]"، فلا يستوي الخالق بالمخلوق ولا بأي وجه.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَينِ أَحَدُهُما أَبكَمُ لا يَقدِرُ عَلى شَيءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلى مَولاهُ أَينَما يُوَجِّههُ لا يَأتِ بِخَيرٍ هَل يَستَوي هُوَ وَمَن يَأمُرُ بِالعَدلِ وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُستَقيمٍ ﴿٧٦﴾ (سورة النحل). " **وهذا دليل آخر على التوحيد، وتقريره أن الله عزَّ وجلَّ غني قادر كافل لخلقه آمر ناه، فلا تساويه أصنامكم العادمة لهذه الصفات، كما لا يستوي رجلان أحدهما جامع لهذه الصفات، وآخر عادمها**[3]".

وفي كلا المثلين يتبين لكل عاقل أنه لا تستوي أصنامهم مع الله تعالى الذي له الملك المطلق والكمال المطلق، وهذا معلوم لكل أحد بالضرورة، فإذا عُلم انتفاء التساوي بين الكامل

(1) مبحث: الحجة البرهانية في قضايا توحيد الألوهية، مطلب: إبطال الشرك في الألوهية، من الفصل الثاني.
(2) الطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٣٨٢.
(3) **المرجع السابق**، ص٣٨٢-٣٨٣.

والناقص، وعُلم أن الرب جل وعلا له الكمال المطلق، وجب أن يكون أكمل منهم وأحق منهم بطريق الأولى[1].

ويقول الأصفهاني:" **ومذهب أهل الحق: أنه تعالى موجد كل شيء، وسبب كل موجود، وفاعل الفاعلين وأحسن الخالقين، وهو الذي فوق الكل وليس فوقه شيء، وبوجوده وجود الأشياء، وببقائه بقاؤها، ولا يمكن توهم شيء مع توهم ارتفاعه تعالى الله سبحانه**[2]".

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- لا أحد من الآلهة الباطلة يتصف بالكمال.
- الإله المستحق للعبودية يتصف بالكمال.
- إذن لا أحد من الآلهة الباطلة يستحق العبودية.

ويمكن صياغتها:

- الله تعالى له الكمال المطلق.
- المتصفُ بالكمال المطلق هو الإله الحق.
- إذن الله تعالى هو الإله الحق.

وهذا مستقر في الفطر السليمة والعقل السديد، فصاحب الكمال المطلق لا يمكن أن يكون له شبيه أو مثيل، وقد بينت الآيات الكريمة أن الفرق بينهما مرتكز في العقل والفطرة:

قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ (سورة الطور)، وقد استدل ابن تيمية بهذه الآية في التدمرية للرد على الفرق

---

[1] ينظر: ابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٤، ص١٧٠-١٧١.

[2] الأصفهاني: الراغب: **كتاب الاعتقاد**، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في العقيدة جامعة أم القرى، اشراف الدكتور: محي الدين الصافي، (١٤٠٢-١٤٠١هـ)، تحقيق: اختر جمال محمد لقمان، ص٧٢.

الضالة في أسماء الله وصفاته من المعطلة والمشبهة والمجسمة فقال: " **وذلك أنه قد عُلم بالاضطرار أن المحدَث لابد له من واجب، فإذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق ولا هم الخالقون لأنفسهم تعين أن لهم خالقاً خلقهم**[1]"، فهؤلاء الفرق ضلوا لما أرادوا أن يفروا من تشبيه صفات الخالق بالمخلوق، لأن الذي يتصف بالصفات الأجسام، ففروا من التشبيه ووقعوا في التعطيل، فإذا عُلم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب الوجود يستحيل أن يكون غير موجود ولا يقبل الفناء ولا العدم، وفيه محدَث ممكن الوجود، يقبل الوجود والعدم، وعليه فقد عُلم أن هذا موجود وهذا موجود، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون الاتفاق بالمعنى والمضمون والحقيقة، فالآية دلالة عقلية داخلة في الدلالة النقلية، فعليهم حينها أن يقروا أن صفات الله ليست كصفات المخلوقين، " **فالذهن يأخذ معنى مشتركاً كلياً هو مسمى الاسم المطلق، وإذا قيل : هذا موجود، فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره، مع أن الاسم حقيقة في كل منهما**[2]".

- **النوع الثاني: إثبات الصفات من طريق دلالة الأثر على المؤثر**[3]

وأصل هذا " **وأما الطريق الأخرى في إثبات الصفات هي الاستدلال بالأثر على المؤثر، وأن من فعل الكامل فهو أحق بالكمال.... وهذه طريقة يقر بها العقلاء، حتى الفلاسفة يقولون: كل كمال في المعلول فهو في العلة، والاستدلال بالأثر على المؤثر أولى من الاستدلال بقياس**

---

(1) ابن تيمية: **التدمرية**، ص١٠.

(2) ابن تيمية: **المرجع السابق.**

(3) ذكره ابن القيم تحت مسمى (قياس العلة)، حيث استدل بالأثر السابق على قدرة الله تعالى على إعادته، ينظر: ابن القيم: أبو عبدالله شمس الدين، **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، حققه: عصام فارس الحرستاني، خرّج أحاديثه: حسان عبد المنان، (بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ج١، ص١٩٠-١٩٦، والعريفي: **الأدلة العقلية النقلية**، ص٣٤٣-٣٤٤، في **إتحاف ذوي البصائر**: " إذا استدللت بالعلة على المعلول فهو برهان علة، وإن استدللت بالمعلول على العلة أو بأحد المعلولين على الآخر فهو برهان دلالة، ويكون الأمر المتكرر في المقدمتين معلولاً ومسبباً، فإن المعلول والعلة يتلازمان"، النملة، ج١، ص٣١٥-٣١٦.

الأولى، والقرآن يستدل بهذه وهذه، والاستدلال على المؤثر أكمل[1] ". فصفات الكمال هي لله وحده، ولا نقص فيها بوجه من الوجوه. **ولأن الكمال إنما استفاده المخلوق من الخالق، والذي جعل غيره كاملاً هو أحق بالكمال منه..... وكل كمال للمعلول فهو من آثار العلة، والعلة به أولى**[2]".

وثبوت الكمال المطلق لله تعالى يقتضي وحدانيته في الكمال، ولو شاركه فيها أحد فهذا يعني أن له خصائص الله، فيجوز على الخالق ما يجوز على هذا المشارك، ولكن كل ما سوى الله محدَث ممكن الوجود قابل للفناء والعدم، والله تعالى واجب الوجود لذاته، وهنا يقع التناقض، وعليه فالكمال المطلق لله وحده.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ (سورة فصلت)**.** اغتر قوم عاد بقوتهم وغفلوا عن قوة الله تعالى، ولا يحق لهم ذلك، أفلم يروا أن الله أشد منهم قوة؟ والرؤية هنا علمية مشاهدة بالعيان، والاستفهام إنكاري لزعمهم عدم علمهم أن الله أشد منهم قوة، وعذرهم في جهلهم مردود عليهم، وهذا بيّن في العقل، فإن الموجد للشيء كيفما شاء من بعد العدم أقوى منه، فلولا خلقه إياهم لم يوجدوا، فلو نظروا إلى هذه الحال نظراً صحيحاً خالياً من الاستكبار لم يغتروا بقوتهم، وقوله تعالى: (بِغَيْرِ الْحَقِّ) زيادة لتشنيع استكبارهم، فالاستكبار لا يكون بحق[3].

---

[1] ابن تيمية: **مجوعة الفتاوى**، المجلد٨، ج١٦، ص٢٠٣، ٢٠٤.

[2] ابن تيمية: **المرجع السابق**، المجلد٣، ج٦، ص٤٨.

[3] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٩، ص٧٩٣، وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٧، ص٤٧٠، والرازي: **التفسير الكبير**، ج٢٧، ص١١١، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٨، ص٨، والآلوسي: **روح المعاني**، ج٢٤، ص٤٨٥، والسعدي، **تفسير السعدي**، ص٩٤٠، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٩، ج٢٤، ص٢٥٦-٢٥٨.

وتكون الحجة في الآية:

- الله تعالى أوجد الخلق بعد عدم.
- الذي أوجد الخلق من عدم له القوة المطلقة.
- إذن الله تعالى له القوة المطلقة.

- **النوع الثالث: إثبات صفات الكمال ينفي ما يناقضها**

تبين لنا ثبوت الكمال لله تعالى، وأنه سبحانه أولى بكل كمال عقلاً وبداهة وفطرة، وثبوت صفات الكمال لله تعالى يلزم منه نفي ما يضادها ويناقضها، يقول ابن تيمية: " **ثبوت الكمال لله معلوم بالعقل، وأن نقيض ذلك منتف عنه، فإن الاعتماد في الإثبات والنفي على هذه الطريق مستقيم بالعقل والشرع**[١]".

فكل نقص في الآلهة المزعومة هو دلالة على بطلان ألوهيتها، ويجب تنزيه الله تعالى عنه، وقد جاءت النصوص القرآنية تبطل ألوهية الأصنام والأوثان وكل ما عبد من دون الله بدلالة اتصافها بالنقص.

فالله تعالى له الكمال المطلق، فلا يوجد كمال لا نقص فيه إلا هو ثابت للرب جلّ وعزّ، يستحقه بذاته العلية المقدسة، وإذا ثبت هذا فهو يستلزم نفي نقيضه، فثبوت القدرة يستلزم نفي العجز والتعب، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وهذا الكمال ثابت له جل وعز بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية والخبر الصادق، ومنه قوله تعالى:

أولاً: قال تعالى: ﴿فَأَخرَجَ لَهُم عِجلًا جَسَدًا لَهُ خُوارٌ فَقالوا هذا إِلـهُكُم وَإِلـهُ موسى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلا يَرَونَ أَلّا يَرجِعُ إِلَيهِم قَولًا وَلا يَملِكُ لَهُم ضَرًّا وَلا نَفعًا ﴿٨٩﴾ **(سورة طه).**

---

[١] ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد٣، ج٦، ص٤٧.

فإلههم لا يردد لهم جواباً، ولا يملك لهم جلب نفع ولا دفع ضر، فكيف يُتخذ إلها؟ وهذا يدل على أن الإله لا بد أن يسمع ويستجيب وينفع ويضر، فإله موسى ينفع ويثيب ويسمع وهكذا هو الإله الحق، أما العادم للكلام والكمال فلا يستحق أن يكون إلهاً، وهو أنقص من عابديه[1].

قال ابن القيم: " **فجعل امتناع صفة الكلام والتكليم، وعدم ملك الضر والنفع دليل عدم الإلهية، وهذا دليل عقلي سمعي على أن الإله لا بد أن يكلم ويتكلم، ويملك لعابده الضر والنفع، وإلا لم يكن إلهاً**[2]".

ثانياً: في قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام: ﴿إِذ قالَ لِأَبيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعبُدُ ما لا يَسمَعُ وَلا يُبصِرُ وَلا يُغني عَنكَ شَيئًا ﴿٤٢﴾ (سورة مريم).

بيّن ابراهيم عليه السلام علة تجنب عبادة الأصنام وسلك مسلك لطيفاً لئلا يركب والده مركب المكابرة والعناد، فقد وصفها بثلاثة أوصاف كل واحد منها قادح في الإلهية، فالأصنام لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عن عابديها ولا تكفيهم شيئاً، فلأي شيء تعبدها! وفيها تنبيه للعاقل أنه يجب أن يفعل كل ما يفعل لأجل غاية مقصودة صحيحة، فكيف بالجماد الذي لا يسمع ولا يبصر وله القابلية للانقياد والتوجيه، فكيف يكون له غاية ومقصد! والعبادة هي غاية التعظيم فلا تستحق إلا لمن له غاية الإنعام[3]!

---

(1) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٦٢، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٦، ص١٢٤، والرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٢٢، ص١٠٤، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٤، ص٣٦٤، والقاسمي، **محاسن التأويل**، ج١١، ص٤٢٠٢، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج١٣، ص١٣٩.

(2) ابن القيم: **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، ص٢٩٩.

(3) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٢، ج٦، ص٢٨، والطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٤٢١، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٥، ص٢٦٧، والشربيني: **تفسير الشربيني**، ج٢، ص٤٧٣، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٤، ص٢٩٣، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج١١، ص٤١٤٥، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج١٢، ص٥٦١-٥٦٢.

" فدل على أن السميع البصير الغني أكمل، وأن المعبود يجب أن يكون كذلك، ومثل هذا في القرآن متعدد من وصف الأصنام بسلب صفات الكمال .... وأما رب الخلق فهو أكمل من كل موجود فهو أحق بصفات الكمال، .... ولهذا كانت القرامطة الباطنية من أعظم الناس شركاً وعبادة لغير الله، إذ كانوا لا يعتقدون في إلههم أنه يسمع أو يبصر أو يغني عنهم شيئاً، والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال، بل لذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون سواه[١]".

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- الله تعالى قادر على نفع عابديه ودفع الضر عنهم.
- القادر على نفع عابديه ودفع الضر عنهم مستحق للعبودية.
- إذن الله تعالى المستحق للعبودية.

٢.٤.٢ المطلب الثاني: أدلة التنزيه عن العيب والنقص المضاد للكمال

مع بيان وظهور أن كمال الله تعالى يستلزم نفي النقيض إلا أن الآيات القرآنية جاءت تؤكد على تنزيه الله تعالى من دعاوى أهل الكتاب والمشركين، وعادة ما يكون النفي مجملاً[٢]، وذلك لأنه تعالى ثبت له الكمال المطلق، وثبت نفي المشاركة في الكمال كما تبين سابقاً، وثبوت الكمال

---

[١] ابن تيمية: **مجموعة الرسائل الكبرى**، ج٥، ص٤٨-٤٩.

[٢] الآيات الواردة في القرآن الكريم من إثبات الكمال لله سبحانه وتعالى على سبيل التفصيل ونفي النقائص والعيوب على سبيل الإجمال، فقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ هذا نفي عام مجمل، وقد يكون النفي مفصلاً لحكمة، والتفصيل كنفي الولد عن الله تعالى وتكذيب ما ادعاه المبطلون، أو لدفع توهم في نقص صفة كما قال صلى الله عليه وسلم: " أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهو معكُمْ"، أخرجه البخاري، في **الجامع الصحيح**، كتاب الدعوات، باب: غزوة خيبر، ص٥٧٤، رقم(٤٢٠٥)، ينظر: ابن تيمية: **التدمرية**، ص٥.

يقتضي وحدانيته تعالى في الكمال، ومعنى تنزيه الله تبرئته من كل سوء[١] ونفي كل ما ثبت كمال ضده، فكما أثبت تعالى لنفسه القدرة، نفى التعب والعجز.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ (سورة ق)، جاءت هذه الآية الكريمة بعد قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾، مقصد سورة (ق)-وهي مكية- إثبات القدرة الإلهية، وعرضت الأدلة والحجج على قدرة الله تعالى على معاقبة الظالمين وبعثهم للحساب والجزاء، ونزهته تعالى عن التعب والعجز[٢].

بيّن تعالى في "سورة ق" كثرة الأمم التي هلكت لتكذيبها وتمردها على أمر الله ومحاربة رسله، وقد كانوا أشد قوة وبطشاً من قريش، فلو طافوا وتوغّلوا في البلاد، وتفكروا في أحوال العباد، لوجدوا أنه لا معدل ولا مفر من الموت، والكل صائر إلى الله، ولما دل تعالى على تمام علمه وشمول قدرته[٣]، ذكر بما هو أكبر من خلق الإنسان وأكثر تنبيهاً لمنكري البعث، قال تعالى:

---

(١) ينظر: المناوي: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص١١٠.

(٢) ينظر: ابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٦، ص٨٢، وابن القيم: **بدائع الفوائد**، ج٣، ص٦٩٣، والفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، عبدالعليم الطحاوي، (مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط٣، ض١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ج٧، ص٢٦٩، والبقاعي: برهان الدين أبو الحسن: **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، قدم له وحققه وعلق عليه: عبدالسميع محمد أحمد حسنين، (الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٧٨م)، ج٣، ص١٤، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٣٥٦، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، مجلد١٠، ج٢٦، ص٢٧٣.

(٣) في مثل هذه الآية -عقوبة المكذبين- يرى ابن القيم أنه من قياس الأولى، ويسميه قياس العلة، "والمقصود أنه سبحانه ألحقهم بهم في الوعيد، سوّى بينهم فيه كما تساووا في الأعمال، وكونهم كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فرق غير مؤثر، فعلق الحكم بالوصف الجامع المؤثر، وألغى الوصف الفارق، فهذه العلة المؤثرة والوصف الجامع"، ينظر: ابن القيم: **أعلام الموقعين**، ج١، ص١٩٢، وهذا -كما مر في البحث- هو إثبات كمال الله تعالى وقدرته.

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا)، افتتحها بنون العظمة لبيان أن عظمة الله تعالى لا يقدر قدرها ولا يطاق حصرها، فالسماوات والأرض على ما هما فيه من عظمة الخلق وكثرة المنافع خلقهما في ستة أيام ولو شاء تعالى لقال كن فكان، ولأجل عظمته سبحانه وقدرته المطلقة، قال تعالى: (وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ)، أي: إعياء وتعب، فلو كان ذلك لاقتضى فساداً في الخلق وليس الأمر كذلك، وكله محسوس مشاهد للجميع، فنفي اللغوب والإعياء اثبات لكمال القدرة ونهاية القوة[١].

ويجب التنبيه أن " **العدم المحض الذي لا يتضمن ثبوتاً، لا مدح فيه ولا كمال، فلا يمدح الرب نفسه به، بل لا يصف به نفسه، وإنما يصفها بالنفي المتضمن معنى ثبوتياً، كقوله تعالى:**

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴿٢٥٥﴾﴾[٢] ".

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- قد يكون إذا كان الإله الحق كان منزهاً عن كل عيب.
- ولا أحد من الآلهة الباطلة بمنزه عن كل عيب.
- فقد لا يكون إذا كان الإله الحق من الآلهة الباطلة

وجاءت الآية الكريمة تنفي عن الله عز وجل النقص من كل الوجوه، فهو سبحانه له الكمال المطلق.

وكذلك جاءت الآيات تنفي النظير والشبيه لله تعالى وهي حجة عقلية شرعية، وتبين في البحث أنه يستحيل أن يكون للمثل الأعلى شبيه أو نظير.

---

[١] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج١٠، ص٣٤٥-٣٤٦، والبغوي: **معالم التنزيل**، ص١٢٣٠، وابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٦، ص٩٧، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٣، ص٣٣١-٣٣٢، والبقاعي: **نظم الدرر**، ج٧، ص٢٦٥.

[٢] ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس: **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (د.م، د.ن، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ج٢، ص٣١٩.

قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ (سورة الشورى).

لما أثبت الله تعالى في الفِطر أنه لا إله غيره، لأنه لا خالق سواه، جاء في الآية بالدليل على ما جُبلت عليه الفِطر (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فهو سبحانه مبتدئهما بالخلق، مخرجهما من العدم، وكل ما اتخذتموه من دونه ولياً أو إلهاً فهو مما خلق في السماوات والأرض، وهذا لا يتمارى فيه أحد.

وبعد أن ذكر ما خلقه من العدم وبدون سبب، ذكر ما خلقه بسبب، فخلق حواء من ضلع آدم عليهما السلام، وفي تدبيره سبحانه هذا (التزويج) خرّج الخلق، وقال (فِيهِ) ليكون هذا التدبير كالمنبع لهذا التكثير، وكذلك جعل من الأنعام أزواجاً.

ثم أثبت صفتي السمع والبصر كما يليق بجلاله بعد نفي المثيل، لأن المراد إثبات الصفات مع نفي مماثلتها لصفات المخلوقين.

ولو لم يطلع العباد على صفات ربهم- مع نفي التمثيل والتشبيه- لما وصلوا لمعرفة الربوبية، والتي هي من أنفع الأشياء لتهذيب النفوس وتقويمها، وكان من حكمته تعالى أنه اختار الصفات مما يعرفه البشر ويتمدحون فيها، بخلاف التي لا مدخل للعقول البشرية إليها.

وأثبتت الآية أن من كانت له الصفات العليا والمثل الأعلى لا يمكن أن يكون له شبيه، وهذا هو أصل التوحيد المطلوب[1].

---

[1] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٩، ص٨٣٩-٨٤٠، والرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٢٧، ص١٥٠، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٣، ج٨، ص٢٥٠، والبقاعي: **نظم الدرر**، ج٦، ص٦٠٥-٦٠٦، والدهلوي: **الفوز الكبير في أصول التفسير**، ص٤٣-٤٤، والطباطبائي: **الميزان في التفسير**، ج١٨، ص٢٥-٢٧، والزحيلي، **التفسير المنير**، المجلد١١، ج٢٥، ص٣٤، ودراز: **النبأ العظيم**، ص١٢٤-١٢٥، والفوزان: صالح بن فوزان بن عبد الله، **عقيدة التوحيد**، (الرياض، دار العاصمة، ط١٤٢٠،١هـ-١٩٩٩م)، ص٨٦.

يقول الدهلوي: " **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ترياقاً للداء العضال من الجهل المركب، ومنع إثبات الصفات البشرية التي تثير الأوهام إلى العقائد الباطلة، كإثبات الولد والبكاء والجزع له تعالى شأنه**[١]".

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- كلما كانت الآلهة باطلة، فهي ناقصة وعاجزة.
- ولا أحد من الآلهة الناقصة أو العاجزة مستحقة للعبادة.
- فليس البتة كلما كانت الآلهة باطلة، مستحقة للعبادة.

---

[١] الدهلوي: **الفوز الكبير**، ص٤٤.

المبحث الخامس: الحجة البرهانية في التكاليف الشرعية

تمتاز الشريعة الإسلامية بأنها ربانية من عند الله تعالى، فهي شريعة مرتبطة بالعقيدة ممتزجة بها، وهي مباركة معصومة تكفل الله تعالى بحفظها، عالمية تشمل كل مناحي الحياة والبشرية، مرنة مناسبة لكل عصر وزمان، تمتاز باليسر ورفع الحرج، شريعة العدل تراعي مصالح العباد الضرورية والحاجية والتحسينية، توازن بين مصلحة الفرد والمجتمع، وتمتاز بالتوسط والاعتدال، فضلاً عن أنها ممتزجة بالأخلاق[1]، "**فالغاية التي ترمي إليها رسالة الإسلام، تزكية الأنفس وتطهيرها، عن طريق المعرفة بالله وعبادته، وتدعيم الروابط الإنسانية، وإقامتها على أساس من الحب والرحمة والإخاء، والمساواة، والعدل، وبذلك يسعد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾** (سورة الجمعة)[2]".

وسيعرض هذا المبحث الحجج البرهانية في التكاليف الشرعية، وأنها تتفق ومقتضى الطبع، ولا مشقة فيها ولا حرج.

---

(1) ينظر: الأشقر: عمر سليمان: **خصائص الشريعة الإسلامية**، (الكويت، مكتبة الفلاح، ط١، ١٩٨٢م). ملخص الكتاب.

(2) سابق: السيد: **فقه السنة**، (القاهرة، الفتح للإعلام العربي، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، ج١، ص١٠.

٢.٥.١ المطلب الأول: تعريف التكاليف الشرعية

- التكليف لغة:

"**(كلف) الكاف واللام والفاء أصل صحيح يدل على إبلاغ بالشيء وتعلق به**[(١)]"، وتكلف الشيء هو ما يفعله الإنسان مع مشقة فيه، وكلفه تكليفاً، أي أمره بما فيه مشقة، وتكلف الشيء: تجشمه[(٢)].

- الشرع: لغة:

(شرع): الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه، ومن ذلك الشريعة، وهي مورد الشارب، والشريعة ما شرع الله لعباده في دينه، والشرع: النهج الواضح[(٣)].

- التكاليف الشرعية: اصطلاحاً

إلزام ما فيه كلفة على المخاطب، من الشارع، وجعله شرعة ومنهجاً [(٤)].

٢.٥.٢ المطلب الثاني: الحجة البرهانية في التكاليف الشرعية

بيّن تعالى في عدد من الآيات أن التكاليف الشرعية فيها من اليسر والسهولة ما يطيقه الناس، وفيها أسباب السعادة التي تتطلع إليها المجتمعات في الحياة الدنيا، وفيها الفوز والنجاة في الآخرة.

---

(١) ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، ج٥، ص١٣٦.

(٢) ينظر: الأصفهاني: **المفردات**، ص٤٤١، مادة (كلف)، والجوهري: **معجم الصحاح**، ص٩٢١.

(٣) ينظر: الأصفهاني: **المرجع السابق**، ص٢٦١، مادة (شرع)، وابن فارس: **المرجع السابق**، ج٣، ص٢٦٢، والجوهري: **المرجع السابق**: ص٥٤٣.

(٤) ينظر: الجرجاني: **معجم التعريفات**، ص٥٩، ١٠٩، والمناوي: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص١٠٨.

قال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ (سورة الحج).

بيّن تعالى في هذه الآية ما فضل به أمة محمد صلى الله عليه وسلم من رفع الحرج والضيق في التكليف، فهذه الشريعة جاءت بالحنيفية السمحاء المبنية على التخفيف والتيسير، ملحوظ فيها تلبية الفطرة وإطلاق الطاقة البشرية في اتجاه البناء والاستعلاء، فهي في غاية اليسر والسهولة لمن استقام عليها وسار على نهجها.

وقوله تعالى: (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ) تفريع على جملة (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) وما بعدها، أي: فاشكروا الله بالدوام على الصلاة وإيتاء الزكاة والاعتصام بالله، اجعلوا الله ملجأكم وملاذكم، فهو سبحانه الناصر والمعين[1].

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة القاعدة الفقهية: " المشقة تجلب التيسير" وما يتفرع عنها: " إذا ضاق الأمر اتسع" وغيرها من القواعد التي تُستخلص من سماحة الدين ويسر تكاليفه[2].

---

[1] ينظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص١٠٩، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٢، ج٦، ص٢٤٩، وبن جزي: **التسهيل في علوم التنزيل**، ج٢، ص٦٥، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٦٨٥، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٤٤٦، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٧، ج١٧، ص٣٥٠-٣٥١، والشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج٥، ص٤٦٨، وعباس: فضل: **تفسير القرآن المجيد**، ج٣، ص١٥١٥.

[2] ينظر: الندوي: علي أحمد **القواعد الفقهية**، قدم لها: مصطفى الزرقا، (دمشق، دار القلم، ط٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، ص٣٠٢.

يقول الشاطبي: "وقد سمى هذا الدين "**الحنيفية السمحة" لما فيها من التسهيل والتيسير**[1]". وهكذا فإن الآيات القرآنية التي تغطي علاقة الإنسان مع الله ومع نفسه ومع الناس ومع ما حوله من مخلوقات الله تعالى هي من السهولة واليسر بمكان، فلنعتبر[2].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- إن كنتم تريدون اليسر والسهولة والنفع فالتزموا شريعة الله.
- ولكنكم تريدون اليسر والسهولة والنفع[3].
- إذن فلا بد لكم أن تلتزموا شريعة الله.

وتكون أيضاً في بيان أن من التزم شرع الله فلا يضره عمله:

- لكل عمل غاية ونتيجة.
- ودائماً إما أن تكون النتيجة في نفع العامل أو ضره.
- فدائماً إما أن يكون العمل نافعاً أو ضاراً.

ثم نفرع منها:

- كل عامل بشرع الله آخذ نصيبه من التقوى.
- ولا أحد من أهل التقوى يضره عمله.
- فلا أحد من العاملين بشرع الله يضره عمله.

---

(1) الشاطبي: **الموافقات**، ج1، ص521.

(2) " التعاليم الدينية للقرآن والمصالح الواقعية في نفس الأمر" الفلسفة والقياس، ينظر: باقر: محمد: **منطق الخطاب القرآني دراسات في لغة القرآن**، ترجمة رضا شمس الدين، (بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2016م)، ص297-305.

(3) وهذا مشاهد محسوس من الواقع الخارجي، فالإنسان يبحث عن اليسر وما فيه نفعه، وعلية اليسر والنفع هو التزام شرع الله.

وسيعرض المبحث أربعة أمثلة في بيان بعض التكاليف الشرعية في القرآن، واستخلاص الحجة البرهانية.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ (سورة الأحزاب).

هذه الآية تسمى "آية الحجاب" أمر الله تعالى نبيه بأن يأمر النساء عموماً بالحجاب وأن يبدأ بنسائه وبناته لأنهن أهل بيته وآكد من غيرهن وهن الأكمل من النساء، وقوله: (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ) وهي الثياب من ملحفة وخمار ونحوه يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن وينسدل سائره على الكتف والظهر، والمقصود من الحجاب والغطاء كما قال تعالى: (ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ)، أي: أجدر أن يعرفن أنهن حرائر فلا يُتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن، وفي ذلك حفظ لهن من الأذى القولي والفعلي الذي يطال أهلهن وذويهن كما يطالهن، وقد كانت الحرة تلبس لباس الأمة فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن حفاظاً عليهن من الأذى، (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) غفوراً لهن لما سلف منهن من تفريط، رحيماً بهن إذ يراعي مصالحهن وأدق جزئياتها[(١)].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- كلما كانت المرأة ملتزمة حجابها كانت حافظة لكرامتها.
- كلما كانت المرأة حافظة لكرامتها كلما حفظت أهلها من الأذى.
- إذن فكلما كانت المرأة ملتزمة حجابها كانت حافظة أهلها من الأذى.

---

(١) ينظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، ص٢٥، ص٢٣١.، والنسفي: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ص٤٧٧، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٥، ص٤٠٧-٤١٠، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج١٣، ص٤٩٠٩-٤٩١٠، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٨٤٣، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٩، ج٢٢، ص١٠٦-١٠٧.

وهكذا يتبين أن التكاليف الشرعية إنما هي في صالح الأمة أفراداً وجماعات، وهي سهلة ميسرة لا مشقة فيها ولا حرج، وفيها الخير والفلاح.

يقول السعدي: " **الشارع لا يأمر إلا بما مصلحته خاصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة، وهذا شامل لجميع الشريعة، لا يشذ عنه شيء من أحكامها، لا فرق بين ما يتعلق بالأصول أو الفروع، وسواء تعلق بحقوق الله أو بحقوق العباد**(١)".

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ (سورة النساء).

جاءت سورة النساء بتوجيهات وتنظيمات اجتماعية، لترتقي بالمجتمع المسلم، وتحفظ كيانه، وتزيل رواسب الجاهلية، كما كان فيها التركيز على حقوق النساء والضعفاء، وهذه التنظيمات شأنها شأن الشعائر التعبدية، يلتزمها المجتمع المسلم من مقتضى الإيمان، والإقرار بألوهيته سبحانه وإنفراده بالتشريعات الإسلامية، فهو سبحانه العليم بخلقه وأحوالهم، وما فيه مصلحتهم ومنفعتهم.

وترتبط الآية الكريمة بما قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

(١) السعدي: **القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة**، اعتنى به: خالد المشيقح، (المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٢هـ)، ص٩.

فلما نهى تعالى في هذه الآيات كلاً من الرجال والنساء عن تمني ما فضل الله به بعضهم على بعض[1]، لئلا يكون السخط، وهو الغضب الشديد المستلزم للعقوبة، والحسد الذي فيه تمني زوال النعمة من المستحق لها، وقد يكون معه السعي لإزالتها، ويقتضي السخط على قدر الله، ثم بيّن تعالى أن لكل فريق حظاً من العمل الذي يلائمه، وأرشدهم إلى أن يسألوا الله تعالى من فضله، فلا يتكل على نفسه، ولا على الغير، وأن لكلٍ جزاء عمله بحسبه، فليهتم كل فريق بما كلفه به تعالى، وختمت الآية بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّـهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)، لبيان أن هذا التفضيل هو من الله تعالى، وتدبيره لأمور خلقه، وعن علم بأحوال عباده.

ثم جاء قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّـهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ..)، أصل تشريعي كلي، تتفرع عنه الأحكام التي في الآيات بعده، فهو كالمقدمة، فبيّنت هذه الآيات قوامة الرجل على المرأة، وأنه الحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجّت، وذلك عن علم منه تعالى بخصائص كل فريق منهم، فالرجال من شأنهم المعهود القيام على النساء بالرعاية والحماية والكفاية والولاية، ولما في ذلك من أثر التفاوت والاختلاف في أصل في الفطرة والاستعداد، وأعطاهم ما لم يعط النساء من الحول والقوة، فكان لذلك التفاوت في التكايف والأحكام.

فالقوامة: من قوَم، فهو قائم، وجمعه قيام، وأقامه غيرُه، والقيام على أضرب، قيام بالشخص إما بتسخير أو اختيار، وقيام للشيء، هو المراعاة للشيء والحفظ له، ومن القوام الذي هو بالاختيار قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ).

---

[1] من الملاحظ اليوم أن مرض العصر، هو مطالبة النساء بما خص الله به الرجال.

قوّام صيغة مبالغة من القيام على الأمر بمعنى حفظه ورعايته، والاستبداد في النظر فيه، فالرجل قائم بالمصالح والتدبير والتأديب(١)، وعليه كامل المسؤولية في الحفظ والرعاية والصيانة، وقيام الاكتساب والإنتاج المالي، ولهذا جاءت الآية جملة اسمية، وذلك لأمرين: وهبي وكسبي، وهذه حجة برهانية على كون الرجال قوامين على النساء، فإن حاجة النساء إلى الرجال من هذه الناحية مستمرة، وإن كانت تقوى وتضعف، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ)، وجيء بصيغة الماضي للإشارة إلى أمر قد تقرر في المجتمعات الإنسانية منذ القدم، ومن بديع الإعجاز قوله تعالى: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)، الباء سببية، وجاءت (ما) في قالب صالح المصدرية والموصولية:

- فالمصدرية مشعرة بأن سببها تفضيل من الله وإنفاق.
- والموصولية مشعرة بأن سببها ما يعلمه الناس من فضل الرجال.

ومن إنفاقهم، وقوله تعالى: (بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) أفادت أن الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، بمنزلة الأعضاء من الجسد، فالرجل بمنزلة الرأس من الجسد، والمرأة بمنزلة البدن، ولا ينبغي أن يتكبر أحد الأعضاء على الرأس، ثم للتعبير حكمة أخرى، وهي الإشارة إلى أن هذا التفضيل هو للجنس، لا لجميع الأفراد، وعدل عن الضميرين، فلم يقل: بما فضلهم الله عليهن، للإبهام الذي في بعض، فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم، والدين والعمل، وكما قال الشاعر:

ولو كان النساء كما ذكرنا   لفضلت النساء على الرجال

(١) يتبين أن معنى قوامة لا يدخل فيه الجبروت والتحكم والتسلط، كما يعتقد البعض.

والضمير للرجال والنساء جميعا، يعني إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم – وهم الرجال – على بعض، –وهم النساء–، نافذي الأمر عليهن فيما جعل الله إليهم من أمورهم.

وقد ذكر المفسرون في فضل الرجال: العقل والحزم والزانة، والصبر والجلد الذي ليس للنساء، ومنهم الأنبياء، واختصاصهم بكثير من العبادات، كالإمامة الكبرى والصغرى، والجهاد، والأذان، والخطبة، والشهادة في مجامع القضايا، والولاية في النكاح والطلاق والرجعة، وعدد الأزواج، فالكامل في نفسه له حق الولاية، ولكون القوامين في معنى السادات وجبت عليهن طاعتهم.

ثم قال تعالى: (وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)، فخصهم الله بالنفقات على الزوجات، بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء، ولهذا سر قوله تعالى: (وَبِمَا أَنفَقُوا)، فحذف المفعول، ليدل على عموم النفقة، فلهم الفضل عليهن بنفقتهم وسعيهم.

وقوله تعالى: (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ)، فصّلت الآية حال النساء تحت قوامة الرجل ورياسته، فهن قسمان: قسم صالحات مطيعات حافظات للغيب، قائمات بما عليهن من حقوق، وأما القسم الثاني فهن النساء الناشزات المتمردات المترفعات على أزواجهن.

جاءت الآية بصيغة الخبر، والمقصود الأمر بطاعة الزوج والقيام بحقه، (فَالصَّالِحَاتُ): الفاء الفصيحة[١]، الصالحات في دينهن، المحسنات، العاملات بالخير، (قَانِتَاتٌ): لزوم الطاعة مع الخضوع، والمراد أنهن مطيعات لأزواجهن، قائمات بحقوقهم، والقنوت عبادة لله تعالى، وقدمه

---

[١] الفاء الفصيحة هي التي يُحذف فيها المعطوف عليه، مع كونه سبباً للمعطوف، من غير تقدير حرف الشرط، وقال الشيخ سعد الدين: إنها تفصح عن المحذوف، وتفيد بيان سببيته، كالتي تذكر بعد الأوامر والنواهي بياناً لسبب الطلب، لكن كمال حسنها وفصاحتها أن تكون مبنية على التقدير، منبئة عن المحذوف، الكفوي: **الكليات**، ص٦٧٦.

هنا وإن لم يكن من سياق الكلام، للدلالة على تلازم خوفهن الله وحفظ حق أزواجهن، (حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ): حافظات أزواجهن في غيبتهن، وعلق الغيب بالحفظ على سبيل المجاز العقلي، لأنه وقته، وخص حال الغيبة لأنه حال نسيان واستخفاف، وقد يظهر من الزوجة ما لا يرضي زوجها إن كانت غير صالحة، أما في حال الحضور فهي تخضع لأمره، أو تنشغل به، الباء في (بِمَا) للملابسة، أي: يحفظن أزواجهن حفظاً مطابقاً لأمر الله تعالى، من حفظ الفروج، والبيوت، والأموال، ورعاية الأبناء، والحفظ بما حفظ الله، هو طبيعة الصالحات، ومن مقتضى صلاحهن.

وفي (مَا) ثلاثة أوجه:

١. أنها مصدرية، والمعنى: بحفظ الله إياهن، أي: بتوفيقه لهن، أو بالوصية منه تعالى عليهن.
٢. أن تكون بمعنى (الذي)، والعائد محذوف، أي: بالذي حفظه الله لهن من مهور ازواجهن، والنفقة عليهن.
٣. أن تكون (ما) نكرة موصوفة، والعائد محذوف أيضاً، كما تقرر في الموصولة بمعنى (الذي).

والقسم الثاني من النساء (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ)، النشوز مشتق من النَّشْز، قال الأصمعي: النَّشْزُ، والنَّشَزُ، والوَشَزُ: ما ارتفع من الأرض، ونشوز المرأة استعصائها على زوجها، والنشوز يكون بين الزوجين، وهو كراهة كل واحد منها للآخر، فهو في معنى البعد والاضطراب.

فالإسلام لا ينتظر حتى يقع النشوز بالفعل، وتسقط مهابة القوامة، وينقسم المحضن الأسري إلى معسكرين، لأن العلاج حين انتهاء الأمر، قلَّ أن يجدي، فكان لا بد من المبادرة في علاج مبادىء النشوز قبل استحفاله، لأن مآله إلى فساد كيان الأسرة، وتشرد للناشئين فيها، وهو من الأحوال المضادة للصلاح، وهنا بدأت الآيات بعرض طرق العلاج، مراعية أهمية الكيان الأسري،

وما خص الله تعالى به النفوس البشرية، وتكريم الإنسان بشطريه، ومراعاة احتفاظ المرأة المسلمة بشخصيتها المدنية بكل حقوقها، والذي لا يعني أن تُسقط قوامة الزوج عليها، فكانت المبادرة بما هو أنسب وأنفع، فكان الإذن بالموعظة والهجر والضرب مرتباً، ورفقاً في إصلاحهن، وإدخالهن تحت الطاعة، فإن وقعت الطاعة عند إحداها، لم يتعد إلى سائرها.

قال تعالى: (فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ)، فمقصود الآية الترتيب، وهو الأصل، والمتبادر في العطف بالواو، فكان من أول واجبات القيّم ورب الأسرة الوعظ، والوعظ زجر مقترن بتخويف، وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، والخوف هنا على بابه، وحالة تحدث في القلب عند حدوث أمر مكروه، أو عند ظن حدوثه، وقيل المراد بالخوف هنا العلم واليقين، ودلالات النشوز تكون بالقول وبالفعل، كأن ترفع صوتها عليه، أو لا تخضع له إذا خاطبها، ولا تبادر إن طلبها، فعليكم أيها الأزواج أن تعظوهن إذا خفتم نشوزهن، وتذكروهن بما أوجبه الله عليهن من الطاعة، وحسن المعاشرة، والاعتراف بالدرجة التي له عليها، ورغبوهن ورهبوهن.

فإن أصرت على ذلك هجرها، والهجر: مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن، أو باللسان، أو بالقلب، وهو كناية عن عدم قربهن، وقيل: هو أن يوليها ظهره عند الاضجاع في الفراش، وقيل: هو كناية عن ترك جماعها، دون كلامهن ومؤاكلتهن، والمضجع هو موضع الإغراء والجاذبية، وتبلغ فيه المرأة الناشر المتعالية قمة سلطانها، فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء، فقد أسقط من يدها أمضى أسلحتها، فالمقصود منه علاج النشوز، لا إذلال الزوجة، فإن الزوج إن أعرض عن فراشها، وكانت محبة له، فذلك يشق عليها، فترجع للصلاح، وإن كانت مبغضة فيظهر النشوز منها.

وأما الهجر فشرطه أن لا يخرج إلى حد الإضرار، بما تجده المرأة من الكمد، وقد قدّر بعضهم أقصاه شهر.

فإن لم تنزع الزوجة بالهجران، كان الضرب، والضرب خطير، وتحديده عسير، ولكنه أُذن فيه في حالة ظهور الفساد، ولكن يجب تعيين حد في ذلك، لأنه مظنة تجاوز الحد لو أُطلق للأزواج أن يتولوه، وهم حينئذ يسفون غضبهم، ولذلك قيد الجمهور ذلك بالسلامة من الإضرار، وهو ضرب الأدب غير المبرح، وهو الذي لا يكسر عظماً، ولا يشين جارحة، فإن المقصود منه الإصلاح، لا غير.

ثم قال تعالى: (فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا)، هذا نهي عن ظلمهن بعد تقرير الفضل عليهن، والتمكين من أدبهن، فإن رجعن عن النشوز إلى الطاعة المعروفة، (فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا)، أي: لا تتعرضوا لهن بشيء مما يكرهن، لا بقول ولا بفعل، ولا تطلبوا طريقاً لإجراء تلك الزواجر عليهن، والسبيل: حقيقته الطريق الذي فيه سهولة، وأُطلق هنا مجازاً على التوسل والتسبب إلى أخذ الحق.

وختم تعالى الآية بقوله: (إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا)، فهو سبحانه له العلو المطلق، بجميع الوجوه والاعتبارات، الكبير الذي لا أكبر منه ولا أجل ولا أعظم، كبير الذات والصفات، وهو هنا تنويه وإشارة إلى الأزواج بخفض الجناح، ولين الجانب، فإن كان لكم قدرة عليهن، فتذكروا قدرة الله عليكم، فلا يستعلي أحد على امرأته، فالله بالمرصاد، وأنتم في قبضته، فاتقوا الله أن تظلموهن أو تبغوا عليهن سبيلاً.

يقول القرطبي " **وإذا ثبت هذا فاعلم أن الله عز وجل، لم يأمر في شيء من كتابه بالضرب صراحاً إلا هنا وفي الحدود العظام، فساوى معصيتهن بأزواجهن بمعصية الكبائر، وولى الأزواج**

دون الأئمة، وجعله لهم دون القضاة بغير شهود ولا بينات، ائتماناً من الله تعالى للأزواج على النساء[١]".

وهكذا يتبين عظمة التشريع القرآني في المحافظة على نواة المجتمع، وأصل تكوينه، الأسرة المسلمة، فكل من الزوجين مؤتمن على الأسرة، ويجب عليه أن يحافظ على بقاء المودة والألفة بين أفرادها، لما في ذلك من نفع إيجابي على المجتمع، وليحذر القضاة أن يتساهلوا في التفريق بين الأزواج، دون مراعاة لشرع الله وحكمته.

وتكون الحجة البرهانية في قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ)، وأن الله أعطى كلاً من الزوجين ما يناسب قدراته الجسمية والنفسية.

- كلُ من الزوجين يأخذ نصيبه مما قسم الله له.
- ولا أحد مما قسم الله له محروم من بناء الأسرة.
- فلا أحد من الزوجين محروم من بناء الأسرة.

وفي قوامة الزوج:

- كل رجل له قوامة في الأسرة
- وكل قوامة في الأسرة مقرونة بما خص الله من قدرة وهبية وكسبية.
- إذن: فكل رجل له قوامة في الأسرة خصه الله بقدرة وهبية وكسبية.

ويمكن أن تكون:

دائماً إما أن تكون القوامة في الأسرة للزوج أو الزوجة.

ولا زوجة تمتلك مقومات القوامة.

---

[١] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد١، ج٣، ص١٢٠.

فليس البتة إما أن تكون القوامة للزوج أو من يمتلك مقومات القوامة.

وتكون الحجة البرهانية في قوله تعالى: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا)

- كلما كانت الزوجة تقوم بمسؤوليتها الأسرية، كانت الأسرة مستقرة
- وكلما كانت الأسرة مستقرة، كلما كان المجتمع آمناً
- فكلما كانت الزوجة تقوم بمسؤوليتها الأسرية، كان المجتمع آمناً.

ويمكن أن تكون:

- كلما نشزت الزوجة كان الاضطراب في الأسرة
- وكلما كان الاضطراب في الأسرة، كان الاضطراب في المجتمع
- فكلما نشزت الزوجة، كان الاضطراب في المجتمع.
- وكلما كان الاضطراب في المجتمع، كان ضرورة علاجه.
- فكلما نشزت الزوجة، كانت ضرورة علاجها.

ثم ذكر تعالى حالاً ثالثة تؤثر على استقرار الأسرة، دون نشوز المرأة، وهي ما إذا كان النفور من الزوجين معاً، (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)، عطف الله تعالى هذه الآية على قوله: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ)، لأن هذه حالة أخرى تعرض بين الزوجين، وهي المباعدة والمخاصمة بين الزوجين، حتى يكون كل واحد منهما في شق، قال ابن عادل: "**لما ذكر الضرب، ذكر المحاكمة، لأن بها يتبين المظلوم من الظالم**[1]".

---

(1) ابن عادل: **اللباب في علوم القرآن**، ج٦، ص٣٦٦.

والشقاق: من شق: وهو الخرم الواقع في الشيء، والشقاق: المخالفة، وكونك في شق غير شق صاحبك، وأضاف الشقاق إلى (بَيْنِهِمَا) لإخراج لفظ (بين) عن الظرفية، إلى معنى البعد الذي يتباعده الشيئان، أي: شقاق تباعد، أي تجاف، وإما على وجه التوسع، فقوله تعالى (شِقَاقَ بَيْنِهِمَا) فيه تأويلان:

١. أن كل واحد منهما يفعل ما يشق على صاحبه.

٢. أن كل واحد مهما صار في شق بالعداوة والمباينة.

والخطاب لولاة الأمر وقضاتهم، إذا خافوا أن يقع الشقاق بين الزوجين، وقيل: بل عُلم وقوعه، وإنما الخوف في أنه هل يبقى ذلك الشقاق أم لا؟

وقوله تعالى:(فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا)، فإن خفتم أيها الحكام والقضاة شقاقاً بين الزوجين –وإن لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما–، فابعثوا من أهله رجلاً يصلح للحكومة، ومن أهلها كذلك، أي: رجلين مكلفين مسلمين عدلين عاقلين، يعرفان ما بين الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق، لأنه لا يصلح أن يكون حكماً إلا من اتصف بتلك الصفات، وكونهما من أهلهما، أدعى لمعرفة بواطن الأمر، أو إصلاح ذات البين، وهذا على وجه الاستحباب، وفي الآية دليل على وجوب بعث الحكمين عند نزاع الزوجين، النزاع المستمر الذي عبرت عنه الآية بالشقاق، ومن صريح الآية أن المبعوثان حكمان لا وكيلان، ومع هذا فلا يمنع أن يوكل الزوجان رجلين على النظر في شؤونهما.

لم يرض تعالى بحكم واحد بين الزوجين، إذا خيف الشقاق، لأنه قد يخفى أيهما الظالم، وليس بينهما بينة، فإن رأيا المصلحة أن يجمعا بين الزوجين جمعاً، وإن رأيا المصلحة أن يفرقا بينهما فرقا، إما بعوض تبذله المرأة، فتكون الفرقة خلعاً، إن كانت هي الظالمة، وإن كان الزوج هو الظالم، فرق بينهما بغير اختياره، وهذا ذهب إليه ابن تيمية.

وقوله تعالى: (إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) الظاهر أنه عائد إلى الحكمين، لأنهما المسوق لهما الكلام ، إذا نصحا وقصدا الخير ، بورك في وساطتهما، وإليه ذهب ابن عاشور وقال: لأن واجب الحكمين أن ينظرا نظراً منبعثاً عن نية الإصلاح، وقد وعدهما الله أن يوفق بينهما إذا نويا الإصلاح، وقال السعدي: يوفي بينهما بسبب الرأي الميمون، والكلام الجميل الذي يجذب القلوب ، ويؤلف بين القرينين، وقيل: على الزوجين، فإن أرادا إصلاحاً يوفق الله بينهما، وقيل: يعود (إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا) يعود على الحكمين، و(يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)، وذهب إليه ابن عطية، وفي هذا يتبين ضرورة أن يكون القصد هو مرضاة الله، واتباع أمره، فالله تعالى يعلم ظاهر الأمر وباطنه، ولذا قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)، فالله سبحانه عالماً بظواهر الأمور وبواطنها، عالم بالخفايا والأسرار، وما تخفيه الصدور، وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين، أن سلكوا غير طريق الحق، ومن علمه وفضله أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة، والشرائع التي لكم فيها خيري الدنيا والآخرة[1].

وتكون الحجة البرهانية:

---

[1] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٣، ص٧٩٥-٧٩٦، والأزهري: **تهذيب اللغة**، ج٤، ص٣٥٧٢(نشز)، والأصفهاني: **المفردات**، ص٢٣٣(خسر)، ص١٢٥(حسد)، ص٤١٦(قوم)، ص٤١٣(قنت)، ص٥٤٢(وعظ)، ص٥١٤، (هجر)، ص٢٢٩، ص٢٢٩، (سبل)، ص٢٦٧، (شقا) ، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٢، ص٥٣٧-٥٤٣، والزمخشري: **الكشاف**، المجلد١، ج١، ص٣٨٨-٣٩٠، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد١، ج٣، ص١١٦-١٢٣، وابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٢، ص٢٤١، وابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص١٨٨-١٨٩، وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**، ج٦، ص٣٥٩-٣٦٨، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، ج٢، ص١٧٣-١٧٤، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٢، ص٦٧-٦٩، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج٥، ص١٢١٨-١٢٢٥، ورضا: **المنار**، ج٥، ص٦٧-٧٨، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٢٠٤-٢٠٥، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج٢، ص٦٤٩-٦٥٤، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٢، ج٥، ص٣٧-٤٧، وحوى: **الأساس في التفسير**، ج١، ص٥١٧-٥٢٢، والصابوني: **روائع البيان تفسير آيات الأحكام**، (بيروت، مؤسسة المناهل، د.ط، د.ت)، ج١، ص٤٦٣-٤٧٧، وجماعة من علماء التفسير: **المختصر في تفسير القرآن**، ص٤٨.

- ليس البتة إذا كان الشقاق بين الزوجين فهو الطلاق.

- وكل شقاق يمكن إصلاحه أو التخفيف من ضرره.

- فليس البتة إذا كان الشقاق بين الزوجين فهو لا يمكن إصلاحه ولا تخفيفه.

ومع هذا فإن سورة النساء ما زالت تؤكد على أهمية وضرورة الإحسان إلى الزوجات، ويعدّ حق المرأة في المهر من الحقوق التي فرضها الله تعالى في بداية سورة النساء.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾﴾، وجاءت الآيات القرآنية لتغير ما كان في المجتمع الجاهلي من ظلم واستبداد من الرجل على حقوق المرأة المالية، فقد كانت المرأة محرومة من مهرها، حيث كان وليها يقبضه لنفسه، أو يستبد به الزوج ظلماً، فلا يعطيها حقها، وجاء الإسلام ليؤكد أحقيتها بالمهر، وأن يُعطى لها عن طيب نفس، وليس لأي من قرابتها حق منه، إلا برضا منها وطيب نفس.

وقوله تعالى: (وَآتُوا النِّسَاءَ) خطاب لعموم الأمة، على معنى تناوله لكل من له فيه من الأزواج وأولياء الأمور، ثم ولاة الأمر الذين يرجع إليهم في الضرب على أيدي الظالمين، وإعطاء كل ذي حق حقه، والمقصود بالخطاب ابتداء هو الأزواج، وقوله تعالى: (صَدُقَاتِهِنَّ) مشتق من الصدق، لأنها عطية يسبقها الوعد بها، فيصدقه المعطي، وأضاف الصداق إليهن، فهو ملكهن، وقد سماه الله تعالى: (نِحْلَةً)، والنحلة أصلها من العطاء، هو عطية على سبيل التبرع بلا عوض، وهو أخص من الهبة، فهو حق خالص للمرأة، لا تبرع أو تفضل من الزوج، -والهبة: من هبوب الريح، وتطلق الهبة ويراد بها التبرع والتفضل على الغير، وهو عقد تمليك الإنسان ماله لغيره في الحياة، بلا عوض-، وسميت الصدقات نحلة، إبعاداً للصدقات عن أنواع الأعواض، وأن يقدمه الزوج عن طيب نفس، وارتياح خاطر، فالقصد من النكاح إقامة حياة أسرية قائمة على الود والحب والتفاهم والتعاون، وتلك أغلى من أن يكون لها عوض مالي، ولكن الله جعله هدية واجبة على

الزوج إكراماً لزوجته، وقوله تعالى: (فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا)، فإن سمحن لكم عن طيب نفس واختيار، فالعلاقات الزوجية يجب أن تقوم على الرضى الكامل، والود الذي لا يبقى معه حرج يؤثر في القلوب، فلا حرج عليكم في ذلك، ومن مفهوم المخالفة[1]، فلو أسقطت شيئاً منه خجلاً أو حياء، فلا يحل قبوله، وفي ذلك تأكيد على أهلية المرأة ورشدها، وأن الله تعالى أعطاها أهلية التملك المالي، والتصرف فيه، وفي هذا دلالة على تكريم الإسلام للمرأة، وأن لها دورها في الأسرة والمجتمع، وقوله (فَكُلُوهُ) عبر بالأكل لأنه معظم وجوه التصرفات المالية، (هَنِيئًا مَّرِيئًا) ، والهنء ما لم يأت بمشقة وعناء، والمريء: المحمود العاقبة، التام الهضم، الذي لا يضر ولا يؤذي [2].

وتكون الحجة البرهانية على أهلية المرأة ورشدها:

- كل امرأة يجوز لها تملك المال والتصرف فيه.
- ولا فاقد الأهلية يجوز له تملك المال والتصرف فيه.
- إذن فلا امرأة فاقدة الأهلية[3].

---

(1) مفهوم المخالفة: " أن يخص المتكلم بالذكر وصفاً من أوصاف المحكوم فيه، أو حالاً من أحواله، فيستدل على انتفاء الحكم عما عداه"، الأشقر: محمد سليمان: **الواضح في أصول الفقه**، (عمان، دار النفائس، ط٧، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م)، ص٢٣٢.

(2) ينظر: الأزهري: **تهذيب اللغة**، ج٤، ص٣٧٠١، (هب، هبب)، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد١، ج٣، ص١٩-٢٠، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١٨٩-١٩٠، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج١، ص٥٨٥، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٢، ج٤.، ص٢٢٩-٢٣١، وابن عثيمين: **الكنز الثمين**، ج٤، ص٢٢-٢٦، وسابق: **فقه السنة**، ج٤، ص٣٤٢.

(3) المرأة كالرجل في ذلك، وفاقد الأهلية لأسباب يكون في كليهما.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴿١٩﴾ (سورة النساء)

روى البخاري بسنده عن ابن عباس في سبب نزول الآية قال: " كانوا إذا مات الرجل، كان أولياؤه أحق بإمرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت الآية[1]"، وهكذا يتبين أن الآية الكريمة جاءت في تنظيم الأسرة، وإقامتها على أساس ثابت من الفطرة، والرضى والود، وتوفير الحماية من تأثير العادات والتقاليد الظالمة، التي تسلب الحياة الزوجية حقيقتها وجوهرها كما أراد الله تعالى، والذي فيه صلاح الأسرة والمجتمع.

فقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا) استئناف تشريع في أحكام النساء التي كان سياق السورة لبيانها، صدّر الله تعالى الخطاب بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ليعم جميع الأمة، لأهميته والعناية به، وخاطبهم بمقتضى الإيمان وموجباته، وفي قوله تعالى: (لَا يَحِلُّ) يقتضي التحريم، والمحلل والمحرم هو الله عز وجل، فقد حرم الله تعالى وراثة المرأة كما تورث السلعة والبهيمة، فبأي حق تزعمون أنكم أحق بهن من غيركم، وتحبسوهن لأنفسكم! والإرث حقيقته مصير الكسب إلى شخص عقب شخص آخر، ونزّل النساء منزلة الأموال الموروثة، لإفادة تبشيع الحالة التي كانوا عليها في الجاهلية، وقوله تعالى: (كَرْهًا) حال النساء، أي: كارهات غير راضيات، وهذا لا يدل على الجواز عند عدمه، لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ (سورة الإسراء)، وهذا القيد لبيان الواقع، فلا يدل على أنهن لو رضين أن يخلف الرجال أزواجهن،

---

[1] أخرجه البخاري: في **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، سورة النساء، باب ٦/٦، ص٦٢٧، رقم (٤٥٧٩).

فإن ذلك جائز، لأن ذلك لا يجوز إلا بعقد نكاح شرعي، وقوله تعالى: (وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ)، عطف النهي على العضل على النهي عن إرث النساء كرهاً، لمناسبة التماثل في الإكراه، والعضل من عضلت الدجاجة بيضها، والمرأة بولدها، إذا تعسر خروجهما، تشبيهاً بها، والعضل هنا الحبس والتضييق، والمنع من الفرج، والخطاب للأزواج وللأولياء، أي: فلا تحبسوهن وتضيقوا عليهن، ليفتدين منكم بأموالهن، واختار ابن عطية أن الخطاب للأزواج، فهو حبس الزوجة ضراراً للفدية، ودليله قوله تعالى: (لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ).

وقوله تعالى: (لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا):

- إن كان النهي عنه هو المعنى المتبادر من فعل (ترثوا)، وهو أخذ مال المرأة كرهاً، فعطف (وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) إن كان رغبة الأزواج بقاء المرأة عنده حتى تموت، فيرث منها مالها، أو ببعض ما آتاها، فإطلاق العضل على هذا الإمساك مجاز، باعتبار المشابهة.
- وإن كان المنهي عنه في قوله (لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ) المعنى المجازي لترثوا، وهو كون المرأة ميراثاً، وهو ما كان يفعله أهل الجاهلية في معاملة أزواج أقاربهم، وهو الأظهر، فعطف (وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) عطف حكم آخر من أحوال المعاملة، وهو المنهي عن أن يعضل الولي المرأة من أن تتزوج، لتبقى عنده، فإذا ماتت ورثها، وهذا الذي ذهب إليه ابن عاشور.

وقوله تعالى: (إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ)، ليس إتيانهن الفاحشة مبينة بعضاً مما قبل الاستثناء، لا من العضل، ولا من الإذهاب ببعض المهر، وهو على وجهين:

- فيحتمل أن يكون الاستثناء متصلاً، أي: إلا حال الإتيان بفاحشة، فيجوز إذهابكم ببعض ما آتيتموهن.
- ويحتمل أن يكون استثناء منقطعاً، في معنى الاستدراك، أي: لكن إتيانهن بفاحشة يحل لكم أن تذهبوا ببعض ما آتيتموهن، فيكون العضل من باب العدل.

والفاحشة كالزنا والكلام الفاحش، وأذيتها لزوجها، والنشوز، وسوء العشرة، وعدم التعفف، والمبينة: الواضحة والظاهرة.

وقوله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) تعقيب النهي عن إكراه النساء والإضرار بهن، بالأمر بحسن المعاشرة معهن، فحسن المعاشرة جامع لنفي الإضرار والإكراه، وفيه زيادة إحسان الصحبة، والمعاشرة: قيل: من عدد عشرة، وفيها معنى المقاسمة، وهو اختيار ابن عطية، واختار ابن عاشور أنها من العشيرة، (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)، أي: خالقوهن وصاحبوهن بالمعروف، وبما أمر الله، وذلك إمساكهن بأداء حقوقهن التي فرض الله عليكم إليهن، أو تسريح بإحسان، وتشمل المعاشرة بالمعروف القولية والفعلية، ومنها كف الأذى، وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، والمبيت، والنفقة، وأن يتصنع لها كما تتصنع له، ويغفر سيئتها لحسنتها، ويتغاضى عن هفواتها وزلاتها.

وقوله تعالى: (فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)، أي: لا تفارقوهن لكراهة النفس، لأن من طبيعة الإنسان إذا كره شيئاً لا ينقاد له، ولا يفرح به، فإن النفس قد تكره ما هو أصلح ديناً وأكثر خيراً، وقد تحب ما هو بخلافه، وليكن نظركم إلى ما فيه صلاح دينكم وآخرتكم، لما فيه من الامتثال لأمر الله وطاعته، والمعنى: فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن، فعسى أن تكرهوا شيئاً ويكون في خيركم وفلاحكم، وربما الكراهة تزول، وتخلفها المحبة كما هو واقع ومُشاهد، وربما رُزق منها بولد صالح، فكان خيراً له في الدنيا والآخرة، ففي الآية ندب إلى إمساك المرأة مع الكراهة، ولم يقل تعالى: وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، لأن المقام هنا لبيان حكم من حدث بينه وبين زوجه ما كرهها فيه، ورام فراقها، وليس له مع ذلك ميل إلى غيرها، فكان حاله مقتضياً بيان ما في كثير من المكروهات من الخيرات، ولا يناسب أن يبين أن في بعض

الأمور المحبوبة شر، لباب التعلل بأخذ بما يميل إليه الهوى، وقد أخذ بعض العلماء من هذه الآية دليل على كراهية الطلاق مع الإباحة.

ومن فصاحة القرآن العموم الذي في لفظة " شَيء"، لأن هذا يطرد في كل ما يكرهه المرء، فيحسن له الصبر، فإن عاقبته إلى خير، إن قصد وجه الله[1].

وتكون الحجة البرهانية في تحريم التضييق على الزوجة لتتنازل عن حقها:

- من الأزواج من يعضل المرأة رغبة في إضرارها وأخذ مالها.
- كل من يعضل المرأة رغبة في إضرارها وأخذ مالها فقد ارتكب ما نهى الله عنه.
- إذن فمن الأزواج من يرتكب ما نهى الله عنه.

وتكون الحجة البرهانية في معاشرة النساء بالمعروف حتى لو كره منها شيئاً:

- ربما إذا صبر الزوج على زوجته ابتغاء مرضاة الله عوضه الله خيراً.
- ولا أحد ممن يعوضه خيراً يحس بالغبن.
- إذن: فليس كلما صبر الزوج على زوجته ابتغاء مرضاة الله يحس بالغبن.

فالمعاشرة بالمعروف أصل من دوام الحياة الزوجية، وعلى الزوج مراعاة هذا الأمر.

---

[1] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٣، ص٧-٩، والأصفهاني: **المفردات**، ص٣٤١، (عضل)، ص٣٣٨، (عشر)، والبغوي: **معالم التنزيل**، ص٢٨٤-٢٨٥، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وسرارا التأويل**، ج١، ص٢٩٢، ٢٣٠، وابن عطية: **المحرر الوجيز**: ج٢، ص٤٩٨-٥٠٢، والقرطبي: **الجامع لأحكان القرآن**، المجلد١، ج٣، ص٦٦-٦٩، وابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص١٨٠-١٨١، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٢، ص٣٧-٣٩، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١١٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٦٠٥، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٢، ج٤، ص٢٨٢-٢٨٨، وحوى: **الأساس في التفسير**، ج١، ص٥٠٥-٥٠٦، وابن عثيمين: **الكنز الثمين**، ج٣، ص١٠٥-١٠٨.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴿١١٨﴾ (سورة آل عمران).

في الآيات السابقة لهذه الآية (١١٧-١٠٠) جاء تحريم الله على المؤمنين طاعة أهل الكتاب، ونبذ التفرق والاختلاف، وأمرهم بالاعتصام بالقرآن، والدعوة إلى الكتاب والسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن خيرية هذه الأمة بسبب اجتماعها على دينها، والدعوة للخير والمعروف، والتحذير من مغبة المعاصي والسيئات، ووعد الله عباده الصادقين بالنصر والتمكين على من قاتلهم من أهل الكتاب، وأثنى تعالى على من يؤمن أهل الكتاب، ووعدهم بالجزاء الحسن، وجاء المقطع الي يليه مبتدئاً بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ....)، نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ الكافرين واليهود أولياء، وأخلاء يأنسون بهم في الباطن من أمورهم، ويستشرونهم ويفاوضونهم بالآراء، وكان الخطاب في الآية من الأهمية بمكان، ويتبين هذا من خلال:

أولاً: تصديره بالنداء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)، يدل على أهميته، وما فيه من تنبيه للأسماع، فهو إما خير يُؤمرون به، أو نهي ينهون عنه، وفيه تكريم للمؤمنين إذا يخاطبهم رب العزة مباشرة.

ثانياً: توجيه إلى المؤمنين له ثلاث فوائد:

- الإغراء على الامتثال.
- بيان أن الامتثال من مقتضيات الإيمان، فهو تحريك للإيمان في القلب.
- أن الإخلال في الالتزام يستلزم نقص في الإيمان

وفي الآية إعجاز نفسي عظيم، لأنها تصور للمؤمنين نفسية أعدائهم وخفاياهم، والتحذير من الاغترار بهم، والنهي عن الإلقاء إليهم بالمودة، وهؤلاء هم المنافقون، لما حكاه رب العزة عنهم،

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) (سورة البقرة)، وأكثرهم من اليهود، عن ابن أبي حاتم: " **عن قتادة قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ)، قال: نهى الله تعالى المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين، وأن يؤاخوهم، وأن يتولوهم دون المؤمنين**[1]".

والبِطانة: من بطن: وأصله الجارحة، ويقال لكل غامض بطن، والبطانة في الأصل داخل الثوب، والبطانة الثوب الذي يجعل تحت ثوب آخر، ثم أُطلقت البطانة على صديق الرجل وخصيصه، والبطانة مصدر يسمى به الواحد والجمع، فقد نهت الآية عن اتخاذ البطانة الدخلاء الذين يستبطنون ويتبسط إليه، من الكفرة من أهل الكتاب من اليهود، والنهي أعم من ذلك، فهو منصب على عدم جواز اتخاذ بطانة من دون المؤمنين، وذلك في قوله تعالى: (مِّن دُونِكُمْ)، والنهي عن اتخاذهم بطانة، يستلزم إبعادهم والحذر منهم، وأن لا نركن إليهم.

يجوز أن تكون (من) زائدة، و(دون) اسم مكان بمعنى حولكم، وهو الاحتمال الأظهر.

ويجوز أن تكون (من) للتبعيض، و(دون) بمعنى غير أهل ملتكم.

وقد علم المخاطبون أن التحذير ممن يموهون إلى المؤمنين بأنهم منهم، ويخفون في سرائرهم ما ينبغي التحذير منهم.

ثم وضح تعالى لعباده المؤمنين الأمور الموجبة للبراءة من اتخاذهم بطانة، وذلك بأنهم (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا)، يألونكم: من ألوت في الأمر: قصرت فيه، وفعله (ألا)، (يألو)، ويُعدى إلى ما يدل على الشر، والخبال: الفساد الذي يلحق الحيوان، فيورثه اضطراباً، وقد يكون في الأفعال والأبدان والعقول، فهم لا يقصرون في جلب الخبال، وجملة: (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) صفة لبطانة على

---

[1] ابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**، ج٣، ص٧٤٣.

الوجه الأول، وهذا الوصف ليس من الأوصاف الظاهرة، لكنه يظهر بظهور آثاره على المتوسمين، فهم لا يقصرون في فساد دينكم، ولا يقصرون في إفساد أمركم، ويسعون في مخالفتكم، وما يضركم بكل ممكن، فنهى الله تعالى أن يكون أمثال هؤلاء مستشارين، وأمناء سر، وأصحاب عشرة، ووكل للمؤمنين إلى توسم الأحوال والأعمال، وقوله تعالى: (وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ)، والعنت: المعانتة، وهي أبلغ من المعاندة، وفيها خوف وهلاك، ويقال: عنت فلان، إذا وقع في أمر يخاف منه التلف، فهؤلاء البطانة يودون عنتكم، وما يشق عليكم، وقوله تعالى: (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) فقد ظهرت البغضاء من أفواههم، (من) لبيان محل البدو، فكأنما يريدون أن يكتموا هذه العداوة والبغضاء، لكنها لا بد أن تفهم من أقوالهم، وهم لم يقصدوا ذلك، وخص تعالى الأفواه بالذكر، دون الألسنة، إشارة إلى تشدقهم، وثرثرتهم في أقوالهم، فحالهم فوق المتستر التذي تبدو البغضاء في عينيه، وقوله تعالى: (وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) أي: عندهم من البغضاء في قلوبهم، أكثر مما يبدو من أفواههم.

ثم ختم تعالى الآية بقوله: (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)، فقد بينا العلامات الدالة على أمثال هؤلاء، ودالة على الحق، وفي الآية تنبيه وتحذير للعقلاء، وفيه هز للنفوس للامتثال، كما بدأها بالنداء بمقتضى الإيمان للإغراء[1].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- كلما كانت البطانة من دون المؤمنين، فهم لا يقصرون في فساد دينكم ودنياكم

---

[1] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٣، ص٣٢٩-٣٩٧، والزجاج: **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص٣١٥، والأصفهاني: **المفردات**، ص٦١-٦٢(بطن)، ص٣٢(إلى)، ص١٤٨(خبل)، ص٣٥٢(عنت)، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٢، ص٣٣١-٣٣٥، وابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص١٨٨-١٨٩، وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**، ج٦، ص٣٥٩-٣٦٨، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١٦٧-١٧٧، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٢، ج٤، ص٦٢-٦٥، وابن عثيمين: **الكنز الثمين**، ج٣، ص٢١٢-٢١٥، وعباس: **تفسير القرآن المجيد**، ج١، ص٣١٦-٣٢١.

- ولا أحد من البطانة من دون المؤمنين إلا ويُظهر الله من أحوالهم ما يفضحهم
- فليس البتة كلما كانت البطانة من دون المؤمنين إلا ويُظهر الله من أحوالهم ما يفضحهم.

وتكون الحجة البرهانية في قوله تعالى: (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)

- كلما كانت البطانة من دون المؤمنين كانت إرادة الخبال للمؤمنين.
- وكلما كانت إرادة الخبال للمؤمنين كانت البغضاء تظهر من أفواههم يدركها العقلاء.
- فكلما كانت البطانة من دون المؤمنين كانت البغضاء تظهر من أفوههم يدركها العقلاء.

الفصل الثالث: الحجة البرهانية على قضايا النبوة والغيبيات والقضاء والقدر

المبحث الأول: الحجة البرهانية على قضايا النبوة

انضباط الرؤية في مباحث النبوة هي اللبنة الأولى في الدين بعد معرفة الله تعالى، " **لا يصح التعبد ببعثة الرسل إلا بعد معرفة المعبود المرسل**[١]"، ودلائل النبوة من أعظم الطرق لمعرفة الله تعالى وإثبات وجوده وربوبيته وألوهيته، فإذا ثبتت النبوة وجب عقلاً قبول سائر ما يخبر به النبي عن ربه جلَّ وعزَّ، وهي الطريق للإيمان بالغيبيات.

فأصول العلم والإيمان التي تعلقت بها السعادة والنجاة تتضمن: إثبات الصانع وتوحيده، وإثبات أسمائه وصفاته، وإثبات النبوات، وفي ذلك يقول الغزالي: " **فإن المخلوق من حيث هو مخلوق لا يدل إلا على الخالق، فليس له دلالة على الأمر..... ومن لم يثبت لله عزَّ وجلَّ أمراً مطاعاً فقد أحال كل هذه الأوامر والنواهي والتذكيرات والتنبيهات على من ادعى النبوة مقصورة عليه متعدية عنه**[٢]".

---

[١] الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد: **أعلام النبوة**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ص٩.

[٢] الغزالي: أبو حامد: **معارج القدس في مدارج النفس**، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٥)، ص١٣٤-١٣٥.

ويعد الفارابي أول الفلاسفة المسلمين القائلين بضرورة النبوة والحاجة إليها، وهي الوسيلة للاتصال بين السماء والأرض، ولازم وجود الحياة الفاضلة[١].

وكذلك ذهب ابن سينا إلى ضرورة وجود النبوة وأن بعثة الرسل واجبة عقلاً، وأن للرسول خصوصية ليست لسائر البشر[٢].

٣.١.١ المطلب الأول: تعريف النبوة والرسالة

- النبوة لغة:" **النون والباء والحرف المعتل أصل صحيح، يدل على ارتفاع في الشيء عن غيره،... نبأ: الخبر**[٣]".
- النبي اصطلاحا: "**من أوحى إليه بملك، أو أُلهم في قلبه، أو نُبه بالرؤيا الصالحة**[٤]".
- الرسالة لغة: أصل الرِّسل الانبعاث على التؤدة، والرَّسل: السهل من السير، وأرسلت الكلام إرسالاً: أطلقته من غير تقييد، والإرسال: التسليط.
- الرسول اصطلاحاً: هو المبعوث برسالة معينة من الله ويكلف بحملها وتبليغها[٥].

---

[١] الفارابي: أبو نصر: **آراء أهل المدينة الفاضلة**، تحقيق: عيد الوصيف محمد الكردي، (القاهرة، مكتبة الحسين التجارية، مطبعة حجازي القاهرة، د.ط، د.ت)، ص٨٧-٨٨. تابع الفارابي أرسطو في جعل الفيلسوف فوق النبي، انظر: الجهني: **موسوعة الأديان**، ج٢، ص١١٠٩.

[٢] ابن سينا: علي الحسين بن عبد الله، **النجاة**، (بيروت، دار الآفاق، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ص٣٣٩. والرسول عند ابن سينا هو من يبلغ الناس ما فيه إصلاح حياتهم، بما فاض على نفسه من المعاني من العقل الفعال، ثم فاض من بعد ذلك على النفس الناطقة الزكية المستعدة لذلك، ينظر: الرقب: صالح حسين، " موقف الفيلسوف ابن سينا من النبوة والأنبياء- عرض ونقض"، **مجلة الجامعة الإسلامية**، م١١، ع٢، ص٢٣٦.

[٣] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، ج٥، ص٣٨٥.

[٤] الجرجاني: **معجم التعريفات**، ص٢٠١.

[٥] ينظر: الأصفهاني: **المفردات**، ص٢٠١، والفيروزآبادي: **بصائر ذوي التمييز**، ص٦٨-٦٩، والمقري: **المصباح المنير**، ص١٤٣.

٣.١.٢ المطلب الثاني: الحاجة للرسل ومصاديقهم

١. الحجة البرهانية في الحاجة للرسل:

بينت الآيات القرآنية حاجة البشر الماسة للنبوة، وأن فترات انقطاع الرسل واندراس تعاليمهم آلت بالناس إلى حال من الفساد والتخبط في جميع مناحي الحياة، حيث استغنى الناس بعقولهم، واتبعوا شهواتهم، فسادت الفوضى والضلال، يقول ابن الوزير: بدأ الشرك في قوم نوح عليه السلام، وبعد غرقهم ابتدأ أمر البشر من ذريته، ثم بعث الله هوداً عليه السلام إلى قوم عاد، ثم صالحاً عليه السلام إلى قوم ثمود، ثم زاد الكفر ظهوراً وانتشاراً فابتعث الله ابراهيم عليه السلام، موسى وبعده عيسى عليهما السلام..... ثم كانت الفترة بينه وبين نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم نحو ستمئة عام، وكثر الضلال فبعث الله تعال محمد صلى الله عليه وسلم[١].

ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ (سورة الجمعة).

يمتن الله تعالى على العرب أن أراد بهم خيراً إذ أرسل إليهم نبياً منهم بشراً ومثلهم، يأخذون منه، يعرفون نسبه ومكانته وصدقه وخلقه، كما سماه في سورة التكوير (صَاحِبُكُم)، وأرسل إليهم الآيات المتلوة (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) ويقوم بمهمة تعليمهم وتزكية نفوسهم، (وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)، فيعودهم الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، والتزكية لا بد أن تقترن بتعليم الكتاب والحكمة التي تقتضي معرفة الطريق الذي تسلك، وهذا فضل منه سبحانه ونعمة ليطهرهم من رجس الشرك، وجاء لفظ الأميين ليعطي الصورة الحقيقية عن حالهم، فالأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهو على حاله الذي ولدته عليه أمه ليس له شيء من المعارف، فهم أميون من كل وجه، وقد

---

[١] ينظر: ابن الوزير: **إيثار الحق على الخلق**، ص٧٥-٧٦.

ظهر هذا الحال في جميع صور حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، فقد كانوا في ضلال جعلهم في عمى وغفلة حتى أن الأمم من حولهم لم تأبه لهم ولم تلق لهم بالاً لفرط ضياعهم وجهلهم(1).

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- لو كان الناس في جهل وضياع، لبعث الله لهم نبياً.
- لكنه بعث لهم نبياً.
- إذن فقد كانوا في جهل وضياع.

٢. الحجة البرهانية في مصاديق الرسل

يقول جلَّ وعزَّ: ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدرِهِ إِذ قالوا ما أَنزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِن شَيءٍ (2)قُل مَن أَنزَلَ الكِتابَ الَّذي جاءَ بِهِ موسى نورًا وَهُدًى لِلنّاسِ تَجعَلونَهُ قَراطيسَ تُبدونَها وَتُخفونَ كَثيرًا وَعُلِّمتُم ما لَم تَعلَموا أَنتُم وَلا آباؤُكُم قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرهُم في خَوضِهِم يَلعَبونَ ﴿٩١﴾ (سورة الأنعام).

في هذه الآية الكريمة يرد تعالى على من أنكر أن يكون الله قد أرسل رسلاً، حيث قال حكاية عنهم: (ما أَنزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِن شَيءٍ) فأنكروا النبوة جملة، فحاججهم تعالى بإيمانهم بموسى عليه السلام، فكما آمنوا بموسى عليه السلام نبياً، وجب عليهم أن يؤمنوا ويصدقوا ببعثة

---

(1) ينظر: الزجاج: **معاني القرآن وإعرابه**، ج٢، ص١٦٧٥، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٨، ص٣٠٠، وابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٦، ص٣٠١، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٣، ص٤٥٤، والطباطبائي: **الميزان في التفسير**، ج١٩، ص٢٦٥، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج٢٠، ص٣٦٠-٣٦١. وهكذا حال الأمم بدون هدى الله وشرعه والتزام أمر نبيه صلى الله عليه وسلم.

(2) تدل الآية على أن من لوازم الألوهية أن يهدي تعالى الإنسان إلى طرق الاستقامة والسعادة بإنزال الكتاب والوحي على بعض أفراده، ينظر: الطباطبائي: **المرجع السابق**، ج٧، ص٢٧٠.

محمد صلى الله عليه وسلم، في إثبات نبوة واحد من الأنبياء، أبطل قولهم بأن الله ما أنزل على بشر من شيء.

(وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدرِهِ)، أي: لم يقدروا الله حق قدره، وما عظموه حق تعظيمه، (إذ قالوا ما أَنزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِن شَيءٍ)، "أي: حين اجترأوا على التفوه بهذه الجملة الشنعاء، فنسبوا الله عزَّ وجلَّ النقص، وأنه لا يقيم الحجة على عباده، ولا يأمرهم إلى ما فيه صلاحهم، وذلك زيادة كفر ومبالغة بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، وإنكارهم بعثته، وما أُنزل عليه من الكتاب، فأُلزموا بما لا يمكنهم إنكاره أصلاً، فرد الله عليهم في جواب سلبهم العام، بإثبات قضية جزئية بديهية التسليم- وهي الحجة البرهانية التي أبطلت القول العام بإثبات جزء منه-: (قُل مَن أَنزَلَ الكِتابَ الَّذي جاءَ بِهِ موسى نورًا وَهُدًى لِلنّاسِ)،..... أي: فكيف تنكرون إنزال شيء على محمد صلى الله عليه وسلم وتستبعدون هذا المنزل الظاهر للعيان، وتزعمون التمسك بما أُنزل على موسى عليه السلام، والعدول عن التوراة إلى ذكر الكتاب وصفته، والحال بعده لزيادة التقريع، وتشديد التبكيت، وإلقام الحجر، وفيه إنكاره تعالى عليهم عدم التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم[1].

ويكون **مسلك الحجة البرهانية في الآية لنقض قولهم هو: "التناقض"**، فالسالبة الكلية وهو قولهم: (ما أَنزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِن شَيءٍ)، ينقضه الموجبة الجزئية وهو قوله تعالى: (قُل مَن أَنزَلَ الكِتابَ الَّذي جاءَ بِهِ موسى)، فمادام أن ثبت أن هناك نبياً مرسلاً تؤمنون به جاءكم بكتاب، فقد نقض قولكم بأن محمد صلى الله عليه وسلم ليس نبياً أرسله الله تعالى، وأنزل عليه كتاباً هادياً للناس.

---

[1] ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٢، ج٣، ص٢٦، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، ج٣، ص١٦١، والشربيني: **تفسير الشربيني**، ج١، ص٥٠٤، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج٦، ص٢٠٤٧.

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- موسى عليه السلام بشر.
- موسى عليه السلام أنزل عليه الكتاب.
- إذن بعض البشر أُنزل عليه الكتاب.

٣.١.٣ المطلب الثالث: بشرية الرسل واصطفاؤهم

١. الحجة البرهانية في بشرية الرسل:

أنكر العرب أن يكون النبي بشراً، وقال تعالى في ذكر انكار بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿لاهِيَةً قُلوبُهُم وَأَسَرُّوا النَّجوَى الَّذينَ ظَلَموا هَل هذا إِلّا بَشَرٌ مِثلُكُم أَفَتَأتونَ السِّحرَ وَأَنتُم تُبصِرونَ ﴿٣﴾ **(سورة الأنبياء).**

طعن المشركون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بأمرين:

- **الأول:** أنه بشر مثلهم فكيف يكون نبياً؟

وهذه الشبهة هي شبهة كل من سبقهم من الأمم، فقد قال تعالى في جملة من أنبيائه أن أقوامهم أنكروا عليهم أن يكونوا بشراً، قال تعالى عن موقف قوم صالح عليه السلام: ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾، وكذلك قوم شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ (سورة الشعراء).

وقال فرعون وقومه كما حكى رب العزة عنهم: ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ (سورة المؤمنون)، وهذه شبهة استمرت الأمم المكذبة بترديدها بلا برهان حتى قال رب العزة: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ (سورة التغابن)، شبهتهم المعروفة بإنكار بشرية الرسل رغم البينات والبراهين الدالة على صدقهم،

فإنكارهم أن يكون نبيهم بشراً أدى بهم إلى تقليل أمره والاستكبار عن اتباعه، ولكن لم ينكروا أن يكون معبودهم حجراً[1]، وهذا القول لا يستند إلى منطق ولا عقل، فما الذي يمنع بشرية النبي! وقد رد الله عليهم بأن **بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم من لوازم النبوة وضرورياتها.**

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴿٩﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ (سورة الأنعام) ، فالحكمة الإلهية تقتضي أن يكون النبي بشراً، وأن يُبعث الجنس إلى الجنس نفسه، فلو كان أهل الأرض ملائكة لأرسل الله إليهم ملكاً يأنسون به ويتعلمون منه، وهو أقرب إليهم.

ولو كان الرسول ملكاً لشق عليهم أن يأخذوا منه، ولجعله الله بشراً عند إرساله للناس مثلهم، ولاختلط عليهم الأمر وخلطوا على أنفسهم حتى يشكوا أهو ملك أم بشر، فما يطلبونه حال لبس لا حال بيان[2].

وهذا من رحمة الله تعالى بالناس حيث إنهم لا يستطيعون رؤية الملائكة في صورتهم الملائكية، ولا يمكنهم الأخذ عنهم أو الاقتداء بهم.

قال الدكتور عمر الأشقر: " **والله لا يرسل رسله من الملائكة لأن طبيعة الملائكة مخالفة لطبيعة البشر، فاتصالهم بالملائكة ليس سهلاً ولا ميسوراً..... ولما رأى النبي صلى الله عليه**

---

[1] ينظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٣٠، ص٢٣، والطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٦٤٢، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج١٧، ص٥٨٢٠-٥٨٢١.

[2] ينظر: البغوي: **معالم التنزيل**، ص٤١٣، الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (القاهرة، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠١٤هـ)، ص١٣٨، والطباطبائي: **الميزان في تفسير القرآن**، ج٧، ص٢٢.

وسلم جبريل على صورته الملائكية فزع وجاء زوجه يقول دثروني دثروني، فلما كانت الطبائع مختلفة شاء الله أن يرسل لهم رسولاً[1]".

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- لو لزم أن يكون النبي ملكاً، لاختلط أمره على الناس.
- لكن لم يختلط أمره على الناس.
- إذن لزم أن لا يكون النبي ملكاً.

وبيّن تعالى أن بشرية النبي أدعى لقبول الإيمان والأخذ منه، وأن طلبهم أن يكون الرسول ملكاً لا يكون إلا في حال أن يكون المرسل إليهم ملائكة من جنسه، حيث قال رب العزة: ﴿قُل سُبحانَ رَبّي هَل كُنتُ إِلّا بَشَرًا رَسولًا ﴿٩٣﴾ وَما مَنَعَ النّاسَ أَن يُؤمِنوا إِذ جاءَهُمُ الهُدى إِلّا أَن قالوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَو كانَ فِي الأَرضِ مَلائِكَةٌ يَمشونَ مُطمَئِنّينَ لَنَزَّلنا عَلَيهِم مِنَ السَّماءِ مَلَكًا رَسولًا ﴿٩٥﴾ (سورة الإسراء).

فما منعهم من الإيمان إلا إنكارهم واستعجابهم أن يكون الرسول بشراً، فنبههم تعالى أن كون النبي بشراً من جنسهم رحمة من الله تعالى، ليفهموا منه ويتمكنوا من مخاطبته والأخذ منه، فلو كان من جنس الملائكة لبعث الله تعالى رسولاً ملكاً لطفاً بهم ورحمة[2].

يقول أبو السعود: ما منع الناس أن يؤمنوا بالوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للإيمان أن يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك، ... إلا أن قالوا: أبعث الله بشراً رسولاً، ومنكرين أن يكون رسول الله

---

[1] الأشقر: عمر سليمان، **عالم الملائكة الأبرار**، (عمان، دار النفائس، ط٦، ١٤١٣هـ-١٩١٩م)، ص٧٤.
لهذا عندما جاء الملك يعلم المسلمين أمور دينهم جاء على صورة بشرية كما أخرجه البخاري: في **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان، ص١٤، رقم (٥٠).
وأخرجه مسلم: في **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ص٢٩، رقم (٩٣).

[2] ينظر: ابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٢، ص٤٠٢-٤٠٣، وابن جزي: **التسهيل في علوم التنزيل**، ج١، ص٤٩٧.

تعالى من جنس البشر، وليس المراد أن هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضاً آخر منهم، بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول، وإنما عبر عنه بالقول إيذاناً منه بأنه مجرد قول يقولونه بأفواههم من غير أن يكون له مفهوم ومصداق[١]، وحصر المانع من الإيمان فيما ذكر مع أن لهم موانع شتى لما أنه معظمها، أو لأنه المانع بحسب الحال...إذ هو الذي يتشبثون به من غير أن يخطر ببالهم شبهة أخرى، وهذا فيه إيذان بكمال عنادهم، مع أن بشريته صلى الله عليه وسلم موجبة للإيمان وهم يعكسون الأمر ويجعلونه مانعاً منه[٢].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- كلما كان النبي بشراً كان أقدر على تعليم الناس.
- وكلما كان أقدر على تعليم الناس كان تطبيق شرع الله أيسر.
- إذن فكلما كان النبي بشراً كان تطبيق شرع الله أيسر.

٢. الرسالة اصطفاء من الله:

وجاءت الآيات القرآنية في تأكيد اصطفاء الله تعالى لأنبيائه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ (سورة الحج)، لما كان من دواعي تكذيبهم أن يكون الرسل بشراً، وأن يكون هو – محمد بن عبدالله– من دونهم أنزل الله عليه الرسالة، فمحمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل.

---

[١] المفهوم: " المعنى الذهني الذي يثيره اللفظ في الأذهان، واللفظ دلالة كلامية عليه"، الماصدق:" الفرد أو الأفراد التي تنطبق عليها اللفظ إذ يتحقق فيها مفهومه الذهني"، حبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص٤٥، والمعنى أن هؤلاء المشركين لا يعتقدون في أذهانهم أن لا يكون النبي بشراً، ولم يروا ذلك منطبقاً على أي فرد، فهي مجرد دعوى.

[٢] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٥، ص١٩٥.

وقدم تعالى لفظ الجلالة على الخبر لإفادة اختصاص الله تعالى بالإرسال، وجيء بلفظ الجلالة دون الإضمار (هو) لبيان أنه الإله الجامع للصفات العلى وما تتضمنه من القوة الكاملة والعزة القاهرة، وفي الآية تبكيت لمن عبد الملائكة دون الله، أو زعم أن الملائكة بنات الله، فالملائكة رسل من ربهم يفعلون ما يأمرهم الله به، وليست لهم صفات الربوبية[1].

وختم الآية بصفتي: (سَمِيعٌ بَصِيرٌ) وهي كناية عن علمه تعالى بكل الأمور بقرينة السميع البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاختياره إياهم عن علم منه، والعقول مهما بلغت فهي عاجزة عن الاطلاع على خفايا الأمور، فكان اختيار الله تعالى لرسله عن علم منه، وأن الوحي يصلح لهم[2]. فاختيار الله تعالى ليس محصوراً في اختيار الرسل من الملائكة فقط، بل هو يتعدى إلى البشر أيضاً، وهو سبحانه عالم بصفوة خلقه وخيارهم.

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- كل نبي إلى البشر اصطفاء من الله.
- لا أحد من اصطفاء الله بفاجر.
- إذن فليس أحد من الأنبياء بفاجر.

والآيات في اصطفاء الأنبياء منتشرة في القرآن، سواء أكان ذكر بعضهم بالاسم، أو ذكر اصطفاءهم جميعاً، ومنها:

---

[1] وهذا يؤكد ما يتكرر في البحث من أن الآية تحمل عدة حجج في أصول الاعتقاد.

[2] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٨، ص٢٤٩-٢٥٠، والبغوي: **معالم التنزيل**، ص٨٧٥، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٦، ص٢٧٤-٢٧٥، والرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٢٣، ص٧٠-٧١، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٢، ج٦، ص٢٤٧-٢٤٨، والآلوسي: **روح المعاني**، ج٩، ص٢٦٢، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٦٨٤، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٧، ج١٧، ص٣٤٤-٣٤٤.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ (سورة البقرة).

وفي سورة النمل بعد ذكر قصص بعض الأنبياء قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾.

ويقول رب العزة: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴿٣٢﴾ (سورة الزخرف). فكأن الأمر مردود إليهم! فهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته، فلا ينزلها إلا على أزكى الخلق وأشرفهم وأطهرهم[١].

يقول الغزالي: " **اعلم أن الرسالة أثرة علوية وحظوة ربانية وعطية إلهية لا تكتسب بجهد ولا تنال بكسب، ﴿اللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالَتَهُ ﴿١٢٤﴾ (سورة الأنعام)، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴿٥٢﴾ (سورة الشورى)، لكن الجهد والكسب في إعداد النفس لقبول آثار الوحي**[٢]".

➢ **الثاني:** إنكارهم أن يكون ما أتى به النبي عليه الصلاة والسلام من عند الله.

وهذه شبهة تخرج بلا دليل ولا برهان، إنما هو كبر وطغيان، فلا يملك المنكِر إلا الطعن والتكذيب دون إعمال عقل وتدبر، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ (سورة الذاريات)، " **هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، أي كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون، كذب من قبلهم وقالوا مثل قولهم**[٣]".

---

[١] ينظر: ابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٣، ص٢٣٩

[٢] الغزالي: أبو حامد: **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**، (بيروت، دار الآفاق، ط٢١٩٧٥م)، ص١٣٠.

[٣] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٣، ج٩، ص٣٦.

فطعن المشركون بصدق الرسل واتهموهم بالسحر والجنون، ولكون الساحر يأتي بالخوارق فنسبوا للأنبياء السحر، ويُعلم بضرورة العقل من وجود فروق عظيمة بينهم وبين السحرة، فالساحر يُفسد ولا يصلح، ويُصور للناس الأشياء على خلاف حقيقتها، والأنبياء يصلحون أمور الناس ويدعونهم لما فيه خير الدنيا والآخرة، ويبصرونهم بحقيقة الأمور.

والأنبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضاً[(١)]، بخلاف السحرة الذين يطعن بعضهم بعضاً، ولحيرتهم وضلالهم يقرنون بين السحر والجنون!، والجنون عدم العقل، والسحر الحذق والمكيدة والخبرة التي لا يقدر عليها ولا يحسنها أي أحد، فأنى لهما أن يجتمعا![(٢)].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- الساحر له الإرادة على الشر.
- لا أحد من المجانين له إرادة على الشر.
- إذن لا أحد من المجانين ساحر.

وتكون الحجة البرهانية في نفي السحر والجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم:

- لو كان النبي ساحراً أو مجنوناً لما دل الناس على الخير وما فيه مصالحهم.
- ولكنه دلهم على الخير وما فيه مصالحهم.
- إذن النبي ليس ساحراً ولا مجنوناً.

---

(١) فيما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: " أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد"، أخرجه البخاري، في **الجامع الصحيح**، كتاب الأنبياء، باب (وَاذكُر فِي الكِتابِ مَريَمَ إِذِ انتَبَذَت مِن أَهلِها مَكانًا شَرقِيًّا)، ص٤٧١، رقم (٣٤٤٣)، وأخرجه مسلم، في **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، ص٨٩٧، رقم (٦١٣٠).

(٢) ينظر: ابن تيمية: **النبوات**، ص١٠٤٩-١٠٥٠، **وتفسير ابن تيمية**، ج٦، ص١٠٧، والعميري: سلطان بن عبد الرحمن: **ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث**، (الخبر، تكوين للدراسات والأبحاث، ط٢، ١٤٣٩هـ)، ج٢، ص٢٧٤-٢٧٥.

٣.١.٤ المطلب الرابع: دلائل صدق الرسل وإنزال الكتب[١]

خص الله تعالى أنبيائه عليهم السلام بالدلائل والمعجزات الدالة على صدقهم، فالآيات التي تكون مع الأنبياء هي دليل وبرهان وحجة معتبرة ولا يحصرها نوع واحد، فالدليل ليس محصوراً بالحجة التي أطلق الناس عليها خوارق العادات أو المعجزات ، بل إن البينات أوسع من حصرها بخوارق العادة، فقد سماها تعالى آيات وبراهين ولم يسمها معجزة، والدلائل مستلزمة لمدلول، وهذا معلوم بالضرورة بدليل ينتهي إلى الضرورة، فالنبوة هي بلاغ من الله تعالى، وخبر صادق من النبي المرسل من الله جلَّ وعزَّ، وكل ما أيده الله تعالى به هو دليل على نبوته وحجة للأنبياء[٢]، أما المعجزة: " **أمر خارق للعادة، ومقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، وهي إما حسية أو عقلية**[٣]".

ومن اصطفاء الله تعالى لأنبيائه بالرسالة يتبين صدقهم وتأييدهم من ربهم، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ (سورة النساء).

---

[١] لم يفصل البحث في معجزات الأنبياء بل في صدقهم.

[٢] ينظر: ابن تيمية: **النبوات**، ج٢، ص٧٧١-٧٧٣، وعامري: سامي: **براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين**، (المملكة العربية السعودية، مركز تكوين، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م)، ص٤٦.

[٣] السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، ج٤، ص٣٠٣.

يقول الدكتور الخالدي:" لا نوافق هؤلاء العلماء على كون التحدي شرطاً في المعجزة، لأن التحدي ليس موجوداً في كل المعجزات، فالمعجزات نوعان: الأول: نوع مقرون بالتحدي، الثاني: غير مقرون بالتحدي وهي التي يوجهها النبي لأتباعه من المؤمنين. والمعجزة لم ترد لفظاً صريحاً في القرآن، إنما ورد: الآية، البصيرة، والبرهان، والسلطان، والبينة، وكلها في معنى الدلالة الواضحة والبرهان الساطع، الخالدي: صلاح: **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، (عمان، دار عمار، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ص٢٠-٢٣.

قال ابن أبي حاتم: " **عن عطاء بن السائب قال: أقرأني أبو عبد الرحمن السلمي القرآن، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال: قد أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل، ثم يقرأ قوله: (أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)**[1]".

فالقرآن الذي أنزله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو من علم الله، ونزل بعلم الله، وهذا أعظم بينة لصدق النبي عليه الصلاة والسلام.

ويرسل الله تعالى الرسل للناس يبينون لهم مراد ربهم وما يأمرهم به وينهاهم عنه، حتى لا يقولوا ما جاءنا بشير ولا نذير، فالله تعالى من كمال عزته وحكمته أن أرسل رسله تترى، لعلمه بحاجة الناس إليهم لتستقيم حياتهم وأمورهم، فأيدهم تعالى بالبينات والدلائل على صدقهم.

وقوله تعالى: (لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ)، بلاغاً من الله لمن رد دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدق رسالته، فيبين سبحانه أنه عزَّ وجلَّ خالق الإنسان، وهو أعلم بما ينفعه وما فيه مصلحته، التي منها إرسال الرسل لما يأتون به من شرائع تحفظ للناس أمورهم وبها تستقيم حياتهم، وأيد سبحانه وتعالى رسله بأن شهد بصدق ما جاؤوا به ومنهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه سبحانه نزل القرآن بعلمه أو من علمه، والحجة قائمة على الخلق بمقتضى شهادة الله تعالى وكل ما يأتي معها من دلائل ومعجزات، ثم ذكر تعالى شهادة الملائكة ليقابل بها نفي شهادة المكذبين، ولأن الملائكة نالت شرف تبليغ الرسالة.

---

[1] ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن: **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (الرياض- مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ج٤، ص١١٢١.

ثم قال تعالى: (وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) ولم يقرن شهادته بشهادة الملائكة لأن الحق تبارك وتعالى لا يأخذ بشهادة الملائكة لتعزيز شهادته جلَّ وعزَّ[١].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- الرسول مصطفى من الله.
- وكل مصطفى من الله مؤيد بالبينات.
- إذن كل رسول مؤيد بالبينات.

وفي تأييد الرسل بالكتب قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴿٢٥﴾ (سورة الحديد).

هذه الآية بينت أن إرسال الرسل مقرون بالدلائل على صدقهم، وأن إرسالهم لما فيه إصلاح أحوال الناس وإقامة العدل بينهم، وهذا من فضل الله عليهم، وضرورة لهم.

لقد أرسل تعالى رسله بالبينات المفصلات، والدلائل القاطعة، والحجج الباهرة، وأنزل معهم الكتاب وهو اسم جنس يشمل سائر الكتب التي أنزلها الله لهداية الخلق وإرشادهم لما فيه الخير والنفع لهم، وأنزل الميزان وهو العدل الذي جاءت به الرسل في الأقوال والأفعال، والذي تشهد به العقول السليمة، وأن يقوموا بالقسط في حقوق الله والعباد.

وحيث إن الخروج عن الأمر الإلهي هو خراب لأحوال الناس، فكان الحكم الشرعي للإرشاد والبيان، والسيف لمن يبغي ويعتدي، لأن إقامة الدين تبنى على أمرين: أحدهما: هو ما ذكره بقوله:

---

[١] ينظر: ابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٢، ص٣٧٢، وابن كثير، **عمدة التفسير**، ج١، ص٥٣٨-٥٣٩، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد١، ج٣، ص٢٩٧، وابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص٢١٩، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٢٥١، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج٢٠، ص١٤٨-١٤٩.

(أَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ)، فإذا أصر الكافر على عناده وكفره بعد أن تبين الحق فليس إلا الحديد[1].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- لو كان الرسل مؤيدين بالبينات والكتب لوجب تصديقهم.
- ولكن الرسل مؤيدون بالبينات والكتب.
- إذن وجب تصديقهم.

ويمكن عرضها بطريقة أخرى:

- كلما كان الرسل مؤيدين بالبينات كان الحق بيّناً
- وكلما كان الحق بيّناً كان أدعى للاستجابة والاتباع.
- إذن فكلما كان الرسل مؤيدين بالبينات كان أدعى للاستجابة والاتباع.

ومن أعظم البينات والمعجزات ما أيد الله تعالى به نبيه وصفيه محمداً صلى الله عليه وسلم وهي المعجزة الخالدة، وهي معجزته ورسالته " القرآن الكريم".

قال شيخ الإسلام: "**من الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة**[2]".

---

[1] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج١٠، ص٦٨٤-٦٨٥، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٣، ج٩، ص١٦٧-١٦٨، والطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٦٢٦، وابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**، ج٦، ص٢١٨-٢١٩، وابن القيم: **بدائع التفسير**، ج٣، ص١٣٣، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٣، ص٤٠٦، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١٠٦١-١٠٦٢، والشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج٧، ص٤٨١.

[2] ابن تيمية: **العقيدة الواسطية**، اعتنى بها: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، (الرياض، أضواء السلف، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ص٨٩.

فهو: اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سوره[1]، والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة المقروءة إلى أن يرفعه الله تعالى في آخر الزمان[2].

قال رب العزة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ (سورة البقرة).

الآية دليل عقلي على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فبعد أن ذكر تعالى دلالة الوحدانية، ذكر بعدها دلالة النبوة، وأن ما جاء به النبي ليس مفترى من عنده، بل هو من عند الله تعالى، فجاءت هذه الآية من الله تعالى احتجاجاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم وأهل الكتاب.

وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم، دليل على أن أعظم أوصافه صلى الله عليه وسلم، قيامه بالعبودية، فأضاف تعالى العبد إلى نفسه تنويهاً بذكره وتنبيهاً على أنه منقاد لربه وحكمه.

---

(1) ينظر: الزرقاني: محمد عبد العظيم: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، حققه: فواز أحمد زمرلي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ج١، ص٢١، والطيار: مساعد بن سليمان، **المحرر في علوم القرآن**، (قطر، وزارة الأوقاف، ط٥، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، ص٢٢.

(2) في مصنف ابن أبي شيبة : حدثنا أبو الأحوص عن عبد العزيز بن رفيع عن شداد بن معقل قال: قال عبد الله: "إن هذا القرآن الذي بين أظهركم يوشك أن ينزع منكم، قال: قلت كيف ينزع منا وقد أثبته الله في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا، قال يسرى عليه في ليلة واحدة فينزع ما في القلوب ويذهب ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقراء، ثم قرأ { وَلَئِن شِئنا لَنَذهَبَنَّ بِالَّذي أَوحَينا إِلَيكَ }"، أخرجه ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد العبسي: **مصنف ابن أبي شيبة**، تحقيق: أبي محمد أسامة بن إبراهيم، (د.م، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م)، كتاب الفتن، ج١٣، ص٣٤٩، رقم(٣٨٥٩٩)، وشداد بن معقل فيه مقال، ولم يوثقه إلا ابن حبان وعنده تساهل.

وقوله تعالى (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) جرى كلام الله منه على التحقيق لأنه علام الغيوب، فتعلق الشرط يؤكد كونهم في ريب[1]، ووجه الإتيان بـ (في) الظرفية للإشارة أنه امتلكهم الريب وأحاط بهم، فما جاء به القرآن لا مثيل لأحد من البشرية أن يأتي بمثله[2]، فهو الكلام الفصيح، البليغ الوجيز المحتوي على العلوم الكثيرة الصادقة والغيوب الماضية والآتية، والأحكام العادلة، وتحداهم بسورة أي بسورة واحدة من نوع السور، وأقصر السور عددها ثلاث آيات فلم يستطيعوا.

(وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ادعوا شهداءكم معناه: دعاء استصراخ، والشهداء من شهدهم وحضرهم من عون ونصير إن كنتم تقدرون على المعارضة، وهو زيادة في التحدي وإثارة لحماسهم إذ عرّض بعدم صدقهم فتتوفر دواعيهم للمعارضة، فمخاطبة الجم الغفير أبلغ في التحدي، فمثل القرآن لا يُؤتى بمثله، بل ولو اجتمعت الإنس والجن وتظاهروا عليه، وجاءت الآيات تؤكد هذا المعنى كما قال تعالى: ﴿قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلى أَن يَأتوا بِمِثلِ هذَا القُرآنِ لا يَأتونَ بِمِثلِهِ وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا ﴿٨٨﴾ (سورة الإسراء).

---

[1] "عُلم في فن المعاني اختصاص "إن" بمقام عدم الجزم بوقوع الشرط، لأن مدلول هذا الشرط قد حف به من الدلائل ما شأنه أن يقلع الشرط من أصله، بحيث يكون وقوعه مفروضاً فيكون الإتيان بـ(إن) مع تحقق المخاطب علم المتكلم بتحقيق الشرط توبيخاً على تحقق ذلك الشرط"، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، المجلد١، ج١، ص٣٣٥-٣٣٦.

[2] ذكر المفسرون أن قوله (من مثله) أي مثل القرآن، هو الذي جيء التحدي به في عدد من الآيات، ومنهم من أضاف معنى آخر وأن الضمير يجوز أن يعود إلى (عبدنا) أي من بشر مثله أمي لا يقرأ ولا يكتب، فمحمد صلى الله عليه وسلم نبي مؤيد بالرسالة والقرآن، ويرى البيضاوي أن الرد إلى المنزل أوجه، انظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٤١، وفي حاشية الشهاب: " الأمر تعجيزي باعتبار المأتي به والذوق شاهد بأن تعلق من مثله بالإتيان يقتضي وجود المثل ورجوع العجز إلى أن يؤتى منه بشيء، ومثل النبي في البشرية والعربية موجود بخلاف مثل القرآن، ينظر: الخافجي: **حاشية الشهاب**، ج٢، ص٣٦.

وقوله (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) اعتراض في آخر الكلام وتذييل، أتى بـ (إن) الشرطية التي في الأصل شرطها أن يكون غير مقطوع بوقوعه لأن صدقهم غير محتمل الوقوع وإن كنتم صادقين في أن القرآن كلام بشر وأنكم أتيتم بمثله، فعدلوا عن التحدي ولم يقدروا على المعارضة وعدلوا إلى الحروب والعناد، وهم أرباب البلاغة، وعنهم تؤخذ الفصاحة واللَّسن، فبلاغة القرآن أعلى الطبقات، وأرفع درجات الإيجاز والبيان، وجاء على فصاحة وبلاغة ما عهدوا مثلها من فحول بلغائهم، واشتمل من المعاني ما لم يطرقه شعراؤهم وخطباؤهم، (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا) فلم تفعلوا فيما مضى، وقوله (وَلَن تَفْعَلُوا) ولن تطيقوا ذلك فيما يأتي، إثارة لهممهم وتحريكاً لنفوسهم، وذلك ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، فالنفي بـ (لن) آكد من النفي بـ (لا)، وهذا من الغيوب التي تنبأها القرآن قبل وقوعها فأخبر بأنهم لا يأتون بذلك في المستقبل ولا ممن خلفهم، فكانت هذه الآية معجزة من نوع الإعجاز بالإخبار عن الغيب مستمرة على تعاقب السنين.

فقد دلت الآية ثبوت أصل الإعجاز، ودعوى أن القرآن مصداق من مصاديق الإعجاز[١] ولكونه منه التحدي.

فالقرآن معجز في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله لأنه من عند الله، فقد حصل المدعى وهو المطلوب[٢].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

---

[١] المصداق هو ما ثبت وجوده في الخارج، أي عاينه البشر وصدقوا به.

[٢] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج١، ص٢٧٧-٢٨١، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٤١، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج١، ص١٤٧-١٤٨، والبغوي: **معالم التنزيل**، ص٢١، والرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٢، ص١٢٦-١٢٨، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد١، ج١، ص١٨١-١٨٢، وابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص٥٨، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج١، ص٨٦-٨٧، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٣٥-٣٦، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، المجلد١، ج١، ص٣٣٥-٣٤٣، والطباطبائي: **الميزان في التفسير**، ج١، ص٥٧-٥٨.

- إذا كان القرآن من عند الله، لعجز العرب[1] عن الإتيان بمثله.
- لكن العرب عجزوا عن الإتيان بمثله.
- إذن: القرآن من عند الله.

ويمكن أن تكون:

- القرآن لا يستطيع معارضته البشر
- كل ما كان من عند الله لا يستطيع معارضته البشر.
- إذن: القرآن من عند الله.

---

(1) عجز العرب الذين نزل القرآن فيهم دلالة على عجز من بعدهم، لأنهم أرباب اللغة والبيان.

المبحث الثاني: الحجة البرهانية في الحشر والمعاد

عقيدة اليوم الآخر من أهم العقائد التي تلقي ظلال الطمأنينة والرضى على النفس الإنسانية، وتُعد من مقاصد القرآن، ويقول بديع الزمان النورسي: "**إن عقيدة اليوم الآخر هي أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية، وأساس جميع كمالاته ومُثله وسعادته**[١]"، ولا تكاد تمر بصفحة في القرآن إلا وتجد فيها ذكراً ليوم البعث وأهواله، وقُد قرن اليوم الآخر بالإيمان بالله تعالى في اثنين وعشرين موضعاً في القرآن، وفي البقرة وحدها سبعة مواضع[٢].

واليوم الآخر من أصول أركان الإيمان[٣]، وأحواله مختلفة عن أحوال الدنيا، وفيه غيبيات لا تحيط بها العقول، وقد ذكر القرآن الكريم تكذيب الأقوام لأنبيائهم عليهم السلام وخاصة في يوم البعث، فكما حكى عنهم رب العزة عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ

---

(١) ينظر: النورسي: **الشعاعات**، ص٢١٤-٢١٦. وقدّم أربعة أدلة عقلية كنموذج قياسي لذلك، وهي: أن مرحلة الطفولة لا يمكنهم أن يتحملوا ألم فقد أحبتهم إلا أن يؤمنوا باليوم الآخر، والشيوخ يصبرون ويتحملون وهم على شفير القبر بالإيمان واليوم الآخر، والشباب لا يكبح طيشهم ويحبس نزواتهم إلا الإيمان باليوم الآخر، والعائلة التي هي مركز التجمع في الحياة الدنيا تتعلق بالاجتماع في الآخرة.

(٢) ينظر: الجكني: محمد سالم أحمد: **عقود الإيمان في توحيد الرب على منهاج حديث جبريل**، (قطر، مطبعة ومكتبة ابن القيم، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ص٢٢١.

(٣) وردت كثير من الآيات تقرن الإيمان باليوم الآخر، قال ابن القيم: " الأصول الثلاثة التي اتفقت عليها جميع الملل وجاءت بها جميع الرسل: الإيمان بالله واليوم الآخر والأعمال الصالحة"، وفي حاشية الشهاب: "قال بعض المدققين بأن الكتب السالفة لم تتعرض لتفصيل أحوال الآخرة بخلاف القرآن"، ويقول الدكتور القليطي: أن النصارى يعتقدون بأن نعيم الجنة وعذاب النار روحاني وليس جسمانياً. بالنسبة للتوراة من سفر التكوين تكاد تخلو من ذكر اليوم الآخر وما فيه، وأنه لا تصور حقيقي عندهم للحياة الآخرة مما ترتب عليه عدم وجود مبادئ وتصورات أخلاقية عندهم، ومن آمن به فإيمانه إجمالا لا تفصيلا، ومنهم من يعتقد أن البعث والثواب والعقاب أنما هو " البعث القومي"، أو " العودة القومية" لليهود وانتصارهم على أعدائهم، ينظر: ابن القيم: **مختصر الصواعق المرسلة**، ص١٤٦، والخفاجي: شهاب الدين بن محمد المصري الحنفي: **حاشية الشهاب المسمى عناية القاضي وكفاية الراضي**، (بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت)، ج١، ص٢٣٥، والقليطي سامي بن علي: النعيم والعذاب في الآخرة عند أهل الكتاب (عرض ومناقشة)، " **مجلة طيبة**" بالمدينة المنورة، ع٣، ص٢٣٧-٢٤٠.

مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ (سورة سبأ)، فجعلوا النبي صلى الله عليه وسلم أعجوبة يسخرون منه حيث دعاهم للإيمان باليوم الآخر وإحياء الموتى، وكلامهم إنكار منهم[١]، بل وأكدوا ذلك كما قال عنهم رب العزة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ (سورة سبأ). "**وهذه الآية إحدى الآيات الثلاث اللاتي لا رابع لهن مما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد**[٢]".

وحكاية عن المنكرين للبعث والرد عليهم يقول جل وعز: ﴿وَيَقولُ الإنسانُ أَإذا ما مِتُّ لَسَوفَ أُخرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلا يَذكُرُ الإنسانُ أَنّا خَلَقناهُ مِن قَبلُ وَلَم يَكُ شَيئًا[٣] ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحشُرَنَّهُم وَالشَّياطينَ ثُمَّ لَنُحضِرَنَّهُم حَولَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ (سورة مريم)، يقول ابن القيم: هذه الكلمات على اختصارها وبلاغتها تضمنت للأصل والفرع والعلة والحكم[٤].

فقضية إنكار البعث عرضها القرآن، ورد عليها بالحجج الواضحة والدلائل القاطعة.

ويرى بديع الزمان النورسي أن ثلث القرآن بأكمله، وبدايات أغلب قصار السور هي آيات عن البعث والحشر، وذلك لأنه أمر غاية في الأهمية، ووقوعه ضروري لا محالة ولا بد منه، وأن أركان الإيمان الخمسة هي دلائل على الحشر والبعث[٥].

---

[١] ينظر: الطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٥١٤، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٨٤٧.

[٢] ابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٣، ٧٠-٧١، إحداهن في يونس: ﴿ وَيَستَنبِئونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُل إي وَرَبّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنتُم بِمُعجِزينَ ﴿٥٣﴾، وفي سبأ وهي الآية في المتن، والثالثة في التغابن: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾، وهذا يبين عظيم أمر المعاد وتأكيد وقوعه.

[٣] وهو قياس الإعادة على البدء فجعل النشأة الأولى هي الأصل، والإعادة بعد الموت هي الفرع-وهو قياس الأولى- كما سيأتي بإذن الله.

[٤] ينظر: ابن القيم: **إعلام الموقعين**، ج١، ص٢٠٠.

[٥] ينظر: النورسي، **الشعاعات**، ص٢١٧، ٢٢٤

٣.٢.١ المطلب الأول: تعريف البعث

تعريف البعث لغة وشرعاً:

- البعث لغة: "إثارة الشيء وتوجيهه... بعثت البعير أثرته وسيرته"(١).
- البعث شرعاً : استنبط من قوله تعالى: ﴿إِنَّما يَستَجيبُ الَّذينَ يَسمَعونَ وَالمَوتى يَبعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيهِ يُرجَعونَ ﴿٣٦﴾ (سورة الأنعام)، هو إثارة الناس من قبورهم وإعادتهم بعد الموت يوم القيامة للحساب والجزاء.

٣.٢.٢ المطلب الثاني: الحجة البرهانية على قدرة الله في إثبات البعث(٢):

العلم باليوم الآخر يثبت من جهة السمع، ودل عليه الخبر الصادق، والعقل لا ينفي هذا الإمكان لانتفاء عدم الإمكان، وقد دلل القرآن على إثبات الحشر، وإمكانه بأدلة عقلية عديدة منها(٣):

أولاً: قياس الإعادة الأخروية على إحياء الأموات في الدنيا:

نبه القرآن الكريم في عدة مواضع على إمكانية البعث بعد الموت بالتمثيل على قدرته تعالى على إحياء الأموات في الدنيا، كما جاء قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ: أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ

---

(١) الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص٦٣.

(٢) كتب الدكتور الصلابي في طرق الاستدلال على البعث وذكر منها: الاستدلال بأن أماتهم الله ثم أحياهم، والاستدلال بالنشأة الأولى، الاستدلال بخلق الأكوان وخلق النباتات المختلفة، والاستدلال بإخراج النار من الشجر، والاستدلال بالحياة بعد النوم، وبالفطرة، وبرحمة الله وعدله، وبأسماء القيامة، ينظر: الصلابي: **الإيمان باليوم الآخر وفقه القدوم على الله**، (بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ص١٢٦-١٣٨.

(٣) ينظر: ابن تيمية: **الرد على المنطقيين**، ص٣١٩-٣٢٢، والعريفي: **الأدلة العقلية النقلية**، ص٥١٧-٥٢٩.

وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ (سورة البقرة).

قال الطوفي: هذه الآية من حجج البعث والمعاد[١]، ومسلك الاستدلال في الآية هو مسلك التمثيل، وكما مر في البحث: "**انتقال الذهن من حكم أحد الشيئين إلى الحكم على الآخر لجهة مشتركة بينهما**"[٢]، والجهة المشتركة هي الموت ثم الحياة، فهذه القصة تجعلنا نعيش في جو الحياة والموت والتنقل بينهما حتى لو لم ندرك البداية والنهاية لهذا الخلق، يرى صاحب الظلال: أن مشهد الموت والحياة يرتسم قوياً واضحاً، يوحي بالفناء والبلى، وتتضح هذه المشاعر عند الرجل بتعبيره :(أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا)[٣].

وهكذا يعجز الإنسان عن تصور الأمر وكيفية الإحياء، فهو غيب لم يعاينه، كما أنه لم يشهد على خلقه أو خلق المخلوقات المنتشرة في هذا العالم.

ففي هذه القصة عجّب الله نبيه من الرجل في الآية، ولم يذكر القرآن الكريم تفاصيل الرجل، ولا تفاصيل للقرية، لأن العبرة بالمقصد من الآية وهو إثبات البعث.

فتعجب الرجل من مشهد القرية إذ رأى قرية ساقطة على عروشها، بعد عمارتها وحياتها ومن فيها، فارتسم مشهد الموت أمامه قوياً، فأصبح محسوساً عنده، ووقف متفكراً فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة، مع استشعار اليأس على أبلغ وجه، وقوله: (أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا) وذلك اعترافاً بالقصور عن إدراك كيفية الإحياء، فبأي طريق يكون ذلك وأي سبب؟ مع علمه أنه تعالى ابتدأ خلقها من غير شيء، واستعظاماً لقدرة الله تعالى المحيي إن كان القائل

---

[١] ينظر: الطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص١٠٨.

[٢] ورد هذا البرهان في البقرة وحدها ست مرات، آية (٢٨)، (٥٦-٥٥)، (٧٣-٧٢)، (٢٣٤)، (٢٥٩)، (٢٦٠).

[٣] ينظر: قطب: **في ظلال القرآن**، ج١، ص٢٩٩.

مؤمناً، وإن كان كافراً فقوله استبعاداً، ولذا أراه الله تعالى قدرته في نفسه ثم في غيره، فأماته الله تعالى مئة عام ليندرس بالكلية ثم بعثه، فأراه على الواقع الإحياء في نفسه وفي حماره، وذلك ليعاين ما استبعده من الإحياء بعد دهر طويل، أو ليريه ما استعظم في قلبه قدرة الله تعالى الذي لا يعجزه شيء على ما أراد، فأراه الله تعالى الإحياء وجعله آية للناس في زمنه، وجعله مثلاً في القرآن وحجة على البعث إلى قيام الساعة، فلم يذكر اسم الرجل ولا اسم القرية، فيبقى المقصد القرآني على مر الأزمان وتعدد الأمكنة[١]، يقول العلامة ابن عثيمين: " **من فوائد الآية بلاغة القرآن حيث ينوع الأدلة والبراهين على الأمور العظيمة، فهذه الآية وما قبلها وما بعدها[٢] كلها في سياق قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى[٣]**".

وهكذا يورد القرآن الأدلة الواقعية المحسوسة لتقريب الغيبيات، فكما جعل الله تعالى هذا الرجل آية لمن كان في زمانه، جعله لنا تمثيلاً للتأكيد على قدرة الله تعالى إحياء الموتى يوم القيامة، وهو كما قال رب العزة: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ (سورة ق)، أي: هل عجزنا عن الخلق الأول أعيانا! بل قدرنا وأنشأناه من العدم[٤].

---

[١] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٢، ص٧٩٧-٨٠٧، البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص١٥٠-١٥١، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٢، ص٣٨-٤٧، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد١، ج٢، ص١٩٠-١٩١، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج١، ص٢٨٣-٢٨٤، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، ج١، ص٢٥٢-٢٥٣، والآلوسي: **روح المعاني**، ج٢، ص٣٤-٤٥، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ص٦٦٩-٦٧٠، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١٣٧، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج١، ص٣٠٠، والدوسري: عبدالرحمن محمد: **صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم**، (الرياض، دار المغني للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ج٣، ص٤٨١.

[٢] ما قبل هذه الآية في محاجة إبراهيم عليه السلام النمرود، والذي بعدها إحياء الطيور لسيدنا إبراهيم عليه السلام ومعاينته ذلك الإحياء.

[٣] ابن عثيمين: **الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين**، ج٢، ص٢٠٦.

[٤] ينظر: الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج١٩، ص٤٥٦.

ثانياً: قياس الإعادة على إحياء الأرض الميتة وما هو أبلغ[١]

وهذا من باب الاستدلال على قدرة الله تعالى الكاملة، فمن خلق السماوات والأرض وما بينهما وأحيا الأرض بعد موتها، وقد أوجدها من العدم، فهو على إحياء الموتى أقدر، وهذا الاستدلال كثير في القرآن الكريم، " **وقد كرر سبحانه ذكر هذا الدليل في كتابه مراراً، لصحة مقدماته ووضوح دلالته، وقرب تناوله، وبعده من كل معارضة وشبهة، وجعله تبصرة وذكرى**[٢]"

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا **كَذَلِكَ الْخُرُوجُ** ﴿١١﴾ (سورة ق)[٣]، قال الطوفي: خلق السماوات والأرض حجة على البعث، أما وقوعه السمعي من الوحي المعصوم، وإمكانه إحياء الأرض الميتة[٤].

جاءت هذه الآيات بعد تكذيب المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم وإنكارهم البعث، قال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ

---

[١] جمع البحث هنا بين نوعي القياس (قياس الإعادة على إحياء الأرض الميتة، وقياس الإعادة على ما هو أبلغ منها) لأن كثيراً من الآيات القرآنية تأتي على هذا النسق، ومنها آيات سورة (ق)، حيث يكتمل المعنى بجمع الآيات.

[٢] ابن القيم: **أعلام الموقعين**، ج١، ٢٠٢.

[٣] مقصود سورة ق: " تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في الرسالة التي معظمها الإنذار، وأعظمه الإعلام بيوم الخروج بالدلالة على ذلك.... والآيات المرئية الدالة قطعاً على الإحاطة بجميع صفات الكمال"، البقاعي: **نظم الدرر**، ج٧، ص٢٤٣، ويتأكد هنا أن الآيات تجمع مع التوحيد الدلالة على البعث.

[٤] ينظر: الطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٥٩٧.

﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾. فهذه الآيات بينت تعجب المشركين من أمرين:

- **أولاً:** من إرسال رسول إليهم من البشر[(١)].
- **ثانياً:** أن ينذرهم ويخوفهم باليوم الآخر والحساب، وأن يعودوا إلى الحياة، وقد تقطعت منهم الأوصال وصاروا تراباً.

ويجوز أن يكون التعجب مما لا عجب منه كما في قوله تعالى (أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) (سورة هود:٧٣)، وهنا عجب المشركين مما لا عجب منه إذ تعجبوا إحياءهم بعد الإماتة، وغفلوا عن إيجادهم من العدم، فرد الله عليهم أن قدرته أعظم من مجرد الإعادة التي استبعدوها واستعظمتها أنفسهم على قدرة الله تعالى، وكلمة (هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) ليست تكراراً للتعجب في قوله تعالى: (بَلْ عَجِبُوا)، بل عجيب بالذي قيل وتعجبوا منه، " **ذلك ليس تكرار، بل تقرير، لأنه لما قال: بل عجبوا بصيغة الفعل وجاز أن يتعجب الإنسان مما لا يكون عجباً، ويقال في العرف: لا وجه لتعجبك مما ليس بعجب! فكأنهم لما عجبوا قيل لهم: لا معنى لتعجبكم، فقالوا هذا شيء عجيب فكيف لا نعجب منه؟! ودليله دخول الفاء على قال، وهذا شيء عجيب أمر مرتب على ما تقدم**[(٢)]"، والإظهار في موضع الإضمار لتسجيل الكفر عليهم، والآية إنكار عليهم لتعجبهم مما ليس بعجب مع علمهم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، فبين لهم أنه سبحانه العليم بكل شيء، يعلم ما تأكله الأرض من أجسادهم، وأين تفرقت أبدانهم، وأين صارت، ويدخل في الأرض تربتها وغلافها الجوي، فرد عليهم باقتلاع شبهتهم وهي علمه بمواقع تلك الأشلاء، وهو على إعادة أجسادهم قدير، فقوله

---

(١) يجمع رب العزة الرد على عدد من الشبهات في آيات متتالية وهذا من بلاغة القرآن وإيجازه وإعجازه.

(٢) ابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٨، ص١١، بتصرف يسير.

تعالى: (قَدْ عَلِمْنَا) يراد به أن هذا يكون على علم ودراية، ثم تستند الآية إلى توثيق آخر وهو الكتابة، وهو قوله تعالى: (وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) فهذا العلم مؤيد بكتاب مسطور مشهود يحصى فيه كل شيء، وفي الآية، استدلال على كمال قدرته تعالى وعلمه وإحاطته بهم، وحقيقة أمرهم أنهم (فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ)، فهم مختلطون مذبذبون مترددون[1].

ثم جاءت الآيات لتدلل على تأكيد البعث بلفت النظر والاستدلال على خلق السماوات والأرض وما فيهما من آيات، وهي أعجب من خلقهم وأعظم، فهي تفريع على قولهم (بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ) إلى قوله (مَّرِيجٍ)، فخلق السماوات وما فيها من النجوم والعوالم العلوية، والأرض وما فيها دال على إعادة الإنسان بعد الفناء والعدم، كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ [2]﴿٨١﴾ (سورة يس)، ودليل ذلك النص القرآني، قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ (سورة غافر)، ودليله النظر: فالإنسان يدرك من نفسه أنه عالم صغير، والسماوات والأرض هما العالم الأكبر، وما هو إلا جزء ضئيل جداً في الأرض، فما ثقله إذا جُمعت السماوات والأرض وما فيهما، كما أن بدائع وعجائب السماوات والأرض أضعاف ما في جسم الإنسان، وقوله

---

[1] ينظر: النسفي: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٣، ٣٦١-٣٦٢، والخازن: علاء الدين علي البغدادي: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (د.م، دار الفكر، د.ط، د.ت)، ج٤، ص١٧٤-١٧٦، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٣، ص٣٢٤، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٦، ص٣٩٢، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد١٠، ج٢٦، ص٢٨٠-٢٨١، وحوى: **الأساس في التفسير**، ج٥، ص٦٢٢-٦٢٣، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج١٩، ص٤٤٢-٤٤٦، والصابوني: محمد علي: **صفوة التفاسير**، (بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ج٣، ص٢٤١.

[2] هذه الآية جاءت في معرض الرد على منكري البعث، يقول الطوفي: " تضمن الدليل الثالث على البعث، وقد سبق، وتقريره أن خلق السماوات والأرض أعظم من إعادتهم يعني منكري البعث، والقادر على الأعظم هو على الأيسر أقدر، أو يقال: إعادتهم أهون من خلق السماوات والأرض، فهو قادر عليها بطريق أولى": **الإشارات الإلهية**: ص٥٢٦.

تعالى (كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) قد يكون الاستفهام محل إنكار من حالهم، يعني: ألم يتدبروا في العوالم العلوية والسفلية؟ أو يكون تقريرياً[1]، فلا يسعهم إلا التقرير بأن خلق هذه المخلوقات العظيمة كافية على إمكان البعث، ومحل التقرير هو فعل (يَنظُرُوا) نظر تأمل وتفكر، أو (كَيْفَ) مراد به حال المشاهدة فتعجزون عن الإدراك وتقرون بالقدرة والعظمة، والنظر بالعين إلى هذه المخلوقات العظيمة كافٍ للتدليل على إمكان البعث.

ولفت النظر والتنبيه إلى تزيين السماء دون مزيد تفاصيل، لأن الجميع لا يمكن إدراكه، وفيه الاستدلال والامتنان بنعمة التمكين من النظر، ومن عجيب الصنعة أنها متقنة لا فروج فيها ولا شقوق.

ثم ذكر الأرض لأنها أقرب إلى العين دون تكلف، ولذلك لم يلفت النظر في دلالتها بالاستفهام، وذكر من منافعها الجنات وما تشمله من الفواكه والخيرات، ومنها النخيل الطوال، وما فيها من رزق للعباد، وكانت أخص الأشجار عندهم، فهي مع منافعها جميلة المنظر تسر الناظرين، وهذا يفيد تقوية الاستدلال على دقة الصنعة، وإدماج الامتنان لما يستوجب الشكر، وقوله (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى) علتان لما تقدم، أي: فعلنا ما فعلنا للتبصير والتذكير لنُبصر به، وندل على القدرة، فهو تعليم وتفهيم واستدلال لكل عبد راجع إلى الله بالتوبة المتدبر في بديع صنعه وعجائب مخلوقاته، وهذه الآيات في سياق الرد على منكري البعث، وإيقاظ لهم من الغفلة والضلال.

ثم بين تعالى أن هذا الماء المبارك الذي أنزله الله من السماء فأنتب به الخيرات والجنات أحيا به أرضاً ميتة خاوية لا ثمار فيها ولا زرع.

---

[1] يقول ابن عاشور: " التقرير على نفي الشيء المراد الإقرار بإثباته طريقة قرآنية ذكرناها غير مرة، وبينا أن الغرض منه إفساح المجال للمقرر إن كان يروم إنكار ما قرر عليه، ثقة من المقرِر بأن المقرَر لا يقدم بما قرر عليه لظهوره"، **التحرير والتنوير**، المجلد١٠، ج٢٦، ص٢٨٥-٢٨٦.

وقوله تعالى (كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) مستأنفة لبيان أن إحياء الموتى وخروجهم من القبور عند البعث كمثل إحياء الله تعالى لهذه الأرض[1].

ومن هذا يتبين أن القرآن الكريم استدل على إعادة الموتى بخلق ما هو أعظم من الإعادة وأيسر، ومنه إحياء الأرض الميتة وخلق السماوات والأرض.

ويكون مسلك الاستدال على البعث بإحياء الأرض الميتة هو **مسلك التمثيل**، حيث قاس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بعد موتها بالإنبات، فالاشتراك بالموت ثم الحياة.

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- الله قادر على خلق السماوات والأرض.
- القادر على خلق السماوات والأرض قادر على البعث.
- إذن الله قادر على إحياء الموتى.

ثالثاً: قياس الإعادة على البدء

قياس الإعادة على البدء هو من قياس الأولى، وتقريره هو: أنه تعالى القادر الذي أوجد الناس من العدم فهو أقدر على إحيائهم مرة أخرى، وقد جاءت الآيات القرآنية تدعو للنظر في مبدأ التكوين وخلق الإنسان ليستدل به على الإعادة، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ (سورة الطارق)، ففي الآية دعوة للنظر والتأمل في أصل خلق الإنسان الذي هو من ماء الرجل وماء المرأة، ولا يكون إلا منهما معاً، والله تعالى الذي خلقكم من هذا الماء الدافق– ذي

---

[1] ينظر: الزجاج: **معاني القرآن وإعرابه**، ج٢، ص١٥٦٥، والطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٥٢٦، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، ج٨، ص١٢٦–١٢٧، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٦، ٣٩٤–٣٩٥، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١٠١٥، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد١٠، ج٢٦، ص٢٨٥–٢٩٤.

اندفاق- قادر سبحانه على إعادته للحياة وإرجاعه بعد الموت والبلى، وفي الآية قياس المعاد على المبدأ[١].

فالذي خلق الإنسان ابتداءً من ماء دافق قادر على إعادته بأسباب أخرى، وتولد الإنسان من ماء دافق فيه دلالة أيضاً على وجود خالق مختار حكيم فيما يفعل[٢]، فمن هذه المادة البسيطة تتولد أعقد التركيبات في جسم الإنسان، وفي هذا دلالة على البعث والجزاء.

ولهذا قال بعدها (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ)، فيوم القيامة تبلى السرائر وتظهر، وهو كناية عن الحساب عن كل ما صدر عن الإنسان وكسبه[٣].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- إذا كان الله قادراً على خلق السماوات والأَرض فهو قادر على إعادة الأموات للبعث.
- ولكن الله قادر على خلق السماوات والأرض.
- فالله قادر على البعث.

---

[١] للمفسرين قولان في (إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ)، الأول: إرجاع الماء للمكان الذي كان فيه، والثاني: هو إعادة الحياة بعد الموت، وهو اختيار الطبري والرازي والخازن والنسفي والطوفي والسعدي وابن عاشور، وقال ابن كثير: " وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع، وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير"، ابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٣، ص٥٩٢.

[٢] فالنظر في أصل خلق الإنسان فيه استدلال على القدرة على الإحياء بعد الموت، وفيه كذلك استدلال على وجود خالق حكيم مدبر أمور خلقه، وهكذا الآيات تجمع كثيراً من المعاني.

[٣] ينظر: الزجاج: **معاني القرآن وإعرابه**، ج٢، ص١٧٨٦، والطبري: **جامع البيان**، ج٤٩٧-٥٠٢، والرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٣١، ص١٢٩-١٣١، والطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٦٨٠، والنسفي: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٣، ص٦٢٨، والخازن: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج٤، ص٣٦٩، وابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج٢، ص٥٦٠، وابن كثير، **المرجع السابق**، ج٣، ص٥٩٢، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج١٧، ص٦١٢٤-٦١٢٥، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١١٤٨، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، المجلد١٢، ج٣٠، ص٢٦١-٢٦٥.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ (سورة يس)[(١)].

ففي هذه الآيات ذكر الله شبهة منكري البعث ورد عليها بأحسن جواب وأوضحه، فهذا المنكر للبعث أو الشاك فيه، لو تدبر في ابتداء خلقه لوصل إلى اليقين التام بوقوع البعث، فلو نظر إلى التفاوت بين ابتداء خلقه حيث الضعف والعجز، وإلى الحال الذي آل إليه من القدرة على البيان ما في نفسه وخصامه لعلم التفاوت بين الحالين، ولاستيقن من أن القادر على إيجاده من العدم قادر على بعثه بعد الموت والتفرق والبلى، ولكنه استخدم قياساً فاسداً، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، فاستبعد الأمر على الخالق بدون دليل إلا أنه استبعده على المخلوق، فوصل إلى نتيجة أنه لا يمكن إحياء العظام بعد أن بليت وتلاشت وتفتتت وصارت رميماً، وكان سؤاله (مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) استفهاماً إنكارياً، وأن هذا الأمر في غاية البعد، ولكنه نسي أصل خلقه، إما لذهول أو ترك، وعدم اهتدائه لأصله أعجب من إعادة عظمه، وفي الكشاف: "**يقول من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به، وهو**

---

(١) يقول الدكتور النجار: " من الحقائق العلمية التي لم تكشف عنها العلوم المكتسبة إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، ورودها في سياق الاستشهاد على حتمية البعث والرجوع إلى الله تعالى هو من قبيل تأكيد طلاقة القدرة الإلهية على تحقيق ذلك في الحالين، وقت خلق الإنسان ووقت رجوعه إلى ربه حين الاحتضار وأثناء رقدة القبر، وحين البعث ووقت الحساب، وكلها أوقات لا يمتلك الإنسان أثناءها قوة في نفسه ولا يجد له ناصراً من حوله"، **من آيات الإعجاز العلمي خلق الإنسان في القرآن الكريم**، ص٣٦٤.

كونه منشأ من موات، وهو ينكر إنشاءه من موات، وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها[1]"، ولهذا قال رب العزة: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) وساق الأدلة والحجج للرد عليهم:

الدليل الأول: الاعتبار بالنشأة الأولى، وأنه تعالى لا يتعاظمه شيء من خلق المبدأ والمعاد، قال الشنقيطي: " **ولأجل قوة دلالة هذا البرهان المذكور على البعث بيّن جل وعلا أن من أنكر البعث فهو ناس للإيجاد الأول كقوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ) إذ لو تذكر الإيجاد الأول على الحقيقة لما أمكنه إنكار الإيجاد الثاني**[2]".

والإعادة أيسر كما بينه تعالى في سورة الروم، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾[3].

الدليل الثاني: وقوله تعالى: (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) وهو أنه تعالى خالق المخلوقات عليم بها قبل خلقه وبعده، والذي يعجز عن الإعادة يكون جاهلاً والله تعالى علمه محيط بجميع مخلوقاته في كل أحوالها، ويعلم ما تنقص الأرض منهم وكل شيء عنده في كتاب حفيظ، فلا تخفى عليه خافية، ولا يخرج عن علمه شيء، وجيء بهذا الدليل بطريقة التقرير الذي دل عليه الاستفهام التقريري لوضوحه، ولا يسع المقر إلا الإقرار به.

الدليل الثالث: وهو (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ) فهو سبحانه خلق الشجر الأخضر، وفيه الرطوبة والتي يلزم منها البرودة، وجعل هذا الشجر تخرج منه

---

[1] الزمخشري: **الكشاف**، المجلد٢، ج٤، ص٢٤.

[2] الشنقيطي: **أضواء البيان**، ج٥، ص١٤.

[3] وفي معنى الآية قوله صلى الله عليه وسلم " قَالَ اللَّهُ : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ ، وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ" أخرجه البخاري، في **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الإخلاص، ص٧١٣، رقم(٤٩٧٤).

النار إذا يبس، فاليابس الحار متولد من رطب بارد، لا يخفى ما بينهما من التنافر والتضاد فإذا هذا التوالد بين المتضادين، فكيف يعجز عن إحياء العظام وهي رميم، حيث أن البعث هو إخراج الجسم الحي المشتمل على الحرارة والرطوبة من عظم نخر، استولت عليه طبيعة التراب الباردة اليابسة، وهذا إخراج ضد من ضد.

وهكذا تأتي براهين القرآن قوية، واضح فيها إبطال الشبهات بما يلامس واقع المنكرين.

والدليل الرابع: هو خلق السماوات والأرض، فإنهما أكبر من الإنسان، فالقادر على خلقهما قادر على ما هو أصغر منه، وهذا أمر معلوم بالمشاهدة، والاستفهام هنا للتقرير وأجاب رب العزة نفسه فقال: (بَلَى)، فالذي خلق هذه الأجرام العظيمة ومنافعهما، هو أولى وأحرى على ما هو أيسر منها.

والدليل الخامس: قوله تعالى: (وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) والخلاق: صيغة مبالغة، فهو سبحانه كثير الخلق، ذو الخلق المتقن على أتم وجه وأكمله، ولا يستطيع أحد أن يحصي ما خلقه الله جل وعز، ومن خلق الله إعادة الحباة بعد الموت.

ثم قال جل وعز: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)، قال ابن عاشور:

" **وهذه فذلكة الاستدلال، وفصل المقال، فلذلك فصلت عما قبلها كما تفصل جملة النتيجة عن جملتي القياس، فقد نتج مما تقدم أنه تعالى إذا أراد شيئاَ تعلقت قدرته بإيجاده بالأمر التكويني المعبر عن تقريبه بـ (كن)، وهو أخصر كلمة تعبر عن الأمر بالكون، أي الاتصاف**

بالوجود[1]"، وقوله: (شَيْئًا) نكرة في سياق الشرط تفيد العموم في كل شيء، ومنها إحياء الموتى، فإذا قال للشيء كن كان في الحال من غير تمانع، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه غيره[2].

وهكذا نجد الآيات القرآنية تجمع في دلالتها على عدد من الحجج في أصول الاعتقاد، فإثبات اليوم الأخر هو إثبات لأسماء الله تعالى وصفاته، ويتضمن إثبات الربوبية الذي يستلزم توحيد الألوهية، وكما مر في البحث فإن إرسال الرسل هو من معاني الربوبية.

وتكون الحجة البرهانية في قوله تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ):

- الله قادر على الإيجاد من العدم.
- القادر على الإيجاد من العدم قادر على الإحياء بعد الموت.
- إذن الله قادر على الإحياء بعد الموت.

وتكون الحجة البرهانية في قوله تعالى: (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ):

- لو كان الله عليماً بأحوال المخلوقات لقدر على إحيائها بعد الممات.
- ولكنه عليم بأحوال المخوقات.
- إذن الله قادر على إحيائها بعد الممات.

ويكون مسلك الحجة البرهانية في قوله تعالى: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم):

---

(1) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، الملجد٩، ج٢٣، ص٧٩.

(2) ينظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٣٠٦، وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٧، ٢٦٧-٢٦٨، والطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٥٢٤-٥٢٦، **والجذل في علم الجدل**، ص٢٠٤، والخازن: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج٤، ص١٣، وابن جزي، **التسهيل في علوم التنزيل**، ج٢، ص٢٢٧، والسعدي، **تفسير السعدي**، ص٨٧٨-٨٧٩، وابن عثيمين، **الكنز الثمين**، ج١٠، ص٥٥٤-٥٥٨، والصابوني: **صفوة التفاسير**، ج٣، ص٢٥.

- الله قادر على خلق السماوات والأرض.
- القادر على خلق السماوات والأرض قادر على الإحياء بعد الموت.
- إذن الله قادر على إحياء الموتى.

وتكون الحجة البرهانية في قوله تعالى: (وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ):

- إذا كان الله قادراً على الصنع المتقن، فإحياء الموتى من الصنع المتقن.
- ولكن الله قادر على الصنع المتقن.
- إذن الله قادر على إحياء الموتى.

وتكون الحجة البرهانية في قوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ):

- إذا كان الله أمره كن فيكون، فالله قادر على إحياء الموتى.
- ولكن الله أمره كن فيكون.
- إذن الله قادر على إحياء الموتى.

رابعاً: قياس الإعادة على نمو الأحياء

هذا القياس ذكره الرازي عند تفسيره قوله تعالى في سورة يونس: ﴿إِلَيهِ مَرجِعُكُم جَميعًا وَعدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ لِيَجزِيَ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ بِالقِسطِ وَالَّذينَ كَفَروا لَهُم شَرابٌ مِن حَميمٍ وَعَذابٌ أَليمٌ بِما كانوا يَكفُرونَ ﴿٤﴾﴾، قال الرازي في ذكر المسائل في الآية: " **ما يجده كل واحد منا من نفسه من الزيادة والنمو بسبب السمن، ومن النقصان والذبول بسبب الهزال، ثم إنه يعود لحالته الأولى بالسمن. فإذا ثبت هذا فنقول: ما جاز أن يكون بعضه لم يمتنع أيضاً تكون كله، ولما ثبت هذا ظهر أن الإعادة غير ممتنعة، وإليه الإشارة بقوله تعالى:**

﴿**وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٦١﴾﴾ **(سورة الواقعة)**[١]"، ويقول الطبري في آية الواقعة: " **ونبدلكم عما تعلمون من أنفسكم فيما لا تعلمون منها من الصور وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل**[٢]".

وقال البقاعي: ننشئكم: إنشاء جديداً، فبعضكم قد تأكله السباع وغيرها فتنشأ منها أبدانه، وبعضهم يصير ترابه من معادن الأرض، أو نباتاً تأكله الحيوانات[٣].

ويقول البيضاوي في الآية التي تليها ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾: "**ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فإنها أقل صنعاً لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال فيه دليل على صحة القياس**[٤]".

وهنا يكون المعنى في أقوال المفسرين قياس المعاد على البدء.

وهذا – والله أعلى وأعلم– أن الرازي لسعة ملازمته للعلوم العقلية وبداهته فيها تصور أن الشعور بالسمنة ونمو الجسم ملزم عقلاً لقياس الإعادة عليه، وإن كان الإنسان يجد من نفسه الزيادة في النمو هل هذا يعني أن الضروريات في العقل عند العامة تصل إلى إثبات البعث؟ والله أعلم وأعلى أن العامة قد لا يدركون هذا بضرورياتهم العقلية.

---

(١) الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج١٧، ص١٨.

(٢) الطبري: **جامع البيان**، ج١٠، ص٦٣٨، ووافقه البغوي: **معالم التنزيل**، ص١٢٧١.

(٣) ينظر: البقاعي: **نظم الدرر**، ج٧، ص٤١٦-٤١٧.

(٤) البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٤٨٤.

٣.٢.٣ المطلب الثالث: الحجة البرهانية على عدل الله وحكمته في إثبات البعث

" **في هذه الموجودات أفعال منتظمة، والفعل المنتظم لا يكون بلا فاعل، لذا فلها فاعل، ولما كان الفاعل يفعل فعله بانتظام، والنظام يلزم أن يكون حكيماً عادلاً، وحيث إنه حكيم، فلا يفعل عبثاً، وحيث إنه يفعل بالعدالة، فلا يضيع الحقوق، فلا بد إذن من محشر أكبر ومحكمة كبرى**[١]".

وعليه فيمكن إثبات البعث على عدل الله وحكمته بدلالة الالتزام[٢]، فبمقتضى عدل الله وحكمته، وأنه تعالى حرّم الظلم على نفسه، حيث قال في الحديث القدسي: " يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا[٣]".

فمادام الله تعالى موجوداً، وما دامت الربوبية المطلقة بما فيها من جلال وعدل وحكمة تظهر في الكائنات، فلابد أن هناك حياة أبدية تنفي عن الربوبية المطلقة والحكمة الإلهية العبث والظلم، فتلك الدار موجودة قطعاً، ولابد من الدخول فيها[٤].

وهكذا فإن الله تعالى الحكيم منزه عن أن يخلق السماء والأرض لهواً ولعباً، ويرسل الرسل وينزل الكتب بلا قصد ولا غاية، بل إن الكون كله وما فيه هو من علم الله وحكمته ولغاية مقصودة،

---

(١) النورسي: **الملاحق**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة، دار سوزلر، ط٧، ٢٠١٤م)، ص٦٩.

(٢) "دلالة الالتزام هي دلالة اللفظ على معنى خارج عن معناه الحقيقي أو المجازي، إلا أنه لازم له عقلاً أو عرفاً، وسميت دلالة التزام لأن المعنى المستفاد لم يدل عليه اللفظ مباشرة، ولكن معناه يلزم منه العقل أو في العرف هذا المعنى مستفاد" حبنكة: **ضوابط المعرفة**، ص٢٩.

(٣) أخرجه مسلم: في **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، ص٩٧٢، رقم (٦٥٧٢).
قال ابن تيمية: " كان الإمام أحمد يقول: هو أشرف حديث لأهل الشام، وكان أبو إدريس الخولاني إذا حدث به جثا على ركبتيه"، **مجموعة الفتاوى**، ج٩، ص٩١.

(٤) ينظر: النورسي: **الشعاعت**، ص٢٢٠.

وقد أكدت الآيات القرآنية ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَما خَلَقنَا السَّماءَ وَالأَرضَ وَما بَينَهُما لاعِبينَ ﴿١٦﴾ لَو أَرَدنا أَن نَتَّخِذَ لَهوًا لَاتَّخَذناهُ مِن لَدُنّا إِن كُنّا فاعِلينَ ﴿١٧﴾ (سورة الأنبياء)، **قال ابن عاشور: " كثر في القرآن تنبيه العقول إلى الحكمة والغاية من خلق السماوات والأرض، وبين جزاء المكلفين على أعمالهم، وإلى الحكمة التي اقتضت أن تكون هناك حياة أبدية تلقى فيها النفوس جزاء ما قدمته في الحياة الزائلة جزاءاً وفاقاً، فلذلك كثر تعقب الآيات التي تبين ما في الخلق من الحق بالآيات التي تذكر الجزاء والحساب، والعكس، كقوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ (سورة المؤمنون)**[١].

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ (سورة الزلزلة)، وحيث إنه تعالى نفى عن نفسه المقدسة العبث، وأثبت عدله وحكمته في محاسبة كل نفس على عملها، فترجع الأدلة العقلية الشرعية لتقرير الجزاء والحساب يوم القيامة إلى صفتين من صفات الباري جل وعز[٢]:

١. كمال عدله سبحانه وتنزهه عن الظلم[٣].

٢. كمال حكمته المستلزمة تنزهه عن العبث واللعب، " **فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام**[٤]"، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّـهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ (سورة

---

(١) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٧، ج١٧، ص٣٠.
بيّن البحث في "الحجة الجدلية" أن الإنسان لو خلى بينه وبين عقله المجرد دون دافع خارجي لتبين له أن هذا أمر ضروري.

(٢) وتدخل في صفات وأسماء لله تعالى في هذا الباب منها: الرحمة –الرحمن–الرحيم–، والملك، المهيمن، وغيرها.

(٣) ذكر البحث عند التعريف بالحجة الجدلية أن إثبات البعث من عدل الله حجة جدلية، وهنا يتأكد أن حجج القرآن هي حجج برهانية، وإن كانت في علم المنطق بمسميات أخرى.

(٤) الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص١٣٤.

التين)، وجاء هنا بلفظ (بِأَحْكَمِ) وهو المثل الأعلى في الصفة كما مر في موضع سابق من البحث.

قال تعالى: ﴿ وَما خَلَقنَا السَّماواتِ وَالأَرضَ وَما بَينَهُما إِلّا بِالحَقِ وَإِنَّ السّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصفَحِ الصَّفحَ الجَميلَ ﴿٨٥﴾ (سورة الحجر)، هذه الآية تدل على أنه سبحانه ما خلق السماوات والأرض إلا بالعدل خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة، ولم يخلقهما عبثاً وباطلاً، بل لواجب مقصود وأغراض لها نهايات من نعيم وعقاب، وهذا يقتضي الإنصاف يوم الجزاء على الأعمال، وأنه خلقهما بالحق للزوال والفناء، ليجازى المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على سيئاته، فذكر الله تعالى في هذه السورة قصص السابقين، وأنه تعالى أنزل على المكذبين عقابه ليس ظلماً وجوراً إنما بما كسبت أيديهم ، وكان هذا جزاؤهم في الدنيا وتعجيلاً لهم بالعذاب، وفي ذلك تسلية وتصبير للرسول صلى الله عليه وسلم، وبيان أن خَلْق السماوات والأرض بالحق لا يلائم استمرار الفساد والشرور، فلا بد من إزاحتهم، وأن الساعة لكائنة ويجزى كلٌ بعمله، فقوله : (وَإِنَّ السّاعَةَ لَآتِيَةٌ) انتقال من تهديد المكذبين بعذاب الدنيا إلى تعذيبهم بعذاب الآخرة، وجاءت مؤكدة للرد على منكري البعث[1].

بقول ابن عاشور: " **فاعلم أن وراء هذا النظام نظاماً مدخراً يتصل فيه الحق بكل مستحق، إن خيراً وإن شراً، فلا يحسبن من فات الذين ظلموا قبل حلول العذاب بهم مفلتاً من الجزاء، فإن الله قد أعد عالماً آخر يعطي فيه الأمور مستحقيها[2]**".

---

[1] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٧، ص١٠٧، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٥٩٢، والزمخشري: **الكشاف**، المجلد١، ج٢، ص٤٣٠، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٥، ص٣١٥، والرازي: **مفاتيح الغيب**، ج١٩، ص٢١٠، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد٢، ج٥، ص٢٨٧، وطنطاوي: محمد السيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (د.م، د.ن، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ج١٤، ص٨٨-٨٩، وعباس: **تفسير القرآن المجيد**، ج٣، ص١١٨٠، ونخبة من العلماء: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة، مطبعة المصحف الشريف، ط٣، ١٣١٤هـ-١٩٩٢م)، ج٢، ص٥٧٤-٥٧٥.

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٦، ج١٤، ص٧٦.

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- إذا كان الله تعالى خلق العباد لغاية وحكمة، فهو يبعثهم للحساب.
- ولكن الله تعالى خلق العباد لغاية وحكمة.
- إذن هو سبحانه يبعثهم للحساب.

وعند قوله تعالى: ﴿إِلَيهِ مَرجِعُكُم جَميعًا وَعدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ لِيَجزِيَ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ بِالقِسطِ وَالَّذينَ كَفَروا لَهُم شَرابٌ مِن حَميمٍ وَعَذابٌ أَليمٌ بِما كانوا يَكفُرونَ ﴿٤﴾﴾ (سورة يونس)، يقول الرازي: أعطى الله تعالى الخلق عقولاً يميزون بها ما ينفعهم وما يضرهم، ويعرفون الحسن من القبيح، وإذا ثبت هذا فمن الواجب في حكمته أن يرغبهم في الطاعات وما فيه منفعتهم، وهذا لا يكون إلا بربطها بالثواب، وكذلك ربط السيئات بالعقاب للزجر عنها، وهذا الجزاء المرتبط بالعمل غير حاصل في الدنيا في كثير من الأحيان والوقائع وهو ومشاهد عند البشر[١]، فعليه لزم أن يكون هناك دار أخرى كل يأخذ حقه ولا يُظلم فيها أحد.

ويقول تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾[٢] (سورة الزمر).

تكلمت الآية عن جزاء الظالمين في سياق التحذير من ذلك اليوم، ويخوف الله عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم[٣]، فالله تعالى يخوفهم باليوم الآخر وما فيه من العذاب ليحذروه، ثم

---

[١] كثير ممن لا يدرك حكمة الله وعدله تكون المصائب نفسها والبلايا سبب لإلحاده وإنكار الإله ولا يتصور اليوم الآخر داراً خاصة للجزاء. ينظر: عامري: سامي: **مشكلة الشر ووجود الله الرد على أبرز شبهات الملاحدة**، (الخبر، تكوين للدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م)، عرض الشبهة والرد عليها، وبيّن أن عدل الله ورحمته يتنافى مع ما يظهر للناس من شرور في هذه الدنيا، أما عقيدة المسلم التي تمتلك فكره وعواطفه هي زاده لإكمال المسير في هذه الحياة، ووقود جوارحه في سعيه إلى غايته الكبرى، والتي هي النجاح في امتحان الحياة.

[٢] الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج١٧، ص٢٠.

[٣] ينظر: ابن كثير: **عمدة التفسير**، ج٣، ص١٢٦.

قال بعد هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّـهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾، ففيها البشارة لمن اتقى الله والتزم أمره، ثم أثنى على من اتعظ فيما سمع ووصفهم بأنهم أولو العقول والبصائر، قال ابن جزي: " **والقصد الثناء على هؤلاء ببصائر ونظر سديد يفرقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، فيتبعون الأحسن في ذلك**[١]"، وهذا يؤكد أن عقولهم عندها من العلوم الضرورية ما يؤكد أنها قادرة على الإيمان باليوم الآخر عقلاً، إضافة إلى الدليل السمعي من الشرع، فضلاً عن أن الإنسان بطبعه يسعى لأخذ حقه –سواء أكان حقه فعلاً أم ظناً– ولهذا فإن الدول اليوم أنشأت الهيئات والمؤسسات والشُرط والمحاكم لإعطاء الناس حقوقهم، فكيف يغيب عن ذي لب أن الله أحكم الحاكمين جامع الناس ليوم الجزاء.

ويكون مسلك الحجة البرهانية في الآية:

- إذا أعطى الله الناس عقولاً يميزون بها الحق من الباطل، فكان من عدله وحكمته أن يجازيهم على أعمالهم.
- ولكنه أعطاهم عقولاً يميزون بها الحق من الباطل.
- إذن فهو سبحانه يجازيهم على أعمالهم.

---

[١] ابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج٢، ص٢٦٧.

المبحث الثالث: الحجة البرهانية في الملائكة

من العقائد التي مصدرها الأساس هو الخبر عن الله تعالى وجود الملائكة، وما يتعلق بخلقهم وأعمالهم وعبادتهم ومكانتهم عند الله وغير ذلك، وهنا يعرض البحث التعريف بالملائكة وتأكيد وجودهم ومكانتهم.

٣.٣.١ المطلب الأول: تعريف الملائكة

- الملائكة لغة:

ملك: الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء، وألك والألوك الرسالة، وإنما سميت الرسالة ألوكة ومألكة لأنها تؤلك في الفم، من قولهم: يألك اللجام ويعلكه، ومنه ألكني أي أبلغه رسالتي، والملائكة: جمع: ملأكة، وملأك، ثم ترك الهمز، والملائكة تقع على الواحد والجمع[١].

قال الطبري: "**فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت إليه من عباده**[٢]".

- الملائكة اصطلاحاً:

المَلَك:" **جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة**[٣]".

---

[١] ينظر: الأزهري: **معجم تهذيب اللغة**، ج١، ص١٨٤، مادة (ألك)، والأصفهاني: **المفردات**، ص٣١، (ألك)، وابن فارس: **مقاييس اللغة**، ج٥، ص٣٥١، (ملك)، والمقري: **المصباح المنير**، ص١٧، كتاب الألف.

[٢] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١، ٣٢٢.

[٣] الجرجاني: **معجم التعريفات**، ص١٩٣.

صفات الملائكة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ[1]"، فهي مخلوقاتٌ لله تعالى سماويَّة نورانيَّة قال تعالى في خلقها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ (سورة فاطر)، فالملائكة هي مخلوقات عظيمة قويَّة عاقلة متكلمة مريدة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (سورة البقرة)، وهم مَجبُولون على الطاعة لله تعالى، لا يعصون الله ما أمرهم، يخشون الله تعالى ويعظمونه، قال تعالى: ﴿ وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحمنُ وَلَدًا سُبحانَهُ بَل عِبادٌ مُكرَمونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسبِقونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلونَ ﴿٢٧﴾ يَعلَمُ ما بَينَ أَيديهِم وَما خَلفَهُم وَلا يَشفَعونَ إِلّا لِمَنِ ارتَضى وَهُم مِن خَشيَتِهِ مُشفِقونَ ﴿٢٨﴾ (سورة الأنبياء).

وهم رسل الله تعالى، اصطفاهم لتنفيذ أمره الكوني، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ (سورة الحج)، ولهم وظائف كثيرة.

---

[1] أخرجه مسلم، في **صحيح مسلم**، كتاب: الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، ص١١٧، رقم (٧٤٩٥).

٣.٣.٢ المطلب الثاني: وجود الملائكة ومكانتهم[١]

يرى بديع الزمان النورسي " **أن هناك إجماعاً ضمنياَ- مع تباين التعبير- على وجود حقيقة الملائكة وثبوت العالم الروحاني، بين أهل العقل والنقل كافة، سواء علموا أم لم يعلموا، حتى المشاؤون من الفلاسفة الإشراقيين الذين أوغلوا بالماديات، إذ عبروا عن معنى الملائكة بقولهم: " إن هناك ماهية مجردة، روحية لكل نوع"، وآخرون عندما اضطروا لقبول معنى الملائكة أطلقوا عليهم خطأ: " العقول العشرة أرباب الأنواع[٢]"**.

أولاً: وجود الملائكة

وقد بينت الآيات القرآنية وجود الملائكة وحقيقتهم في عدد من الآيات، قال تعالى حكاية عن المشركين في طلبهم أن يكون النبي من الملائكة ليؤمنوا به: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴿٩﴾ (سورة الأنعام)، نزلت هذه الآيات في سياق مشركي العرب الذين طلبوا أن يرسل الله رسولاً من الملائكة بدلاً عن الرسول البشري، لزعمهم أن الله لو بعث إلى الخلق رسولاً لوجب أن يكون من الملائكة لأن علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم، ولهم امتياز عن الخلق، وهذا يؤكد أنه كان لهم علم بالملائكة لا شك فيه، فأجاب تعالى عن هذه الشبهة بوجهين:

---

[١] ذكر النورسي في كتابه "**الكلمات**"، الكلمة التاسعة والعشرون: "التصديق بالملائكة ركن من أركان الإيمان"، وساق عدداً من الأسس العقلية على وجودها وضرورته المتوافقة مع الربوبية والقدرة الإلهية، ص٥٨٦-٥٩٧، ويكون إثبات الحجة في البحث للرد على منكري عالم النبوة مما ابتليت بهم الأمة اليوم، وإلا فعالم الملائكة لم تنكره الأمم السابقة ولا حتى الفلاسفة وإن كان لهم تعريف مغاير لأهل السنة والجماعة، ينظر: ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، المجلد٥، ج٩، ص٥٨.

[٢] النورسي: **الكلمات**، ص٥٩١.

الأولى: (وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ) فلو نزل عليهم الملائكة فربما لا يؤمنوا، وإذا لم يؤمنوا فقد وجب هلاكهم بعذاب الاستئصال، وأيضاً فإنهم لو شاهدوا الملائكة لزهقت أرواحهم من هول ما شاهدوا[١]، فضلاً عن أن مشاهدتهم لهم تزيل قاعدة التكليف فوجب هلاكهم.

الثانية: أن إنزال الملك يقوي الشبهات لأن كل معجزة ظهرت لهم ردوها.

وقد علم الله تعالى أنهم لن يطيقوا رؤيتهم ولا يستطيعونها، بل لو أنزل الله عليهم ملكاً لجعله رجلاً في الصورة البشرية، ومعنى "ثُم" بعد ما بين الأمرين: قضاء الأمر، وعدم الإنظار، جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر، لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة، وفي هذا تأكيد على أن البشر لا قدرة لهم على رؤية الملائكة[٢] ولكنها موجودة معلومة عند المخاطبين، وقد كانت تأتي الملائكة الأنبياء في صورة الإنس، كما في حديث جبريل[٣]، وجاءت الملائكة داود وإبراهيم ولوطاً عليهم السلام في صورة الإنس[٤]، وفي إيثار (رجلاً) على (بشر) لأن الجعل سيكون بطريقة التمثيل لا بطريقة القلب، وتعيين ما يقع به التمثيل[٥].

ويكون مسلك الحجة البرهانية في الآية:

---

[١] محمد صلى الله عليه وسلم عندما رأى جبريل عليه السلام في صورته الحقيقية خشي على نفسه، والحديث في **صحيح البخاري:** كتاب: بدء الوحي، باب: كيف بدأ الوحي، ص٥-٦، رقم (١).

[٢] يرى الشعراوي رحمه الله أن في هذه الآية رد على من ادعى ألوهية عيسى عليه السلام أو بنوته لله تعالى، لأن عيسى عليه السلام طالبهم أن يفعلوا مثله وهذا يستلزم بشريته، ينظر: **تفسير الشعراوي**، ج٦، ص٢٣٠.

[٣] تم تخريج الحديث في موقع سابق في البحث.

[٤] قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ (سورة ص)، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ (سورة الذاريات)، ﴿ فَلَمّا جاءَ آلَ لوطٍ المُرسَلونَ ﴿٦١﴾ قالَ إِنَّكُم قَومٌ مُنكَرونَ ﴿٦٢﴾ (سورة الحجر).

[٥] ينظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٣٢٨، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٣، ص٣١٧، والنووي: محي الدين أبو زكريا، **مراح لبيد تفسير النووي التفسير المنير لمعالم التنزيل**، (د.م، دار الفكر، د.ط، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)، ج١، ص٢٣٢، والنسفي: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٤٩٢، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٢، ص٣٥١، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**: ج٦، ص٢٣٠-٢٣١.

- لو كان أمر الملائكة معروف عند العرب ومن سبقهم لكان أمر الملائكة متواتر لا يمكن نفيه.
- لكن أمر الملائكة متواتر عند العرب ومن سبقهم.
- إذن عالم الملائكة ووجودهم حقيقي معروف عند العرب ومن سبقهم.

وبيّن تعالى في سورة النجم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام في صورته الملائكية، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴿١٤﴾.

يؤكد تعالى في هذه الآية خبر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام مرة أخرى، لنفي الشك والارتياب، وتأكيد القسم بلام القسم وحرف التحقيق لأجل الغرابة في الخبر وهو من الأهمية إذ فيه بيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، ورؤيته جبريل عليه السلام وهو بالأفق الأعلى أي: أفق السماء الذي هو أعلى من الأرض، فجبريل عليه السلام من الأرواح العلوية، التي لا تنالها الشياطين ولا يتمكنون من الوصول إليها، وقد اقترب جبريل عليه السلام من النبي صلى الله عليه وسلم قدر قوسين أو أدنى، وهذا فيه دلالة على كمال المباشرة للرسول صلى الله عليه وسلم والمتلقي منه الرسالة، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عليه السلام[1].

---

[1] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج١٠، ص٤٥١، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، ج٨، ص١٥٥، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٦، ص٤٤٧، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج١٥، ص٥٥٥٦-٥٥٥٧، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١٠٣٤، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد١١، ج٢٧، ص٩٦-٩٧.

وساق البخاري عن مسروق قال: "قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه، هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فقالت: لقد وقف رأس شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب، من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت ﴿لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ ﴿١٠٣﴾ (سورة الأنعام)، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴿٥١﴾ (سورة الشورى)، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴿٣٤﴾ (سورة لقمان)، ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴿٦٧﴾ (سورة المائدة)، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين[(١)]".

ويكون مسلك الحجة البرهانية في الآية: **التناقض.**

حيث إن من أنكر وجود الملائكة لأنه لم يسبق لأحد رؤيتهم أبداً، (سالبة كلية) فيكفي في نقضها إثبات أن واحداً من البشر رأى الملائكة (موجبة جزئية)، فما أثبت تعالى من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام فهذا يثبت وجودهم، وإن لم يرهم البشر.

ثانياً: مكانة الملائكة عند الله

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وهم من مخلوقات الله العظيمة التي خلقها الله لعبادته ولهم مكانة عالية عند الله قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ (سورة البقرة).

---

(١) أخرجه البخاري: في **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، سورة النجم، باب ١١١، ص٦٨٩، رقم (٤٨٥٥).

يعلمنا الله عزَّ وجلَّ في هذه الآية أن اليهود لم يقفوا عند قتل الأنبياء وتحريف التوراة، بل أضمروا العداوة لأعظم الملائكة الذين اصطفاهم الله تعالى للوحي، وزعموا أن منعهم من الإيمان هو نزول جبريل عليه السلام بالقرآن، ومن عجيب تهافت اعتقادهم أنهم يثبتونه ملكاً مرسلاً من الله بالوحي، ثم هم يبغضونه ويعترضون على ذلك، وهذا من أدنى درجات الانحطاط في العقيدة والعقل، وفي قوله تعالى (قُلْ) تثبيتٌ لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، وتوبيخٌ لمن يعادي جبريل عليه السلام، وقوله (نَزَّلَهُ) ردٌ على من عاداه عليه السلام، إذ لا وجه لمعاداته، فقد نزل بما يصدق الكتب السابقة على النبي صلى الله علسه وسلم، وهذا موجب لمحبته وتعظيمه، ثم قال: (وَهُدًى وَبُشْرَى) فهو هاد لطريق الفلاح والنجاح والفوز، ولا يرفضه عاقل، وفي الآية دلالة على شرف جبريل عليه السلام ومكانته.

وفي قوله تعالى: (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَال) صدر سبحانه الكلام باسمه الجليل تفخيماً لشأن ملائكته ورسله، وبيان أن عداوتهم هي عداوة لله تعالى، وعداوة الله للعبد تعذيبه، وإظهار العداوة عليه، وأفرد سبحانه بالذكر جبريل وميكال رغم اندراجهما تحت عموم الملائكة، تشريفاً لهما، ولبيان أن معادة أحدهما هي معاداة للملائكة جميعاً، والكفر بأحدهما كفر بهم جميعاً، فمعاداة الملائكة والأنبياء كفر وهذا حكم الله.

وفي الآية دليل على فضل جبريل عليه السلام، ودفاع الله عنه، وأنه ولي لله تعالى حيث قال: (نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ)[1].

---

[1] ينظر: الزمخشري: **الكشاف**، المجلد١، ج١، ص١٣٠-١٣١، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج١، ص٢٩٤-٢٩٥، وابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص٧٦، والقنوجي: **فتح البيان**، ج١، ١٦٤-١٦٥، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٣، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص٧٢، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج١، ص٤٠٣-٤٠٤، وابن عثيمين: **الكنز الثمين**، ج١، ص٢٦٦-٢٧٨.

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- جبريل ولي الله.
- كل اليهود يعادون جبريل.
- اليهود يعادون أولياء الله.

وهكذا ثبتت مكانة جبريل عليه السلام والملائكة جميعاً عند الله تعالى، ومن عاداهم فقد عادى رب العزة والملكوت.

قال الطوفي: " **الآيتان فيهما إثبات الملائكة، وهو أحد أركان أصول الدين ومتعلقات الاعتقاد، ...... ونصوص الكتب الإلهية، وإجماع الأنبياء والرسل على إثبات الملائكة حجة**[1].

---

[1] الطوفي: **الإشارات الإلهية**، ص٦٢.

المبحث الرابع: الحجة البرهانية في القضاء والقدر

إن الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان كما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة، أما دلالة القرآن على ضرورة الإيمان بالقضاء والقد فلم تأت صريحة، وإنما أتت ضمن آيات تتعلق بفعل الله تعالى وأمره.

٣.٤.١ المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر

- القضاء لغة:

قال ابن فارس في مادة (قضى): "**القاف، والضاد، والحرف المعتل؛ أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾** (سورة فصلت)، **أي أحكم خلقهن**[١]".

- القضاء اصطلاحاً: الحكم، ولذلك سمي القاضي قاضياً، وهو إلزام من له إلزام بحكم الشرع، ولذلك سمي القاضي قاضياً[٢].
- القضاء شرعاً: "**إنفاذ المقدر**[٣]".
- القدر لغة:

قال ابن فارس: " **القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه**[٤]"، وهو محركة القضاء، والحكم، ومبلغ الشيء، قدرت الشيء قدراً من بابي ضرب وقتل، ومنه القدرة، إذا

---

[١] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، ج٥، ص٩٩.

[٢] المناوي: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٢٧٢.

[٣] ينظر ابن فارس: **المرجع السابق**، وكذا: المناوي: **المرجع السابق**.

[٤] ابن فارس: **المرجع السابق**، ص٦٢.

وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له يتمكن بها من فعل شيء ما، وإن وُصف بها الله تعالى فهي نفي العجز [1].

- القدر اصطلاحاً:

قضاء الله تعالى الأشياء على نهاياتها التي أراد لها، وتعلق الإرادة الذاتية بالشيء في وقته الخاص، فتعلق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين عبارة عن القدر [2].

يقول ابن حجر: " **إن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته**[3]".

ونلحظ أن القضاء والقدر كل منهما بمعنى الآخر، فالقضاء إحكام الشيء وإتقانه، والقدر التقدير والحكم والخلق، وقد يقال: القدر ما قدره الله ثم خلقه وأوجده وهو القضاء، ولذا فالقضاء الذي يُرد كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث سلمان الفارسي: " **لا يَرُدُّ القضاءَ إلَّا الدُّعَاء** [4]".

وقد جاء أن الذي يُرد هو القدر، وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ".... **وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ**[5]"، ويكون هو القضاء الذي علم الله تعالى أنه لا يقع.

---

[1] ينظر: الأزهري: **معجم تهذيب اللغة**، ج٣، ص٢٨٩٦، والأصفهاني: **مفردات غريب القرآن**، ص٣٩٥، والفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، ص١٢٣٤، والمقري: **المصباح المنير**، ص٣٠٦.

[2] ينظر: ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، ج٥، ص٢٦، وابن تيمية: **مجموعة الفتاوي**، المجلد٤، ج٨، والمناوي: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٢٦٨.

[3] ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج١، ص١٥٨.

[4] أخرجه الترمذي، في **سنن الترمذي**، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، (الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ص٤٢٨، رقم (٢١٣٩)، وقال حديث حسن غريب.

[5] أخرجه ابن ماجه، في **سنن ابن ماجه**، كتاب المقدمة، باب: في القدر، ص٢٩، رقم (٩٠)، حديث حسن.

قال الدكتور عمر الأشقر في تعريف القضاء والقدر: "**إيجاد الله الأشياء على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها طبق ما سبق به العلم وجرى به القلم**[1]".

فهو الإيمان بعلم الله وكتابته لما سبق علمه به، ومشيئته الشاملة وقدرته النافذة وأنه تعالى خالق كل شيء ومنه أفعال العباد.

فالقدرُ نوعان:

١. قدر قدره الله وعلمه ولا بد أن يكون لا يرده شيء ولا يدفعه دعاء ولا غيره.

٢. وقدر: جعل الله تعالى له أسباباً تدفعه، وجعل من قبيل الحصر[2] الدعاء، وفيه بيان فضل الدعاء في دفع الضرر.

٣.٤.٢ المطلب الثاني: القضاء والقدر من العقيدة

مما لا خلاف فيه أن الإيمان بالقضاء والقدر من صلب العقيدة، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (سورة البقرة).

ونلاحظ في الآية أن الأصل السادس في العقيدة- الإيمان بالقضاء والقدر- لم يُذكر في الآية صريحاً، مع التصريح به في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم[3]، وهذا يعود إلى أمرين:

---

(1) الأشقر: عمر سليمان، **القضاء والقدر**، (الكويت، دار النفائس، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ص٢٥.

(2) الحصر: هو تخصيص شيء بشيء بإحدى الطرق ومنها النفي والاستثناء، كما في الحديث، ينظر: القلاش: أحمد: **تيسير البلاغة**، (د.م، د.ن، د.ط، د.ت)، ص٣٥-٣٦.

(3) ما أخرجه مسلم، في **صحيح مسلم**، من حديث ابن عمر عن أبيه من حديث جبريل: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)، كتاب الإيمان، باب: الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه، ص٢٩، رقم (٩٣).

١. أن القضاء من أمر الله وعلمه وهو توحيد الربوبية، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمرًا مَقضِيًّا ﴿٢١﴾ (سورة مريم)، وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ (سورة البقرة)، وقوله تعالى في سورة القمر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ فهي من صفات الرب، ومن جملة ما قال: (بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ)، وهو ما تضمن الإيمان بجميع ما أخبر به جل وعز عن نفسه، وما جاءت به الرسل من صفات كماله على وجه التفصيل أو الإجمال، وتنزيهه تعالى عن كل نقص وعيب، وما جاء به الشرع جملة وتفصيلاً، وما جاء بالكتب من الأخبار والنواهي، والإيمان بجميع الرسل وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله، حتى نسخ الله الجميع بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم[1]، ويقول الآلوسي: " **تعلق إيمانه عليه الصلاة والسلام بتفاصيل ما أنزل إليه وإحاطته بجميع ما انطوى عليه مما لا يكتنه كنهه، ولا تصل الأفكار وإن حلقت إليه، قد بلغ من الظهور إلى حيث استُغني عن ذكره، واكتُفي عن بيانه، وفي تقديم الانتهاء على الابتداء مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من التعظيم لقدره الشريف والتنويه برفعة محله المنيف**[2]".

ويقول الخطابي: " **القدر اسم لما صار مقدَّرا عن فعل القادر... والقضاء في هذا معناه الخلق، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴿١٢﴾ (سورة فصلت)، أي: خلقهن**[3]".

---

(1) ينظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٣٠٩-٣١٠، والسعدي: **تفسير السعدي**، ص١٤٧.

(2) الآلوسي: **روح المعاني**، ج٢، ص٩١.

(3) الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد البستي: **معالم السنن وهو شرح سنن أبي داوود**، (حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥٢هـ-١٩٣٤م)، ج٤، ص٢٢٢-٢٣٢.

٢. أن القضاء والقدر من جملة ما نزل في الكتب وما جاء به الرسل من الأمر والنهي وهو توحيد الألوهية، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قالوا يا لوطُ إنّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلوا إِلَيكَ فَأَسرِ بِأَهلِكَ بِقِطعٍ مِنَ اللَّيلِ وَلا يَلتَفِت مِنكُم أَحَدٌ إِلَّا امرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصيبُها ما أَصابَهُم إِنَّ مَوعِدَهُمُ الصُّبحُ أَلَيسَ الصُّبحُ بِقَريبٍ﴿٨١﴾ (سورة هود)، قال ابن عاشور: تفريع الأمر بالسرى على جملة (لَن يَصِلوا إِلَيكَ)، فلما بين له سلامته من قومه وسوئهم حسن أن يبين له سلامته في المستقبل واستئصالهم، فذلك موقع فاء التفريع....... وفي قوله: (ما أَصابَهُم) استعمال فعل المضي في معنى الحال، ... لتقريب زمن الماضي من الحال[١]، وهذا يبين أن الأنبياء نزل عليهم أمر الإيمان بالقضاء والقدر، وقد كانوا على وعد من الله ينتظرونه– وعليهم الامتثال– حتى لو طال الأمر لأن ما قدره تعالى يقضيه بأمره متى شاء، وأصول الاعتقاد اتفقت بها كل الشرائع، " **وقرر في الكتب المتقدمة من أصول الدين وشرائعه الجامعة، التي اتفقت عليها الرسل عليهم السلام كالوصايا المذكورة في آخر سورة الأنعام، وأول سورة الأعراف، وسورة سبحان، ونحوها من السور المكية**[٢]".

وكتب ابن تيمية كتابه " التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع"، فمن عنوان الكتاب وجمعه بين القدر والشرع يبين أنه يعده من أمر الله وشرعه، وهو توحيد الألوهية.

---

[١] ينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٥، ج١٢، ص١٣١.

[٢] ابن تيمية: **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ج١، ص٦٤.

٣.٤.٣ المطلب الثالث: الحجة البرهانية في الإيمان بالقضاء والقدر

من الآيات التي جاءت في تحقيق الإيمان بالقضاء والقدر، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا** ﴿٣٨﴾ (سورة الأحزاب).

جاءت الآيات في سياق زواج النبي صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها بعد طلاق زيد بن حارثة لها، والذي كان قبل الإسلام يُسمى زيد بن محمد، ونزلت الآيات القرآنية بإبطال التبني، وكان واقعاً عملياً بزواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها التي كانت في عرف العرب حينها – زوجة ابنه–، وهذا لتحريم التبني بصورة عملية أوقع في القلوب لما كان من تعلق العرب بالتبني.

في قوله تعالى: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) يقول جلال الدين المحلي: كان أمره – مقضيه – مفعولاً، وأمر الله هنا الأمر الكوني[١] لا الشرعي، لأن الشرعي قد يكون أو لا يكون، ولكن الأمر الذي لا بد أن يُفعل هو الأمر الكوني[٢]، وقول غيره من المفسرين يشير إلى الأمر الكوني حيث إنه إنما يعني بذلك أن قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء ماض موجود في الخارج لا محالة[٣]، ولابن عطية، غير هذا حيث قال: ويحتمل أن يكون (الأمر)

---

[١] الأمر الكوني يدخل ضمن توحيد الربوبية وصفات الرب وأفعاله.

[٢] ينظر: الجلالين: **تفسير الجلالين**، ص٤٢٣.

[٣] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٩، ص٢٤١، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٥، ص٣٧٥.

واحد الأمور التي من شأنها أن تفعل، وهو يعني الأمر الشرعي الذي استجاب له الرسول صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها[١].

وسواء أكان أمراً كونياً أو شرعياً فإن الله تعالى قد قدره وقضاه وهو سبحانه فعال لما يريد.

وفي قوله تعال: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) أي: كان أمره قضاء مقضياً، فكان علمه عز وجل قبل أن يخلق الأشياء كلها، فأتمر بعلمه أن يخلق الخلق ويأمرهم وينهاهم، ويجعل للطائع ثواباً وللمعرض عذاباً، وقدر أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وما يصيبهم، ولا يكون في ذلك إلا ما أراد الله في اللوح المحفوظ، (قَدَرًا مَّقْدُورًا) فالله شاء أمراً ليمضي به وقدّره، أمراً يرضاه من عباده في طاعته، فمن اتبع أمر الله فهذا قدر الله فيه، ومن أعرض وتكبر فهذا قدر الله وأمره.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجِنِّ ﴿١٧٩﴾ (سورة الأعراف)، وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَأَقسَموا بِاللَّهِ جَهدَ أَيمانِهِم لَئِن جاءَتهُم آيَةٌ لَيُؤمِنُنَّ بِها قُل إِنَّمَا الآياتُ عِندَ اللَّهِ وَما يُشعِرُكُم أَنَّها إِذا جاءَت لا يُؤمِنونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُم وَأَبصارَهُم كَما لَم يُؤمِنوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُم في طُغيانِهِم يَعمَهونَ ﴿١١٠﴾ وَلَو أَنَّنا نَزَّلنا إِلَيهِمُ المَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ المَوتى وَحَشَرنا عَلَيهِم كُلَّ شَيءٍ قُبُلًا ما كانوا لِيُؤمِنوا إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ وَلكِنَّ أَكثَرَهُم يَجهَلونَ ﴿١١١﴾، فهو سبحانه الفعال لما يريد، ولا يكون إلا ما أراده الله تعالى[٢].

ويتبين من ذلك أن الإرادة الكونية والإرادة الشرعية كلتاهما تكونان بأمر الله وقضائه، وكما قال القنوجي في سياق تفسيره لأية الأحزاب: " **المراد إيجاده ما تعلقت به الإرادة**[٣]".

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

---

[١] ينظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**، ج٧، ص١٢٣.

[٢] ينظر: الطبري: **جامع البيان** ص٢٤٢-٢٤٣، والقنوجي: **فتح البيان**، ج٥، ص٣٧٦.

[٣] القنوجي: **المرجع السابق**.

على قول من يرى أن القضاء والقدر من صفات الربوبية:

- إذا كان الله تعالى هو الخالق، فالله تعالى بيده القضاء والقدر.
- إذا كان القضاء والقدر بيد الله فالله تعالى هو الخالق.

ويمكن عرضها على أن أمر الله نافذ في مخلوقاته:

- الله تعالى خالق المخلوقات.
- كل خالق للمخلوقات يمضي أمره فيهم أمراً كونياً.
- إذن الله تعالى يمضي أمره في مخلوقاته أمراً كونياً.

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

على قول من يرى أن القضاء والقدر من صفات الألوهية (الشرع)-

- إذا كان الله تعالى هو المقصود بالطاعة والعبادة، فالله تعالى بيده القضاء والقدر.
- إذا كان القضاء والقدر بيد الله فالله تعالى هو المقصود بالطاعة والعبادة.

٣.٤.٤ المطلب الرابع: الإيمان القضاء والقدر لا يلغي اختيار المكلف

يزعم البعض أن الإيمان بالقضاء والقدر يعني أن لا اختيار للعبد[١] وعليه فكان من آثار هذه العقيدة الفاسدة أن الله أحب الكفر والشرك وأراده من العبد[٢].

وقولهم سبق إليه المشركون فقال تعالى: ﴿سَيَقولُ الَّذينَ أَشرَكوا لَو شاءَ اللَّهُ ما أَشرَكنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمنا مِن شَيءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم حَتّى ذاقوا بَأسَنا قُل هَل عِندَكُم مِن عِلمٍ

---

(١) هم التاركون للعمل والتزام الأمر زعماً أنه لا حاجة بالعباد للعمل وأخذ الأسباب، فأفعال العباد كلها اضطرارية، وهم الجبرية، ينظر: ابن تيمية، **مجموعة الفتاوى**، المجلد٤، ج٨، ص٧٤، وابن أبي العز: **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٦٣٩.

(٢) ينظر: ابن تيمية: **المرجع السابق**، ص١٥٥-١٥٦، والأشقر: **الإيمان بالقضاء والقدر**، ص٧٢-٧٣.

فَتُخرِجوهُ لَنا إِن تَتَّبِعونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن أَنتُم إِلّا تَخرُصونَ ﴿١٤٨﴾ قُل فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ فَلَو شاءَ لَهَداكُم أَجمَعينَ ﴿١٤٩﴾ (سورة الأنعام).

هذه مناظرة ذكرها الله تعالى، وشبهة تشبث بها المشركون العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركي قريش، وأرادوا الحجة للبقاء على الشرك، فزعموا أنهم وآباءهم كانوا على الحق المشروع المرضي عند الله، وليس غرضهم الاعتذار عن قبائحهم، فما فعلوه هو إرادة الله لهم، فيحتجون على النبي صلى الله عليه وسلم بأن ما هم عليه هو برضى الله، وهذه شبهة العقول الضالة التي لا تفرق بين تصرف الله ومشيئته بالخلق والتقدير، وبين قوانين الوجود وإرادة العبد، فهم استدلوا بالقدر على نفي الأمر والنهي، والمحبوب والمكروه، والطاعة والمعصية[١]، وهذا المسلك هو نوع من الكفر البيّن، فتلك نزعة جبرية، ولا حجة لهم في ذلك.

ولذلك قال تعالى: (كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم)، كذلك كذب فسقة الأمم الذين طغوا على ربهم من قبلهم بعد أن جاءتهم البينات والحجج الواضحة، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهلكهم الله، فلو كانت حجة صحيحة لدفع الله عنهم العذاب. فهي حجة فاسدة من عدة أوجه ومنها:

- أنها لو كانت حجة صحيحة لرفع الله عنهم بها العذاب.
- أن الحجة لا بد أن تكون مستندة إلى العلم والبرهان، لا التخرص ومجرد الظن.
- أن الله تعالى أعطى كل مخلوقٍ قدرة وإرادة يتمكن بها من فعل ما يُكلف، وتراه يطلب الأسباب في أمور الدنيا، ولا ينتظر القضاء والقدر، وكل يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية.

---

(١) الكلام في نفسه حق إذ الأشياء كلها صادرة بمشيئته وقدره عز وجل، ولكن أخرجوه مخرج العنت والعناد، كقولهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾، ينظر: الطوفي: **علم الجذل في علم الجدل**، ص١٣٢.

- أن المحتجين بالقضاء والقدر على المعاصي لا يسلكون ذلك فيمن ظلمهم أو بغى عليهم وهذا تناقض وعدم اطراد في أحوالهم مما يشنع مقولتهم.
- أن لله تعالى الحجة البالغة، ولا يبقى لأحد عذر بعد ذلك.

ثم طالبهم بالحجة البينة على قولهم فقال تعالى: (هَل عِندَكُم مِن عِلمٍ فَتُخرِجوهُ لَنا)، هل من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فتظهروه وتبرزوه، فجعل إخراج العلم مرتباً بفاء السببية على العندية للدلالة على أن السؤال مقصود به ما يتسبب عليه، واللام في(فَتُخرِجوهُ لَنا) للأجل والاختصاص، أي فتخرجوه لأجلنا أي لنفعنا، وقوله تعالى: (فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ) جواب عن قولهم (لَو شاءَ اللَّهُ ما أَشرَكنا وَلا آباؤُنا) تكملة للجواب السابق، فهو زيادة في إبطال قولهم، وهو في اصطلاح أهل الجدل يشبه المعارضة، والحجة هي الأمر التي تدل على صدق أحد في دعواه، فالله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب، فقطع تعالى عذر المحجوج، وأزال الشك، فأيد رسله بالمعجزات، ولزم أمره كل مكلف، ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ [1](سورة النساء)، والحجة البالغة هي الواصلة التي غلبت الخصم.

وقوله تعالى: (فَلَو شاءَ لَهَداكُم أَجمَعين) الفاء للتفريع على ظهور حجة الله تعالى عليهم على بطلان استدلالهم، فلو شاء الله توفيقهم للهداية، وهي المشيئة الخفية المحجوبة، فالمشيئة هنا

(1) فلم يبق للخلق على الله حجة لإرساله الرسل تترى يبينون لهم أمر ربهم وشرعه، ومن كفر بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه: ينظر: السعدي: **تفسير السعدي**، ص٢٥١.

ليست المشيئة في قوله تعالى (لَو شاءَ اللَّهُ ما أَشرَكنا وَلا آباؤُنا) وهذه المشيئة المنكرة عليهم هي ما أرادوه من الاستدلال بالواقع على الرضى والمحبة[1].

ولذا قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ (سورة المدثر)، فكل نفس موثقة بسعيها، وقد ألزم عنقها، ولا فكاك لها منه[2].

وتكون الحجة البرهانية في الآية:

- إذا كان الله تعالى أعطى العبد القدرة على الاختيار فيجب عليه الالتزام بشرع الله
- ولكن الله تعالى أعطى العبد القدرة على الاختيار.
- إذن يجب على العبد التزام أمر الله.

وتكون كذلك:

- كل نفس بما كسبت رهينة.
- ولا رهين بكسبه إلا مخير.
- فلا نفس كاسبة إلا مخيرة.

---

[1] ينظر: الطبري: **جامع البيان**، ج٥، ص٢١١، والبغوي: **معالم التنزيل**، ص٤٤٩، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٣٦٣، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد١، ج٤، ص٨٥، وابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص٢٩٠، وابن تيمية: **تفسير ابن تيمية**: ج٣، ص١١١-١١٣، وابن كثير: **عمدة التفسير**، ج١، ص٧٣٤، والسعدي: **تفسير السعدي**: ص٣٣٣، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، المجلد٤، ج٨، ص١٤٥-١٥٣، والطباطبائي: **الميزان في التفسير**، ج٧، ص٣٦٦-٣٦٧.

[2] ينظر: السعدي: **المرجع السابق**، ص١١٢٣.

الخاتمة

توصل البحث إلى الأمور التالية:

١- المعنى الاصطلاحي للحجة يشترك في بعض الوجوه مع الدليل والبرهان، إلا أنها تتميز عنهما بأنها تدفع القول المخالف وتبين الحق.

٢- التعريف اللغوي للحجة: البرهان المسوق لبيان المقصود، وصحة أحد النقيضين، وفي الاصطلاح: الحجة الملزمة للخصم، الموصلة للتصديق، لصدق مقدماتها، والحجة عند أهل المنطق: تتألف من قضايا يتجه بها إلى مطلوب يستحصل بها، ولها أشكال وهيئة وضروب.

٣- ضرورة المرور على طرق المعرفة وأسبابها، لضمان صياغة القضايا والمقدمات في الحجة البرهانية، فما كان منها يقوم على مقدمات يقينية ضرورية، فإن نتائجها تؤول إلى الصحة، بخلاف ما تقوم على مقدمات فاسدة، فإنها تؤول إلى نتائج مغلوطة.

٤- اختلاف مراتب الحجة عند أهل المنطق في القوة بحسب مقدماتها، ولكنها في القرآن حجة برهانية يقينية، وإن كانت تقسيماتها كما رتبها أهل المنطق.

٥- ظهور الحجة البرهانية واضحة في عرض الآيات المتعلقة بأصول الاعتقاد والتكاليف الشرعية، وتمتاز الحجة البرهانية في الآيات أنها عقلية مفيدة للمطالب الدينية، محركة للعلوم الضرورية.

٦- يتفق أهل المنطق مع علماء أصول الفقه في استخراج الأحكام في كثير من مسالك الحجة.

٧- عرض الحجة البرهانية في أصول الاعتقاد مجتمعة في كثير من الآيات القرآنية، وهذا أدعى للفهم والتقرير، وبيان أنه من الخالق الحق، وهذا مرجعه إلى إعجاز القرآن وإيجازه،

لذا فإن الآيات القرآنية تعرض عدداً من الشبهات باختصار، مع غزارة في المعنى، وقوة في الحجة، وعمق في المعنى والتأثير.

٨- اهتمام الآيات القرآنية بالدعوة للتفكر والتأمل، وتكوين الفكر الناقد، مما يكون مدعاة لتنمية مهارات التفكير والبحث عن الحقائق.

٩- دعوة الآيات القرآنية للتأمل والتنبه لما قد تألفه النفوس، وإثارة الرغبة بالمعرفة.

١٠- ضرورة دراسة الحجة البرهانية، وكيفية بناء مقدماتها للوصول إلى النتيجة، من أهم الطرق لتعلم طريقة التفكير الصحيح، والتمحيص في الأقوال قبل قبولها أو ردها، والآيات القرآنية تحث على ذلك.

١١- مخاطبة الحجج القرآنية لجميع العقول البشرية والمذاهب الفكرية، فيجب أن يكون القرآن هو الوسيلة الأولى للدعوة امتثالاً لقول رب العزة: ﴿قُل إِنَّما أُنذِرُكُم بِالوَحيِ ﴿٤٥﴾﴾ (سورة الأنبياء).

التوصيات

نظراً لكثرة الشبهات المثارة اليوم ضد الإسلام وأصوله، أو للطعن في ثوابته وزعمهم أن المسلمين يقبلون كل ما بين أيديهم دون تنقيح وتفكير، فإنه وجب على الباحثين أن يبذلوا قصارى جهدهم في الرد على الموجة التشكيكية، ولذا يوصي البحث بما يأتي:

١- نشر وسائل المعرفة الصحيحة في الإسلام وأنها تقوم على العلوم الفطرية الضرورية العقلية، وأن القرآن مليئ بالحجج البرهانية، ونقض حجة التقليد التي يروجها أعداء الدين.

٢- تبني الجامعات فكرة إعداد أبحاث تتناول الحجة البرهانية في القرآن، وتقسيمها على مجموعة من طلاب الدراسات العليا بناءً على ترتيب سور القرآن، أو المواضيع، وقد يكون من ذلك إعداد موسوعة علمية قرآنية في الحجة البرهانية، بناء على أصول الإيمان والتكاليف الشرعية، مما يسهل على العامة الرد على الشبهات المطروحة بالعودة للموسوعة.

٣- إعداد المناهج المدرسية الموجهة للطلاب بما يخدم مساعدة العقل على التفكير الصحيح الناقد التحليلي للقول قبل تبنيه.

٤- الاهتمام بطرق البحث والمناظرة المستمدة من القرآن والسنة وطريقة السلف.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

١- القرآن الكريم

٢- أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد، علي معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٣- أحمد، عزمي طه السيد، **مدخل إلى علم المنطق**، (عمان، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٥م).

٤- إدريس: جعفر شيخ، الفيزياء ووجود الخالق، **مناقشة عقلانية إسلامية لبعض الفيزيائيين والفلاسفة الغربيين** (الرياض، مجلة البيان، طبعة خاصة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر، ١٤٢٢هـ).

٥- أرسطو، **منطق أرسطو**، تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بدوي، (بيروت، دار القلم، الكويت، وكالة المطبوعات، ط١، ١٩٨٠م).

٦- الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد، **معجم تهذيب اللغة**، تحقيق: رياض زكي قاسم، (بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٧-الأشقر: عمر سليمان، **عالم الملائكة الأبرار**، (عمان، دار النفائس، ط٦، ١٤١٣هـ-١٩١٩م).

- **القضاء والقدر**، (الكويت، دار النفائس، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

- **خصائص الشريعة الإسلامية**، (الكويت، مكتبة الفلاح، ط١، ١٩٨٢م).

٨-الأشقر: محمد سليمان، **الواضح في أصول الفقه**، (عمان، دار النفائس، ط٧، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م)،

٩-الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد خليل عيتاني، (بيروت، دار المعرفة، ط٦، ١٤٣١هـ-٢٠٢٠م).

- **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، (بيروت، د.ن، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

- **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق ودراسة أبي اليزيد أبي زيد العجمي، (القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

١٠- الألمعي: زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، (الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ط٣، ١٤٠٤هـ).

١١- إمام: زكريا بشير، **أساليب الحجاج في القرآن- نماذج من الحجج الاستنباطية**، (د.م، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، د.ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

١٢- أندرياس: حمزة تزورتزس: **الحقيقة الإلهية الله...والإسلام...وسراب الإلحاد**، ترجمة: نايف الملا، (الرياض، مركز دلائل، ط١، ١٤٣٨هـ).

١٣- الأنصاري: عبد الله بن أحمد، **الأثر الفلسفي على آراء الرازي العقدية**، (الخبر، تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م).

١٤- الأنصاري: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

١٥- الأناري: فريد: **جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح**، (د.م، دار السلام للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت).

١٦- الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، **روح المعاني**، تحقيق: السيد محمد السيد، سيد إبراهيم عمران، (القاهرة، دار الحديث، د.ط، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

١٧- الآيجي: عبد الرحمن بن أحمد، **شرح العضد على مختصر المنتهى الأصولي للإمام ابن الحاجب المالكي**، ضبط: فادي نصيف، طارق يحيي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

١٨- الباجي: أبو الوليد، **المنهاج في ترتيب الحجاج**، تحقيق: عبد المجيد تركي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ٢٠٠١م).

١٩- الباحسين: يعقوب بن عبد الوهاب، **طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين**، (الرياض، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٢٠- باقر: محمد سعيدي روشن: **منطق الخطاب القرآني دراسات في لغة القرآن**، ترجمة: رضا شمس الدين، (بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٦م).

٢١- الباقلاني: أبو بكر: **إعجاز القرآن**، تحقيق: أبي بكر عبد الرزاق، (القاهرة، مكتبة مصر، د.ط، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

٢٣- البخاري: محمد بن إسماعيل، **كتاب الأدب المفرد**، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

- **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، (الرياض، مكتبة الرشد، ط٥، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).

٢٤- بدوي: عبد العظيم، **الجواهر الحسان في تفسير آل عمران**، القاهرة، دار ابن رجب-دار الفوائد، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

٢٥- البروسوي: إسماعيل حقي: **روح البيان**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٧، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٢٦- البغدادي: أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا، **الكتاب المعتبر في الحكمة الإلهية**، تحقيق: يوسف محمود، (الدوحة، دار الحكمة، د.ط، ١٤٣٢هـ-٢٠١٢م).

٢٧- البغدادي: أبو مصطفى، **الواضح في المنطق، شرح وتوضيح متن إيساغوجي**، (د.م، د.ن، د.ط، ٢٠١٢م).

٢٨- البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، (بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠٠٢م).

٢٩- البقاعي: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، خرج آحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٦م).

- **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، قدم له وحققه وعلق عليه: عبدالسميع محمد أحمد حسنين، (الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٧٨م).

٣٠- البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: مجدي فتحي السيد، (القاهرة، المكتبة الوقفية، ط٢، ٢٠١٦م).

٣١- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، **سنن الترمذي**، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، (الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

٣٢- التفتزاني: سعد الدين، **شرح العقيدة النسفية**، تحقيق: مصطفى مرزوقي، (الجزائر، دار الهدى، د.ط، د.ت).

٣٣- التهانوي: محمد علي، **كشف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: رفيق العجم، علي دحروج، (بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م).

٣٤- ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني، **مجموعة الفتاوى**، اعتنى بها: عامر الجزار، أنور الباز، (المنصورة، دار الوفاء، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

- **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (الرياض، ادارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩١م).
- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر، وآخرين، (الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٠م).
- **شرح العقيدة الأصفهانية**، (الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ص١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- **النبوات**، تحقيق: عبد العزيز صالح الطويان، (الرياض، أضواء السلف، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٠م).
- **تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق وجمع: إياد بن عبد اللطيف القيسي وآخرين، (الدمام، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٢هـ).
- **نقض المنطق**، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، وآخرين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٧٠هـ-١٩٥١م).
- **مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية**، تحقيق: محمد رشيد رضا، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (د.م، د.ن، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

- **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والإتحاد**، تحقيق: موسى بن سليمان الدرويش، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

- **التدمرية**، (القاهرة، دار الفرقان، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

- **العقيدة الواسطية**، اعتنى بها: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، (الرياض، أضواء السلف، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٣٥- الجرجاني: علي بن محمد السيد الشريف، **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، (القاهرة، دار الفضيلة، د.ط، د.ت).

٣٦- جريشة: علي، **أدب الحوار والمناظرة**، (المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م).

٣٧- الجزائري: عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، **الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض أي الكتاب العزيز**، ومعه فتح العزيز بتحقيق الذهب الإبريز تحقيق: محمد شايب شريف، أبو بكر بلقاسم ضيف، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

٣٨- ابن جزي: أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي، **تقريب الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق: محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، (المدينة المنورة، د.ن، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

- **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: محمد سالم هاشم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

٣٩- الجكني: محمد سالم أحمد مود: **عقود الإيمان في توحيد الرب الجليل على منهاج حديث جبريل**، (الدوحة، مطبعة مكتبة ابن القيم، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٤٠- الجلال: الجمال علي، **شرح التهذيب مع الحاشية**، ترجمة: الحسن بن الحسين بن القاسم بن محمد، (صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٤١- الجلالين: جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي: **تفسير الجلالين**، تعليق: صلاح عويضة، (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٢، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

٤٢- جلغوم: عبد الله إبراهيم، **المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم بالرسم العثماني**، (الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

٤٣- جماعة من علماء التفسير، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، (الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط٣، ١٤٣٧هـ).

٤٤- **الله والنفس البشرية**، إعداد: جمال ابراهيم، (القاهرة، الحرية للنشر والتوزيع، مطبعة مصر، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

٤٥- الجندي: عبد الرحيم فرج: **شرح السلم في المنطق للأخضري**، (القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ١٤٣٥م-٢٠١٤هـ).

٤٦- الجهني: مانع بن حماد، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، (الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٤٣٥هـ-، ٢٠١٤م).

٤٧- ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي، **زاد المسير في علم التفسير**، (بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

٤٨- الجوهري: إسماعيل بن حماد، **معجم الصحاح**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٤٩- ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن: **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصخابة والتابعين**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (الرياض- مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

٥٠- حبنكة: عبد الرحمن حسن الميداني، **ضوابط المعرفة**، (دمشق، دار القلم، ط١٥، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م).

٥١- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٨١هـ-١٩٩٧م).

٥٢- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، (بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥هـ).

- **الفصل في الملل والنحل، وبهاشمه الملل والنحل للشهرستاني**، (د.م، مكتبة السلام العالمية، د.ط، د.ت).

٥٣- آل حكمي: حافظ بن أحمد، **مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**، اختصار: هشام بن عبد القادر آل عقدة، (الرياض، دار الصفوة، ط٩، ١٤٢٣هـ).

- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول والتوحيد**، تحقيق: عمر بن محمود أبي عمر، (الدمام، دار ابن القيم، ط٣، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٥٤- الحلي: جمال الدين حسن يوسف ابن المطهر، **الجوهر النضيد شرح منطق التجريد**، تحقيق: محسن بيدارفر، (د.م، انتشارات بيدار، د.ط، د.ت).

- **القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسية**، (د.م، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ).

٥٥- الحمد: عبد القادر شيبة، **تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل**، (الرياض، مؤسسة علوم القرآن، ط٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

٥٦- حوى: سعيد، **الأساس في التفسير**، (الإسكندرية، دار السلام للطباعة والنشر، ط٨، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

٥٧- أبو حيان: أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: أحمد النجولي الجمل وآخرين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٥٨- الحيدري، السيد رائد، **المقرر في شرح منطق المظفر**، (بيروت، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم-صلى الله عليه وسلم-، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٥٩- الخازن: علاء الدين علي البغدادي: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (د.م، دار الفكر، د.ط، د.ت).

٦٠- الخافجي: شهاب الدين بن محمد المصري الحنفي: **حاشية الشهاب المسمى عناية القاضي وكفاية الراضي**، (بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت).

٦١- الخالدي: صلاح: **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، (عمان، دار عمار، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٦٢- الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد البستي: **معالم السنن وهو شرح سنن أبي داوود**، (حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥٢هـ-١٩٣٤م).

- **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:** للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد زغلول وآخرين، (القاهرة، دار المعارف، ط٣، د.ت).

٦٣- خليل: عماد الدين: **حول إعادة تشكيل العقل المسلم**، (الدوحة، المحاكم الشرعية والشؤون الدينة، ط١، ١٤٠٣هـ).

٦٤- دراز: محمد عبد الله، **النبأ العظيم- نظرات جديدة في القرآن الكريم**، (القاهرة، مركز إبصار للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).

- **الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، (القاهرة، مكتبة الفنون والآداب، مؤسسة اقرأ، د.ط، ٢٠٠٧م).

٦٥- الدعجاني: عبد الله بن نافع: **منهج ابن تيمية المعرفي**، (الخبر، تكوين، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).

٦٦- دغيم: سميح، **موسوعة مصطلحات الأشعري والقاضي عبد الجبار**، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٢م).

٦٧- الدمشقي: شرف الدين أبو محمد الحسين الطيبي: **الخلاصة في معرفة الحديث**، تحقيق: أبو عاصم الأثري، (القاهرة، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

٦٨- الدمنهوري: أحمد: **رسالة في المنطق ايضاح المبهم في معاني السلم**، حققها وقدم لها: عمر فاروق الطباع (بيروت، مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٦٩- الدهلوي: أحمد بن عبد الرحيم ولي الله: **الفوز الكبير في أصول التفسير**، (دمشق، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط٢، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).

٧٠- الدوسري: عبد الرحمن محمد: **صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم**، (الرياض، دار المغني للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٧١- الذبياني: النابغة، **ديوان النابغة الذبياني**: شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

٧٢- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: **سير أعلم النبلاء**، حققه: خيري سعيد، قدم له: سيد حسين العفاني، (القاهرة، المكتبة الوقفية، د.ط، د.ت).

٧٣- الرازي: محمد بن أبي بكر عبد القادر: **مختار الصحاح**، طبعة مدققة من دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، (بيروت، مكتبة لبنان، د.ط، ١٩٨٦م).

٧٤- الرازي: محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر الشهير بخطيب الري، **تفسير الفخر الرازي**، (بيروت، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م).

- (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، د.ت).
- (طهران، دار الكتب العلمية، ط٢، د.ت).

٧٥- الرافعي: محمد صادق، **أوراق الورد رسائله ورسائلها**، (د.م، د.ن، ط١٠، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، (القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠١٤م).

٧٦- ابن رجب: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، تحقيق: وهبة الزحيلي، (دمشق، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

٧٧- ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد، **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، تقديم وتحقيق: محمود قاسم، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٦٤م).

٧٨- الرشيد: هيفاء بنت ناصر، **التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية**، (الرياض، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

٧٩- رفيق: محمد بن أحمد الحسن، **مكامن الدرر في محاور السرر في تفسير ظلال القرآن**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).

٨٠- الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري: **معاني القرآن وإعرابه**، (طنطا، دار الصحابة للتراث، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٨١- الزحيلي: وهبة: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١١هـ-١٩١١م).

٨٢- الزرقاني: محمد عبد العظيم: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، حققه: فواز أحمد زمرلي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

٨٣- الزركشي: أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بهادر بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، (القاهرة، دار الحديث، د.ط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٨٤- الزمخشري: محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ٢٠١٦م).

- **المستقصى في أمثال العرب**، مراقبة: محمد عبد المعيد خان، (الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند، ط١، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م).

٨٥- زنجلة: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد: **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٨٦- أبو زهرة: محمد: **زهرة التفاسير**، (القاهرة، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).

٨٧- سابق: السيد: **فقه السنة**، (القاهرة، الفتح للإعلام العربي، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

٨٨- السامرائي: فاضل صالح: **على طريق التفسير البياني**، (دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م).

٨٩- الساوي: زين الدين عمر بن سهلان، **البصائر النصيرية في علم المنطق**، تحقيق، حسن مراغي، (طهران، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط١، ١٣٩٠هـ).

٩٠- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، **مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي**، تحقيق ومتابعة: محمد بن عبد الرحمن السعدي، وآخرين، (الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

- **القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن**، اعتنى به: خالد عثمان السبت، (الرياض، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢١هـ).

- **القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة**، (المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ).

٩١- أبو السعود: العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

٩٢- سعيد: جلال الدين: **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، تحقيق: علي بو حلم، (د.م، دار مكتبة الهلال، ط١، ٢٠٠٤م).

٩٣- السفاريني: محمد بن أحمد الأثري الحنبلي: لوامع **الأنوار البهية وسواطع الأسرار الربانية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، علق عليها: عبد الله أباطين، (دمشق، مؤسسة الخافقين، د.ط، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

٩٤- السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن محمد، **مفتاح العلوم**، تحقيق: محمد علي بيضون، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).

٩٥- السلمي: عز الدين بن عبد السلام: **تفسير القرآن العظيم**، حققه وعلق عليه: سليم محمد عامر، (دبي، وحدة البحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، ج١، ص١٨٢.

٩٦- ابن سليمان: مقاتل، **تفسير مقاتل**، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

٩٧- السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد التميمي المروزي: **تفسير السمعاني**، اعتنى به: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٠م).

٩٨- السمعاني: منصور بن حافظ بن أحمد الحكمي، **قواطع الأدلة في أصول الفقه**، تحقيق: عبد الله بن حافظ الحكمي، (الرياض، مكتبة التوبة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

٩٩- **سنن الترمذي**، حكم عليه وعلق على آثاره: ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، د.ت).

- **سنن الترمذي**: تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، (الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

١٠٠- ابن سينا: علي الحسين بن عبد الله، **رسائل ابن سينا:** تحقيق: عبد الله أحمد العلوي، (بيروت، الوراق للنشر، ط١، ٢٠١٧م).

- **النجاة،** (بيروت، دار الآفاق، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

- **الرسالة العرشية:** (بيروت، الوراق للنشر، ط١، ص٢٠١٧م).

١٠١- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، **الدر المنثور،** (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

- **الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع،** تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي، (المنصورة، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

- **معترك الأقران في إعجاز القرآن،** ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ-١٠٨٨م).

١٠٢- الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي، **الموافقات،** تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (الخبر، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

١٠٣- الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي، **الرسالة،** تحقيق: أحمد شاكر، (د.م، د.ن، د.ط، د.ت).

١٠٤- شحاتة: عبد الله محمود: **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، (الرياض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٦٧م).

١٠٥- الشربجي: علي: **تفسير البشائر وتنوير البصائر**، قرظه: حسن حبنكة وآخرين، (دمشق، دار البشائر، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

١٠٦- الشربيني: الخطيب، **تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير**، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٢، د.ت).

١٠٧- الشعراوي: محمد متولي، **تفسير القرآن**، (القاهرة، دار الراية للنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠١٦م).

١٠٨- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (القاهرة، دار الحديث، د.ط، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

١٠٩- الشهرستاني: عبد الكريم، **كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ).

١١٠- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، (القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

- **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع إلى التوحيد والمعاد والنبوات**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ-١٠٨٤م).

١١١- الشيباني: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي، **مسند الإمام أحمد**. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٣٠هـ-١٩٩٩م).

١١٢- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي: **مصنف ابن أبي شيبة**، تحقيق: أبي محمد أسامة بن إبراهيم، (د.م، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م).

١١٣- آل الشيخ: صالح بن عبد العزيز، **التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، (الدوحة، دار الإمام البخاري، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

١١٤- الشيرازي: السيد صادق الحسيني، **الموجز في المنطق (بثوبه الجديد)**، تحقيق: مازن شاكر التميمي، (د.م، د.ن، ط٣، ٢٠٠١م).

١١٥- الصابوني: محمد علي: **قبس من نور القرآن الكريم**، (القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

- **صفوة التفاسير**، (بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، ج٣، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

١١٦- الصعيدي: عبد المتعال، **تجديد علم المنطق في شرح الخبيصي على التهذيب**، (القاهرة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، د.ط، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م).

- **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع**، (القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

- **روائع البيان تفسير آيات الأحكام**، (بيروت، مؤسسة المناهل، د.ط، د.ت)،

١١٧- الصلابي: علي محمد: **المعجزة الخالدة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، براهين ساطعة وأدلة قاطعة**، (بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

- **الإيمان باليوم الآخر فقه القدوم على الله**، (بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤١٣هـ-٢٠١٠م).

١١٨- ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان الشهرزوري الموصلي: **علوم الحديث**: تحقيق: أبي معاذ طارق عوض الله، (الرياض، دار ابن القيم، ط٣، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

١١٩- صولة: عبد الله، **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، (بيروت، دار الفارابي، ط٢، ٢٠٠١م).

١٢٠- الطباطبائي: السيد محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، (قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ط، د.ت).

١٢١- الطبري: أبو جعفر بن جرير، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: إسلام منصور عبد الحميد، وآخرين، (القاهرة، دار الحديث، د.ط، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

١٢٢- طنطاوي: محمد السيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (د.م، د.ن، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

١٢٣- الطوفي: نجم الدين أبو الربيع الصرصري الحنبلي، **علم الجذّل في علم الجدَل**، تحقيق: موفق فوزي الجبر، (دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م).

- **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

- **شرح مختصر الروضة**، (بيروت، دار الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

١٢٤- الطيار: مساعد بن سليمان، **موسوعة التفسير بالمأثور**، وآخرين، (بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م).

- **المحرر في علوم القرآن**، (الدوحة، وزارة الأوقاف، ط٥، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

١٢٥- ابن عادل: أبو حفص عمر بن علي الحنبلي: **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

١٢٦- ابن عاشور: محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس، دار سحنون، د.ط، د.ت).

١٢٧- عامري: سامي، **براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم**، (الرياض، تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٨م).

- **براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين**، (الرياض، مركز تكوين، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م).

- **مشكلة الشر ووجود الله الرد على أبرز شبهات الملاحدة**، (الرياض، تكوين للدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).

١٢٨- عباس: فضل، **تفسير القرآن المجيد**، اعداد: اللجنة العلمية جمعية المحافظة على القرآن الكريم، (عمان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م).

- **أساليب البيان في علوم البلاغة**، (عمان، دار النفائس، ط٣، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

١٢٩- عبد الله: محمد المبارك: **المنطق في شكله العربي**، (القاهرة، مطبعة محمد على صبيح، د.ط، د.ت).

١٣٠- ابن عبد الوهاب: عبد الرحمن بن حسن بن محمد: **فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد**، وفي حاشيته: التوضيح المفيد على كتاب فتح المجيد: تحقيق وتعليق: أبي عبد الله محمد بن علي البعداني، (صنعاء، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

١٣١- ابن عبد الوهاب: محمد، **تفسير آيات من القرآن الكريم**، جمعه وضبطه وخرج أحاديثه: محمد ابن رياض الأحمد الأثري، (الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

١٣٢- عبيد: فؤاد، **مدخل إلى علم المنطق**، (الجزائر، دار الكتاب الحديث، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).

١٣٣- ابن عثيمين: محمد بن صالح: **القول المفيد على كتاب التوحيد**، (بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

- **شرح العقيدة الواسطية**، (الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

- **الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين**، (بيروت، كتاب ناشرون، ط١، ٢٠١٠م).

- **التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن**، (الرياض، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٣هـ).

- **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه**، حققه وخرج أحاديثه: أشرف بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، (د.م، دار السنة، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

١٣٤- ابن أبي العز: علي بن علي بن محمد الدمشقي: **شرح العقيدة الطحاوية**، حققه وعلق عليه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرناؤوط، (الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

١٣٥- العز بن عبد السلام: عز الدين السلمي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سليم محمد عامر، (دبي، جائزة دبي الدولية، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).

١٣٦- العسكري: أبو هلال، **الفروق اللغوية**، تحقيق: إيهاب محمد ابراهيم، (القاهرة، مكتبة ابن سينا، ط١، ٢٠١٣م).

١٣٧- ابن العطار: علاء الدين علي بن إبراهيم، **الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**، تحقيق: سعد الزويهري، (الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

١٣٨- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق الأندلسي، **المحرر الوجيز**، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، وآخرين، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

١٣٩- العقاد: عباس محمود، **الفلسفة القرآنية**، (القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠٠٦م).

١٤٠- عكرمة: مولى ابن عباس، **تفسير عكرمة**، جمع وتخريج: الهاشمي برعدي الحوات، (القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).

١٤١- العميري: سلطان بن عبد الرحمن، **ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث**، (الرياض، تكوين للدراسات والأبحاث، ط٢، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م).

١٤٢- عويضة: كامل محمد محمد، **الكندي من فلاسفة المشرق والإسلام في العصور الوسطى**، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

١٤٣- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، **معيار العلم في المنطق**، (بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٧٨م).

- **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**، (بيروت، دار الآفاق، ط٢، ١٩٧٥م).

- **إحياء علوم الدين**، تحقيق: محمد خير طعمة حلبي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، د.ت).

- **القسطاس المستقيم –الموازين الخمسة للمعرفة في القرآن–**، تحقيق: محمد ديجو، (دمشق، المطبعة العلمية، د.ط، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

- **الاقتصاد في الاعتقاد**، اعتنى بتصحيحه: مصطفى القباني الدمشقي، (القاهرة، المطبعة الأدبية، ط١، د.ت).

- **الاقتصاد قي الاعتقاد**، عنى به: أنس محمد عدنان الشرفاوي، (جدة، دار المنهاج، ط١، ١٤٧٣هـ-٢٠١٧م).

- **المستصفى من علم الأصول**، تحقيق: محمد سليمان الأشقر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

- **جواهر القرآن**، تحقيق: محمد رشيد رضا، (بيروت، دار إحياء العلوم، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

١٤٤- الفارابي: أبو نصر: **آراء أهل المدينة الفاضلة**، تحقيق: عيد الوصيف محمد الكردي، (القاهرة، مكتبة الحسين التجارية، مطبعة حجازي القاهرة، د.ط، د.ت).

- **أراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها**، تحقيق: علي بو محلم، (د.م، دار ومكتبة الهلال، ط١، د.ت).

١٤٥- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.م، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

١٤٦- فحف: محمد محفوظ بن الشيخ، **رفع الأعلام على سلم الأخضري وتوشيح عبد السلام في علم المنطق**، (د.م، محمد محمود ولد الأمين، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

١٤٧- آل فريان: الوليد بن عبد الرحمن بن محمد: **فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للعلامة محمد ابن عبد الوهاب**، (بيروت، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

١٤٨- فضل الله: السيد محمد حسين: **من وحي القرآن**، (بيروت، دار الملاك، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

١٤٩- فضل الله، هادي، **مقدمات في علم المنطق**، (بيروت، دار الكاتب العربي، ط٢، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م).

١٥٠- الفضلي: عبد الهادي، **مذكرة المنطق**، (طهران، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت).

١٥١- الفوزان: صالح بن فوزان بن عبد الله، **عقيدة التوحيد**، (الرياض، دار العاصمة، ط١٤٢٠،١هـ-١٩٩٩م).

١٥٢- الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في كتاب الله العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، وزارة الأوقاف، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، عبد العليم الطحاوي، (القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط٣، ض١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

١٥٣- الفيومي: أسعد، **من الذرة إلى المجرة الكون والحياة دعوة للإيمان**، (دمشق، بيت الحكمة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

١٥٤- القاري: نور الدين علي لن سلطان الهروي المكي الحنفي: **أنوار القرآن وأسرار الفرقان، تفسير الملا القاري**، تحقيق: ناجي السويد، (بيروت، الدار العلمية، ط١، ٢٠١٣م).

١٥٥- القاسمي: محمد جمال الدين الدمشقي، **دلائل التوحيد**، (دمشق، مطبعة الفيحاء، د.ط، ١٣٢٦هـ).

- **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (سوريا، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م).

- **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، اعتنى به: هشام سمير البخاري، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

١٥٦- قديح، مصطفى نصر، **الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق**، (الرياض، مركز دلائل، ط١، ١٤٣٨هـ).

١٥٧- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

١٥٨- القرني، عائض، **التفسير الميسر**، (الرياض، مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

١٥٩- القرني: عبد الله بن محمد، **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها**، (جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط٤، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

١٦٠- قطب: سيد ابراهيم، **في ظلال القرآن**، (القاهرة، دار الشروق، ط٢٥، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

١٦١- القلاش: أحمد: **تيسير البلاغة**، (د.م، د.ن، د.ط، د.ت).

١٦٢- القنوجي: محمد صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، (د.م، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).

١٦٣- القويسي: حسن درويش، **شرح الشيخ حسن على متن السلم في المنطق للعلامة الشيخ عبد الرحمن الأخضري**، (الرباط، دار الأمان، د.ط، د.ن).

١٦٤- ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة**، تقديم وتعليق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، مراجعة: بكر أبي زيد، (القاهرة، دار ابن القيم، الرياض، دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

- **الأمثال في القرآن الكريم**، حققه وخرج أحاديثه: فواز أحمد زمرلي، (بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

- **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، تحقيق محمد حامد الفقي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٤١٨هـ).

- **بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية**، (الدمام دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ).

- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، اختصره: محمد بن الموصلي، خرج نصوصه وعلق عليه: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، (الرياض، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

- **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، تحقيق وتعليق: عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل وآخرين، إشراف: بكر أبي زيد، (مكة، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ).

- **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، حققه: عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه: حسان عبد المنان، (بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: إياد بن عبد اللطيف القيسي، (الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

١٦٥- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **مختصر تفسير القرآن الكريم- عمدة التفسير-**، تحقيق وتلخيص: أحمد محمد شاكر، (المنصورة، دار الوفا، ط٣، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).

١٦٦- الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

١٦٧- ابن كمال باشا: شمس الدين أحمد بن سليمان الرومي الحنفي، **تفسير ابن كمال باشا**، تحقيق ماهر أديب حبوش، (اسطنبول، مكتبة الإرشاد، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م).

١٦٨- اللاحم: سليمان بن إبراهيم بن عبد الله، **تنوير العقول والأذهان في تفسير مفصل القرآن**، (الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

١٦٩- لجنة القرآن والسنة، **المنتخب في تفسير القرآن**، (الدوحة، دار الثقافة، ط٧، د.ت).

١٧٠- لخديم: المرابط ولد محمد، **دين الفطرة استنطاق الرياضيات والفيزياء بلغة إنسانية**، تقديم: أحمد ولد محمد وآخرون، (دمشق، دار المعراج، ط١، ص١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).

١٧١- لينوكس: جون: **العلم ووجود الله، هل قتل العلم وجود الله؟**، ترجمة: ماريانا كتكوت، تحرير: سامح فكري حنا، تقديم الطبعة العربية: ماهر صمويل، (اكسفورد، Lion Hudson، د.ط، د.ت).

١٧٢- ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجه**، اعتنى به: أبو عبد الرحمن عماد الدين بن زين العابدين، (المنصورة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

١٧٣- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي-رضي الله عنه- وهو شرح مختصر المزني**، تحقيق: وتعليق: محمد علي محمد معوض، وآخرين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

- **أعلام النبوة**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

١٧٤- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

١٧٥- مجمع الملك فهد، **تفسير القرآن الكريم**، (الرياض، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، د.ط، د.ت).

١٧٦- محمد: عيد الوصيف، **علم المنطق الحديث والقديم، على النظام الصحيح والنظم القويم**، (بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٣هـ-٢٠١٤م).

١٧٧- محمد: رشدي عزيز: **توضيح المفاهيم في المنطق القديم**، (د.م، د.ن، ط٤، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

١٧٨- محمود: يوسف، **المنطق الصوري والتجريبي**، (الدوحة، مكتبة الحكمة، ط١، ٢٠١٠م).

- **أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي**، (الدوحة، دار الحكمة، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

١٧٩- المراغي: أحمد مصطفى: **تفسير المراغي**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٥م).

١٨٠- آل مسعود: عبد الله بن إبراهيم، **الفوائد السعدية من المواعظ الربانية**، (الرياض، دار الشريف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

١٨١- مسلم: أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

١٨٢- مسلم: مصطفى، **مباحث في التفسير الموضوعي**، (الرياض، دار التدمرية، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

١٨٣- المطيري: عبد العزيز بن داخل: **بيان فضائل القرآن**، (الرياض، د.ن، ط١، ١٤٣٨هـ).

١٨٤- المظفر: محمد رضا، **المنطق**، تعليق وتحقيق: غلام رضا الفياضي، رحمة الله رحمتي الآراكي، (د.م، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ط، د.ت).

- **المنطق**، (طهران، دار التعارف للمطبوعات، د.ط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

١٨٥- المغنيسي: محمود حسن، **مغني الطلاب شرح متن إيساغوجي**، تحقيق وتعليق، عصام بن مهذب السبوعي، (دمشق، دار البيروني، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

١٨٦- مقاتل، بن سليمان: **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله شحادة، (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

١٨٧- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (القاهرة، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠١٣م).

١٨٨- المناوي: عبد الرءوف، **التوقيف على مهام التعاريف**، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، (القاهرة، عالم الكتب ط١، ١٤٦٠هـ-١٩٩٠م).

١٨٩- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ، **لسان العرب،** (القاهرة، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠١٥م).

١٩٠- مهران: محمد، **المنطق والموازين القرآنية،** (القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

١٩١- موسى: محمد يوسف، **القرآن والفلسفة،** (القاهرة، دار العالم العربي، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م).

١٩٢- النجار: زغلول راغب محمد، **من آيات الإعجاز العلمي خلق الإنسان في القرآن،** (بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) طبعة الأوقاف في قطر.

- **موسوعة الإعجاز العلمي السماء في القرآن،** (١٤٢٨م-٢٠٠٧م).

١٩٣- نخبة من العلماء: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم،** (القاهرة، مطبعة المصحف الشريف، ط٣، ١٣١٤هـ-١٩٩٢م).

١٩٤- الندوي: علي أحمد، **القواعد الفقهية،** قدم لها: مصطفى الزرقا، (دمشق، دار القلم، ط٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

١٩٥- النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد محمود، **تفسير النسفي- مدارك التنزيل وحقائق التأويل،** (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨م-٢٠٠٧م)،

١٩٦- تحقيق: يوسف علي بدوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، (بيروت، الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

١٩٧- نصار: محمد عبد الستار، **السلم في علم المنطق**، مراجعة عبد العزيز عبد الله عبيد، (القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).

١٩٨- نكري: عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، **جامع العلوم الملقب بدستور العلماء**، تهذيب: قطب الدين محمود، وآخرين، (الهند- حيدر آباد، دار المعارف النظامية، ط١، ١٩١١م).

١٩٩- النملة: عبد الكريم بن علي: إتحاف ذوي بصائر بشرح روضة الناظر، (الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

٢٠٠- النورسي: بديع الزمان سعيد، **الشعاعات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة، دار سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٤هـ).

- **إشارات الإعجاز**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة، دار سوزلر، ط٧، ٢٠١٤م).

- **الكلمات**، ترجمة: إحسان الصالحي، (القاهرة، دار سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٤م).

- **صقيل الإسلام**: ترجمة وتحقيق: احسان قاسم الصالحي، (القاهرة، دار سوزلر، ط٧، ٢٠١٤هـ).

- **اللواحق**: ترجمة وتحقيق: احسان قاسم الصالحي، (القاهرة، دار سوزلر، ط٧، ٢٠١٤هـ).

٢٠١- النووي: محي الدين أبو زكريا، **مراح لبيد تفسير النووي التفسير المنير لمعالم التنزيل**، (د.م، دار الفكر، د.ط، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

٢٠٢- الهندي: صفي الدين بن محمد بن عبد الرحيم الأرموي الشافعي، **الفائق في أصول الفقه**، تحقيق: محمود نصار، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٢٠٣- الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (القاهرة، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠١٤هـ).

٢٠٤- ابن الوزير: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحسني اليمني الصنعاني، **ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**، (القاهرة، مطبعة المعاهد، د.ط، ١٣٤٩هـ).

- **إيثار الحق على الخلق**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

٢٠٥- وزيري: يحي: "إعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال (الظل الساكن)، **المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز في القرآن والسنة**، (الكويت: الهيئة العالمية للكتاب والسنة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

رسائل جامعية:

١- أبو حليمة: ناريمان بنت حسن بن علي، **منهج الإمام الشافعي في نقد الأحاديث- دراسة تطبيقية-**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، (غزة، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م).

٢- السيد: حسن علي محمد فضل، **الاستقراء عند الأصوليين والمنطقة وأثره في الفروع الفقهية**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والقانون، (السودان، جامعة أم درمان، ٢٠٠٧م).

٣- الشهراني: محمد بن سعد بن حجران، **أساليب الحجاج في القرآن الكريم في سورتي المائدة والأنعام**، رسالة دكتوراة، كلية أصول الدين، (السودان، جامعة أم درمان، ٢٠١١م).

٤- لقمان: اختر جمال محمد، **كتاب الاعتقاد**، رسالة ماجستير، كلية العقيدة، (مكة، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٥- ناصر: مجاهد محمود أحمد، **منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، (فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

مقالات في مجلة دورية:

١- جمال: ابتسام بنت أحمد، "القياس ومكانته في المنطق اليوناني"، **مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية آدابها**، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث والعشرين، ٢٠٠١م.

٢- الرقب: صالح حسين، "موقف ابن سينا من النبوة والأنبياء- عرض ونقض-"، **مجلة الجامعة الإسلامية**، غزة، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، ٢٠٠٣م.

٣- عودة: أحمد ادريس، الصفدي: نعيم أسعد، "الحجة وأثرها في قوة الخطاب الإسلامي"، **مجلة المنارة**، فلسطين، المجلد العشرون، العدد الثالث، ٢٠١٤م.

٤- القليطي: سامي بن علي:" الإيمان باليوم الآخر عند أهل الكتاب (عرض ومناقشة)" **مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية**، المدينة المنورة، العدد الثالث، ١٤٣٥هـ.

مراجع شبكة الإنترنت:

١- دياب: سعيد مصطفى، "تدبر: (الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)" الألوكة الشرعية،١-٦-٢٠١٦م:

https://www.alukah.net/sharia/0/103833/#ixzz5mCZgM4oO، استعرض بتاريخ ٢١-٨-١٤٤٠هـ، ٢٦-أبريل-٢٠١٩م.